المجلس الأعلى للغة العربية

أعمال الموسم الثقافي

١٤٢١

مدونة المحاضرات الملقاة عام 2000

منشورات المجلس الأعلى للغة العربية

الجزائر 2000

المجلس الأعلى للغة العربية

أعمال الموسم الثقافي

مدونة المحاضرات الملقاة عام 2000

منشورات المجلس الأعلى للغة العربية

الجزائر 2000

محتويات العدد

- مقدمة الموسم 1

الأستاذ الدكتور عبد الملك مرتاض

- الدكتور صالح بلعيد..... 3

اللغة العربية رهانات وتحديات.

- الأستاذ طاهر ميلة..... 19

المعجم العربي ومدى مسايرته للمفاهيم الحضارية الحديثة.

- ا كتور عبد الجليل مرتاض..... 36

اللغة العربية والاتصال.

- الدكتور تركي رابح عمامرة. 74

اللغة العربية وثقافتها من المحلية إلى العالمية.

- الدكتور عمار الساسي 102

اللسان العربي والقرن الجديد

دراسة لغوية في المفهوم والخصائص والدلالة.

- الدكتور حلام الجيلالي..... 156

أثر العولمة في اللسان العربي الواقع والتحديات.

- الدكتور التجيني بن عيسى..... 128

الأسماء والألقاب في الجزائر

دعوة إلى دراستها دراسة لغوية دلالية وحضارية.

- الدكتور عبد الكاظم العبودي..... 188

التطورات العلمية والتكنولوجية وموقع الفيزياء منها في الوطن العربي.

تـــقديـــم

الأممُ العظيمة تخلّد أفكارها بالكتاب، وتسجّل حضارتها بالرّسم، وتحفظ آثارها بكلّ ما يتناءى عن الشّفويّة المقيتة، والتي هي معادل ثقافيّ للأمّيّة؛ فكم من عمل كبير ضاع تحت وطأة النّسيان، وفي غياب التّقييد بالكتاب.

والمجلس الأعلى للّغة العربيّة حين قرّر تنظيم موسم ثقافيّ امتدّ على مدى قريب من ثمانية شهور، وأسهم فيه قريبٌ من عشرين مفكّراً وجامعيّاً من أعضاء المجلس ومن خارجه: كان يمكن أن يسقط فيما سقط فيه كثير من الهيئات التي تنظّم محاضرات، وتُقيم ندوات؛ ثمّ لا ترعوي أن تذرّ الآثار الفكريّة التي أُلقيت على مسامع النّاس في ظلام الأدراج إلى أن يأكلها التّراب، ويُهرّئها الغبار؛ فتضيع كما يضيع الشّيء الدُّونُ.

وحتّى يَتجانفَ المجلس الوقوع في هذه المثلبة قرّر أن يطبع نصوص المحاضرات التي أُلقيت في موسمه الثقافيّ للعام 1999–2000؛ وذلك على الرّغم من أنّ زهاء خمس منها لم نرد إعادة نشرها احتراماً للقارئ، لأنّنا كنّا اضطُررنا إلى نشرها في العدد الثاني من مجلّة «اللّغة العربيّة».

وإنّا إذ نسعد بأن نَزْدَفَّ هذا العمل إلى القرّاء والهيئات الرّسميّة والثقافيّة فإنّه لا يفوتنا أن نَزْدَجيَ الشّكر العارم إلى كلّ السّادة المحاضرين، الأعضاء في المجلس وغيرَ الأعضاء، ممّن لبّوْا دعواتنا، وتجشّموا من العَناء ما تجشّموا ابتغاءَ الإسهام في ترقية اللّغة العربيّة، ومقاربة قضاياها.

عبد الملك مرتاض

رئيس المجلس الأعلى للّغة العربيّة

اللغة العربية رهانات وتحديات

الدكتور صالح بلعيد
عضو المجلس الأعلى للغة العربية

التمهيد: إنّ قضية اللغة العربية في رهنها وتحديها تستدعي منا التعمق في بسط المسألة لتنال البحث العلمي المستفيض، وباشتراك كل الفعاليات الثقافية في الوطن العربي بما أنها مشروع قومي. فكان لا بد أن تتبوأ المسألة اللغوية الخاصة باللغة العربية منزلة الصدارة في اهتماماتنا الفكرية، وأن تبنى لها إستراتيجية خاصة كمشروع لغوي للألفية القادمة، حيث يتمفصل في الآماد الثلاثة، ولكل أمد خططه ومنهجه في التجسيد. ومن هنا يتعين على القائمين على اللغة وفقهائها أن يكون لهم الشغل العلمي النشط تجاهها، باعتبارها الوعاء للحضارة العربية الإسلامية بغية التجديد والتفعيل كي تسترد قدرتها على التعبير على الإنجازات العلمية المتعاظمة وتحولاتها وصولا إلى إعادة إنتاجها[1]. وهذا هو ما يسمى بمسايرة الواقع.

ومن هنا أردت الحديث عن بعض الإنجازات العلمية التي يمكن تجسيدها عن طريق هذه الثنائية الرهان والتحدي. حيث إن الرهان يستلزم بالضرورة التحدي، فكان عليّ أن أناقش بعض قضايا اللغة العربية في ثنائية تجمع التشخيص الحالي لهذه الغة، وما يجب أن تكون عليه في القريب العاجل، بل في المسيرة القادمة، المسيرة التي لا بقاء فيها للخامل، ولإبقاء فيها لأية لغة عاقر.

الرهانات: انطلاقا من المعنى اللغوي لكلمة رهن التي تعني الدوام والثبات ومنه نعمة الله راهنة أي ثابتة. والراهن الثابت. الراهنة: القوية، ومنه يقال: حجة راهنة. راهن رهانا ومراهنة على الشيء: خاطر وسابق. أرهن في السلعة غالي بها. أرهن الميت القبر: ضمه إياه. تراهن القوم: تخاطروا. ارتهن الشيء منه: أخذه رهنا.

---

[1] – ينظر، مصطفى حجازي "العولمة والتنشئة المستقبلية" مجلة جامعة البحرين الثقافية. البحرين: 1999. العدد 2، ص 112.

رهان ورهون ورهين ورُهُـن: مـا يوضـع تأمينـا للذيـن. وخلاصتـها يقـال: إنّ الأمـور مرهونة بأوقاتها، أي لكل شيء وقت، وأوان. منه الرهان: السـباق للحـاق بـالوقت. الرهان الرياضي: السبق الرياضي، أو التبـاري للفـوز بالرتبـة الأولى. ويتبـدى لنـا أنّ الرهان هو الشيء المرتبط بالوقت الآني والسبق فيه للغلبة والبروز. فما هي الرهانات التي تحيط الآن باللغة العربية؟

إني أعرف أنّ الرهانات كثيرة، إلا أنني رأيت الاقتصار على أهمها. وأذكرها حسب أهميتها في العرف العلمي والمحيط الاجتماعي.

– رهان واقع تدريس اللغة العربية حالياً[2]: إنّ الدراسات التشـخيصية لواقـع تدريس اللغة العربية في وطننا تنذر بأن تدريس العربية ليسـت بخـير. وإنّ برامجـها ومناهجها لا تعمل على الاقتدار المعـرفي الـذي يفـرض مكانـة بـين الـدول وصـولا إلى القدرة الإبداعية، وإلى التمكـن والسـيرة العلميـة. ويكفـي أن أعلمكـم بالدراسـة الـتي أجريت على 15 دولة عربية من بينها الجزائر حول واقع مناهج تعليم العربية وكـان هذا سنة 1985. فلقد توصلت هذه الدراسة إلى النتائج التالية:

1– عدم عناية مدرسي اللغـة العربيـة، وغـيرهم مـن مدرسـي المـواد الأخـرى باستخدام اللغة العربية الصحيحة.

2– منهج تعليم القراءة لا يخرج القارئ المناسب للعصر.

3– عدم توافر قاموس لغوي حديث في كل مرحلة من مراحل التعليم العام.

4– الافتقار إلى أدوات القياس الموضوعية في تقويم العليم اللغوي.

---

[2] – ينظر المقال الذي ألقيته في ليبيا والموسوم: العولمة والهوية –نحـو مشـروع لتطـور– ألقـي البحـث في المـائدة المستديرة للأساتذة العرب. ليبيا: جويلية 1999.

5- قلة استخدام المعينات التعليمية والتقنيات الحديثة في تعليم اللغة.

6- ازدحام منهج النحو بالقواعد، وكثير منها ليس وظيفيا.

7- صعوبة القواعد النحوية واضطرابها.

8- افتقار طرائق تعليم القراءة للمبتدئين إلى دراسات علمية.

9- الانتقال الفجائي في التعليم من عامية الطفل إلى اللغة الفصحى.

10- اضطراب المستوى اللغوي بين كتب المواد، بل بين كتب المادة الواحدة في الصف الواحد.

11- دراسة الأدب والنصوص لا تصل التلميذ بنتاج حاضره وتراث ماضيه وصلا يظهر أثره في حياته.

12- طغيان الماضي على الحاضر في تدريس الأدب.

13- نقص عدد المعلمين المتخصصين، وانخفاض مستواهم.

14- بعد اللغة التي يتعلمها التلاميذ في المدارس عن فصحى العصر[3].

وأمام هذه النقائص والسلبيات بات لزاما علينا أن نعيد طرح الأمور اللغوية بشكلها العميق: لماذا هذه النقائص؟ وأين يكمن الخلل؟

إنه لو تعمقنا في بحث هذه المسألة لوجدنا أننا نجسد في مناهجنا التربوية ثقافة سطحية لا تعمل على تربية الفكر على التفكير الرياضي والمنهجية والتحليل

---

[3] - ع/ رشدي أحمد طعيمة "الاسس النفسية والتربوية والاجتماعية لبناء مناهج اللغة العربية في التعليم ما قبل الجامعي "المجلة العربية للتربية. تونس: المجلد الخامس، العدد 2، مارس -سبتمبر 1985م، ص 41-42.

3- البعد عن الحشو والتكرار، وكل ما يجعل ربط التلميذ بماضيه الذي يجعله يعيش على (كان أبي).

4- اعتماد أساليب جديدة في البحث والتفكير وفي الديداكتيك، وفي تقنيات التنظيم، والإبداع، والتنفيذ وعقلنة للقرارات.

2- رهان واقع التعريب في الوطن العربي: هذا الرهان الملي، بكثير من المتناقضات يحمل في ذات الوقت تلك التجارب التعريبية الفاشلة التي أضحت حجر عثرة في كل دراسة تطرح في التعريب. تجارب فاشلة، وإن لم تكن فاشلة فهي

وصولا إلى المنطق، فكان لا بد ن نقع في المأزق وأن لا نقول إلا القول المكرر[4]. وليست التربية وحدها سبب هذا الفشل، بل التنشئة بما هي عملية متكاملة لبناء الإنسان الجزائري أو العربي الذي لم تعده ليتفاعل مع التحولات العالمية والشراكة الأجنبية فماذا نحن فاعلون؟

وإزاء هذا الوضع المتدني كان على المؤسسات التربوية أن تحدث تغيير في نمط برامجها ومناهجها وتدق ناقوس الخطر بأن لا تطور دون تغيير في كل أنماط المنظومة التربوية. أو يكون هناك اتجاه نحو تحرير هذه المدارس لتكون مؤسسات تربوية مسلعنة، حيث تحول المؤسسات غير الربحية إلى القطاع الخاص، وتمولها الأرباح المستدرة من الاستثمارات المعولة الضخمة. ولكن إذا كان من المقبول تحويل منجزات العلم إلى سلع، فإن تحويل المؤسسات التربوية إلى مؤسسات ربحية تنافسية غير معلوم عواقبها في الوقت الحاضر، بل إنه أمر محفوف بكثير من المحاذير.

كما أنه يجب أن نسأل أنفسنا الآن ما الملمح التربوي المعد لتلميذ أو لطالب الألفية القادمة، ألفية تصادر السبورة والقلم والمحفظة، وينتهي عصر الورق.

ولذا كان حريا بنا أن نعمل على إعادة النظر في:

1- إصلاح المناهج الذي يمثل البعد الحضاري القابل لخصائص التقدم. شرط امتلاك الرؤية والنظرة الفلسفية العصرية من واضعي إستراتيجيات التعليم.

---

[4]- كان من أسباب ذلك أن شهاداتنا لجامعية منذ سنة 1985 يشك فيها، ويطلب م طلابنا الراغبين في التسجيل بالخارج دخول المسابقات لتصديق قيمة الشهادة الممنوحة عندنا، وهذا بعد التدهور الذي عرفته أسس المنظومة التربوية في بلادنا. وكثيرة هي الدول العربية يسجل طلابها في الدراسات العليا في الخارج دون إجراء المسابقة أو الامتحان.

2- البرامج التعليمية يجب أن تتضمن أبعاد مستقبلية وأهدافا وإستراتيجيات للعلمية التعليمية، ويجب النظر إليها من خلال مدى امتلاكها لمناهج متطورة مسايرة للعصر. والنظر كذلك إلى مسألة أخرى هل هناك إغراق في المحلية وغياب البعد الخارجي.

3- البعد عن الحشو والتكرار، وكل ما يجعل ربط التلميذ بماضيه الذي يجعله يعيش على (كان أبي).

4- اعتماد أساليب جديدة في البحث والتفكير وفي الديداكتيك، وفي تقنيات التنظيم، والإبداع، والتنفيذ وعقلنة للقرارات.

2- رهان واقع التعريب في الوطن العربي: هذا الرهان المليء بكثير من المتناقضات يحمل في ذات الوقت تلك التجارب التعريبية الفاشلة التي أضحت حجر عثرة في كل دراسة تطرح في التعريب. تجارب فاشلة، وإن لم تكن فاشلة فهي تجارب نصف تطبيقية، وكيف كانت المواقف بعد ذلك تجاه التعريب، وأي البلاد العربية لقي التعريب فيها النجاح، ومن من البلاد العربية خرج من هذه القضية دون صعوبات. تلك أشياء واقعية يعيشها كل وطن عربي بنسب متفاوتة، وكان ذلك مدعاة لأن يلقى تعميم استعمال اللغة العربية في الوطن العربي من يقفون ضده، ومن يدعون إلى طرح الازدواجية اللغوية، أو اعتماد لغة أجنبية لملاحقة العصر. وكأن العصر لا يكون بغير العربية. فتطرح الآن مسألة اللغة العربية الكلاسيكية، أو اللغة القديمة بدعوى أنها أضحت لا تجاري العصر، فهي لعصر الشعر لا لعصر التقانة. فتأتي ذي الدعوات لتدعو إلى:

- تدريس اللهجات المحلية، على أساس أن اللغة وضع واستعمال.

- اعتماد الحرف اللاتيني في كتابتها، لأنه لا مشكل في أشكال الخط اللاتيني، حيث إنه منمط.

- اعتماد لغة المستعمر على أنها مكسب لا يمكن التسامح فيه.... إلخ.

ولقد أسفر هذا الواقع على حالة يأس من هذه اللغة البحر، وكيف آلت إلى هذا الوضع بفضل تهاون أبنائها.

3- رهان واقع البحث العلمي اللغوي: إن البحث العلمي اللغوي في مؤسساتنا الجامعية وفي مراكز البحث لا يلبي تلك التطورات العلمية المطلوبة تجسيدها في اللغة العربية التي هي أعظم من أن تحدها حدود المعيارية أو قل ولا تقل. لكننا وبكل أسف لم نخرج عن برنوس القدامى في أقوالهم التي كانت صالحة في زمانهم وغير ذات جدوى هذا الزمان. وهكذا أصبحت بحثنا تعيش على ما قيل وعلى الحشو، بعيدة عن الإبداع، وعن التطور وملاحقة الواقع، حيث نسمع أقوالا وأساليب من المحيط ومن الإعلام بدل تلك الأقوال الفصيحة، ونوظفها بكل عفوية ولم نحاول أن نرقى بها لتنال التفصيح، فنسمع: ظلموني الناس/ استقبل الوزير من طرف رئيس الجمهورية / البدء بالاسم حالة الإعلام عن خبر ابتدائي... بله الحديث عن تلك التداخلات اللغوية التي يطغى فيها الحرف الفرنسي، وأما الخط فحدث ولا حرج، فكثير من الكتابات لاتُ.

فهم. وهذا كله نتيجة ضعف القدرة على التعبير بالفصحى الذي يدفع إلى بروز عاميات اصطلاحية، ومن المتوقع أن تتزايد هذه الظاهرة قوة في الثقافات الفرعية للشباب وللأقليات وللتجمعات الطبقية في المدن.

ومن خلال كل هذا فإن البحث في التعليم الجامعي، وكثيرا من الدراسات الصادرة عن مراكز البحوث اللغوية لا تسلح المتعلم بالفصاحة. وكل هذا كون اللغة العربية لم تنشأ في بيئة ثقافية، أضف إلى أن التعليم لا يعطيها اهتماما ورعاية وتحارب داخليا وخارجيا لأسباب سياسية وحضارية.

وفي هذه النقطة يستلزم الأمر:

1- العمل الجماعي المنظم (فرق البحث) وهذا ما تقوم به كل الدول، حيث تخصص موازنات لفريق بحث يكلف بملف ما، فيطلب منه أن يعد في المسألة ملفا يطرح التشخيص، ثم التحليل وطرح البدائل الكبرى. ويرتبط ذلك بمدة زمنية.

2- تفعيل المؤسسات الثقافية والأكاديميات والمجامع اللغوية. ويوجد في وطننا العربي كثير من هذه المؤسسات التي تحوي هياكل دون روح، وتنفق عليها لدول كثيرا من أموالها.

3- جمع الرصيد اللغوي الموظف وتوظيفه في الكتاب المدرسي ليكون جاهزا للاستعمال.

4- استعمال الفصيح اللغوي، مع العمل على وضع التلميذ في مراحلة الأولى في الحمام اللغوي ليحصل له الانغماس الصحيح.

التحديات: إنّ التحديات أعظم من أن تقهر، لكن الإرادة أعظم من التحدي ذاته، فلقد مرت كثير من الدول بنفس التجربة، إلا أن التحدي جعلها تحتل مصاف الدول المتقدمة، وما فعلته كوريا وسنغافورة وماليزيا واليابان والصين خير شاهد على ذلك. وإن هذه الدول جعلت لغاتها راقية بفضل المنهج البراغماتي الذي انتهجته؛ ذلك المنهج الذي يعتمد على:

– كل ملفوظ أو خطاب له مقصدية مثل الخوف والتمني والرغبة.

– هناك علاقة مرسل بمتلقي تدفع المرسل إلى تكييف خطابه حسب التلقي.

– لكل طرف استعدادات مسبقة ومكتسبات مختزلة وبنيات وأطر.

– يتولد النص بتحويل المعجم والمقولات النحوية حسب مبدأي التراكم والتقابل.

– الزمان كإيقاع القراءة سواء كان بطيئا أو سريعا والفضاء كمعطي جامد يقاس بالصفحات والسطور.

– انسجام النص ككل[5].

كما أن من مبادئه:

. البرجماتية.

.. الانتقائية

... الفعالية

.... دراسة التداخلات.

---

[5] – عبد اللطيف الفاربي وآخرون، معجم علوم التربية مصطلحات البيداغوجيا والديداكتيك، ط1. الرباط: 1994 مطبعة النجاح الجديدة، ص217.

ومن خلال هذا اعتمدت الدول المذكورة المنهج الذرائعي الذي يعتمد الأخذ من أطراف المناهج التي تخدم لغاتها في جانب من جوانبها، دون اعتماد المنهج الذي لا يخدم لغاتها، وبذلك جعلت لغاتها راقية وحولتها من لغات أدبية وكهنوتية إلى لغات منتجة لدايو وطويوطا كوبانسونيك وشارب وسامسونج...

وإلى أتينا إلى فحص الدلالة اللغوية لمصطلح التحدي، فهو من فعل حدو. تحدى[6] الشيء باراه وغلبه.

تحدى ما يواجهه من عقبات وأخطار. إن التحدي هي الاستجابة للوضع المعيش والتأقلم داخله، والتفعيل فيه. وكثيرة هي التحديات التي تعيشها اللغة العربية في وقتنا الحالي. وكون المعطيات كذلك كثيرة وحادة، أتلمس الملامح الكبرى ذات العلاقة باللغة العربية، ويمكن الاقتصار على بعضها:

موقع اللغة العربية من ظاهرة العولمة: لن أتحدث في هذا المقام عن العولمة في مفهومها الذي يعني تعميم الشيء وتوسيع دائرته ليشمل العالم كله، أو الكشف عن أساليب وأهداف وآليات هذه الذي يعني تعميم الشيء وتوسيع دائرته ليشمل العالم كله، أو الكشف عن أساليب وأهداف وآليات هذه العولمة، والعمل على إبراز معالم صحيحة ناجحة في سبيل مواجهتها، بل اتحدث عن العولمة[7] في كونها حمالة

---

[6] – التحدي والاستجابة: نظرية في فلسفة التاريخ مؤداها أن الحضارة تنشأ عندما يواجه شعب ما تحديا يهدد كيانه فيواجه هذا التحدي ببذل جهد مضاعف استجابة لحب البقاء.

[7] – يجب أن نتجاوز السؤال من تدخل في العولمة دون الدخول في كيفية الاستفادة من التطور. والحقيقة إن هذه الظاهرة ليست جديدة، فقد كانت هناك دائما عولمة في كل مرحلة تاريخية من الرومان إلى الإسلام إلى الأمبراطوريات الحديثة، وتعتبر هذه الحقبة ما بعد الحداثة أي حقبة ثورة المعلومات الناتجة عما يسمى بالثورة الصناعية الثالثة.

أوجه تستعصي على اختزالها في نظرة واحدة، فلها إيجابياتها الكثيرة التي تحمل فرصا غير مسبوقة، وإني أضع العولمة في ظل إطار التغيير والسعي نحو اللحاق بالركب، والبقاء فيها للعامل وللأقوى والأفيد،وكل عزلة تؤدي إلى الانقراض. ومن خلال هذا فإني أتعمل مع العولمة بالنظر إليها على أنها تعطي فرصا كثيرة لكل كعامل يرغب في تطوير لغته، حيث يقدم له الباربول والإنترنيت والبريد لإلكتروني والكمبيوتر كل ما يستلزم من عمليات الإحصاء والترتيب والتخزين والاسترجاع والتصحيح، والمستقبل مفتوح لما لا يتصور في البال.

ويستلزم الأمر في هذا الموقع :

1-تفعيل المنظومة التربوية تفعيلا معاصرا، وذلك بتطوير الخطاب اللغوي حيث يلبي كل أنماط الخطاب البسيط والعلمي، ويغطي كل أساليب التعبير. ويصاحب هذا بالتجديد في متنها اللغوي استجابة لملاحقة العصر. وهذا ما يبعدنا عن سطحية الثقافة وابتذالها، لأن النظم والأساليب التربوية الحالية لا تساير الثورة الصامتة في مجال الروبوتيك.

2- بناء الذخيرة اللغوية، وبنوك المعطيات.

3-علاج اللغة العربية علاجا آليا، من خلال اعتماد نظم الترجمة الآلية منها وإليها.

4-إدخال التراث اللغوي العربي في أقراص ممغنطة.

ويجرنا الحديث في هذا المقام عن قضية **الإعلام والاتصال العولمة**: إن موضوع تأثير الميديا ووسائل الأعلام على السلوك الاجتماعي موضوع مطروق ومعروف، حيث

إن هناك اختراقا استعراضيا لوسائل الإعلام. وأضحت اللغات الغربية[8] تمطر العالم بأطنان من المعلومات يوميا، حتى أضحت الهيمنة اللغوية بارزة. فماذا نحن فاعلون؟

يجب أن تغرس المنظومة التربوية في هذا المجال مفهوم اللغة والمعتقدات والأنظمة السياسية والقانونية والأعراف أنها إرث المنتصرين وأبناء السوق، وأن مشاريع امتلاك لغة تقنية لابد منها إذا أردنا التفعيل في الواقع والمساهمة فيه. لا الاستهلاك والانبهار. وهذا سلوك حضاري قام به الأجداد. فهم تأثروا وأثروا وأسهموا في بناء الحضارة. ولذا نريد إعلاما يحقق القوة من خلال الدعوة لتشغيل العقل والبناء الداخلي ويدفع أجيال هذه الأمة للدخول في العولمة الإعلامية. ومن خلال هذا يجب أن ننظر إلى الإعلام والاتصال كورقة رابحة إذا استطعنا الدخول بلغتنا في عولمة الاتصال. وحسبي أن يكون ذلك عن طريق:

- بناء برامج الاتصال، بعد تنميط اللغة تنميطا عصريا حسب منطاقيات اللغات الحية.

- إيجاد ياقونات في وسائل الاتصال،وعن طريقها تحصل المثاقفة.

- استغلال التطورات التقنية في تطوير اللغة العربية.

---

[8] -إن أربع وكالات أنباء عالمية تحتكر الخبر وتصوغه بكل حرية وتوجهه كما تبتغي. وهي أسوشيتد بريس ويونايتيد بريس (أمريكيتان) وروبتر (إنجليزية) وفرانس بريس (فرنسية). كما أن الإنترنيت يبث من 88% بالإنجليزية، و9 % بالألمانية و2 % بالفرنسية و1% يوزع على بقية اللغات الغربية. ينظر: عبد الهادي بوطالب "لابد من تكامل العولمة والهوية ليكون العالم واحدا متعددا"، مطبوعات الاكاديمية الملكية المغربية الرباط: 1997، عدد العولمة والهوية، ص 125.

– توجيه بعض الاستثمارات العربية في مواجهة الإعلام لتحقيق قاعدة إعلامية تتلاءم مع خصائص النمو الديمغرافي العربي.

– **المعلوميات**: من معالمها الحوسبة والتصغير والأرقمة والتواصل بالساتلات وبالألياف الزجاجية وبالإنترنيت. وهذا مفتاح كبير في عصر الألفية الثالثة. عصر المعلوميات. وإنه لعصر تقني نظامه السرعة والنجاعة والفعالية فما موقعنا منه. ومتا موقع لغتنا في هذه الثورة التكنولوجية.

– يجب أن نقر بأننا من البلاد الجائعة في المعلوميات.في عصر أضحت المعرفة في آلة بسيطة في يد الإنسان. ونحن لا نجاري الكثير منها غلا بعد أن يتجاوزها الوقت. لأن لغتنا لا تنتج هذه التقنيات ولأنها ببساطة لم تصل إلى مستوى القدرة على الانتشار في قواعد المعلوميات ومجاراة هيمنة اللغات في هذا المجال.

– وإن الجهود التي تبذلها بعض المؤسسات العلمية والثقافية لجهد مشكور إلا أن ميدان المنافسة على أشده، ورغم ما يبذل من قبل شركة العالمية وشركة صخر[9]

---

[9] – لقد عملت شركة صخر على تقديم تقنيات متطورة في مجال المنطاقيات. ويمكن أن نشير إلى المنطاقيات العصرية التي أعدتها على غرار ما يوجد في اللغات الحية:

- تقنيات معالجة اللغة العربية الطبيعية L N P.
- النظام المتكامل لإدارة المعلومات بالعربية والإنجليزية.
- نظام النشر الإلكتروني بالعربية والإنجليزية.
- محرك بحث بالعربية والإنجليزية.
- نظام الترجمة من وإلى العربية والإنجليزية.
- تقنيات الكلام الآلي بالعربية.
- برامج تثقيفية وترفيهية بالعربية.
- حل للتجارة الإلكترونية بالعربية والإنجليزية.

يحتاج إلى تمثل جيد إلى تعميمه على أفراد الوطن العربي، ويحتاج إلى أن يتوسع البحث العلمي في مجال إدخال المعلوميات في لغتنا بحيث تصبح منتجة لا مستقبلة. وفي هذا المجال كان لابد من أن يحصل البحث الجدي في:

- كيف الاستفادة من المعلوميات بوصفها حضارة عالمية.
- كيفية الاستفادة من اللغات التي لها ضلع كبير في المعلوميات.
- وضع المنطاقيات باللغة العربية.

3- نشر اللغة العربية خارج محيطها: كنت قد طرحت في كتابي موضوع "تدريس العربية للأجانب"[10] عشرة أسئلة تتعلق بكيفية العمل لإخراج اللغة العربية خارج حدودها، مثل اللغات الحية الأخرى التي لها الواقع العالمي. ولقد رأيت أنه

- قارئ آلي متعدد اللغات.

[10] - ينظر كتابنا: في قضايا فقه اللغة العربية. الجزائر: 1995، ديوان المطبوعات الجامعية. ص 270-292.

ولقد طرحت هذه الأسئلة:

- ما هي الأغراض التي نستهدفها من خلال عملية تعليم العربية للأجنبي ؟
- ما هو المحتوى الذي يلقن لهذا الأجنبي (مواصفاته)؟

1- ما هي أفضل الطرائق التي تجعل الأجنبي يستوعب هذه اللغة؟
2- كيف تستوعب هذه اللغة في ظرف زمني قصير؟
3- ما هي الأساسيات اللغوية التي يجب التركيز عليها؟
4- ما هي الوسائل التعليمية التي تكون رافدة لعملية التعلم هذه؟
5- كيف نجعل اللهجات المحكية قريبة من الفصحى ؟
6- كيف نعالج مشكلة تعليم العربية لأبناء المهاجرين؟
7- ما هو الخط الذي تلقن به هذه اللغة خارج أوطانها؟
10- ما هو القاموس الخاص لغير الناطق بالعربية؟

من الضروري بمكان أن تصل العربية أولا إلى مستوى القدرة على الانتشار في قواعد المعلومات ومجاراة انتشار اللغات الأخرى، لكي يتقبلها غير العرب أولا.

كما رأيت أن اللغة التي لا تتجاوز حدودها محكوم عليها بالانقراض. ولذا كان حريا بنا أن نعمل على النهوض بالعربية في ظل العولمة ليس بالمنطق السابق والألفية القادمة تحتاج إلى نمط جديد يعي التطور العالمي السريع للعلم والتكنولوجيا.

وأقترح في هذا المجال:

على المستوى السطحي، يتطلب:

أولا: تعليمها للجاليات العربية وغير العرب، وخاصة المسلمين منهم من خلال ما يجب ن تقوم به المراكز الثقافية القنصليات في الخارج.

ثانيا: إنتاج المزيد من الحصص الثقافية، واعتماد الإعلام كوسيلة ترويج ثقافية لغوية، وتوظيف الشائع من المستعمل بعد تهذيبه تهذيبا يليق بخصائص اللغة العربية.

ثالثا: بناء نظم تربوية تعمل على تبعد عن الفكر الغيبي وثقافة الانهزام.

وأما على المستوى العميق فإن اللغة العربية تحتاج إلى:

1-تطوير في خطها.

2- تطوير في مناهجها.

3- تطوير في طرائق تبليغها.

4- بناء نظم معلومات متخصصة.

5- معالجتها علاجا آليا.

6- اعتماد الترجمة منها وإليها.

أرجو أن يكون إسهامي هـذا موفور الحظ من الصواب والإفادة، وأن ينـال رعاية التحسين من قبلكم.

المعجم العربي ومدى مسايرته للمفاهيم الحضارية الحديثة

الأستاذ طاهر ميلة
عضو المجلس الأعلى للغة العربية

اسمحوا لي، في البداية، أن أذكركم – أو على الأقل بعضكم– ببعض المسائل التي تعتبر من الأمور المسلم بها عند المختصين في فن صناعة المعجم. ولعل أهمها، هي أن معجم اللغة العام، يعكس الاستعمال الحي للغة في عصر معين، أو في مجموعة من العصور.[1] ونظرا لكون هذا الاستعمال متنوعا، وحجم الألفاظ والعبارات المتداولة فيه كبير جدا بحيث يستحيل على أي معجم أن يجمعها كلها، ولا سيما، بالنسبة للغات الحضارية الكبيرة ذات التاريخ العريق مثل تاريخ اللغة العربية، يلجأ أهل الاختصاص في هذا الميدان، إلى مجموعة من الاختيارات[2]، منها، الاكتفاء بما هو كثير التداول في اللغة ومنها محاولة التوفيق بين الاستعمال المعاصر لهذه اللغة وبين الاستعمال القديم لها، أو بين الاستعمال الآني وبين الاستعمال التاريخي، إذا وظفت أحد المفاهيم الإجرائية الأساسية المعتمدة في الدراسات البنوية. كما يقر أهل هذا الفن، بأن المعجم يعتبر وسيلة مساعدة لاكتساب اللغة[3]. إذ يلجأ إليه المستعمل، لفهم ما يستعصى عليه من كلمات وعبارات أثناء قراءاته. ويعني ما سبق، أن الهدف من وضع المعجم اللغوي العام، بالنسبة للاختصاصي هو وصف الاستعمال الآني للغة بالدرجة الأولى، وأن الهدف من استعمال المعجم بالنسبة للإنسان العادي، هو الإثراء المستمر لمعارفه اللغوية، وخاصة

---

[1] –انظر فيما يتصل بهذا الموضوع مثلا:

-Rey, A, Dictionnaire et français vivant; l'expérience du Petit Robert, La banque des mots, n/ 15, 1978, P.9. و الحمزاوي، رشاد، المعجم العربي في القرن العشرين، مصطلحاته ومناهجه في الجمع والوضع، مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، الجزء 51، ص 266.

[2] – انظر مادة Dictionnaire مثلا في : Dubois, J, Dictionnaire de linguistique, Larousse, 1989

[3] –Bijoint, H, Qu'est-ce qu'un bon dictionnaire? In Recherche en linguistique étrangère Annale Littéraire de l'université de Besançon, vol 16, p12.

استعمال المعجم بالنسبة للإنسان العادي، هو الإثراء المستمر لمعارفه اللغوية، وخاصة ما تعلق منها بالجانب الافرادي.

فمعذرة إخواني، إن قلت لكم، إن هذين الهدفين، لم يتحققا في المعجم العربي الحديث أو المعاصر على وجه الخصوص، بالصورة المنتظرة. قلت معذرة، لأنني كنت أود أن أقول عكس هذا، لولا هذا الواقع الذي يؤكد أن واضع المعجم العربي الحالي، لم يتمكن من إيجاد صيغة التوافق بين الوضع الراهن للغة العربية، وبين وضعها التاريخي. لأننا نجد محتوى هذا المعجم، يتحدث عن الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والروحية للإنسان العربي الذي عاش في العصر الجاهلي وفي صدر الإسلام خاصة، أكثر مما يتحدث عن حياة الإنسان العربي في عصرنا الحالي. وقد انجر عن هذه الوضعية، أن تحول هذا المعجم من وسيلة مفيدة لاكتساب اللغة العربية المستعملة قديما، إلي وسيلة ناقصة جدا بالنسبة للذي يريد اكتساب اللغة المتداولة في محيطه العام في العصر الحالي.وكان من الفروض أن يكون هناك نوع من التوازن.

ينطبق هذا الحكم على المعجم العربي الحالي في عمومه، كما ينطبق على المعجمات القديمة المتأخرة. غير أن هذا الحكم هو غير ذلك، بالنسبة للمعجمات التي ألفت في القرون الأولى من تاريخ الحضارة العربية الإسلامية، إذ استطاع مؤلفو هذه المعجمات أن يصفوا الاستعمال الحي والآني للغة العربية في جانبيها المنطوق والمكتوب، ذلك الاستعمال الذي غطى، كما هو معروف، العصر الجاهلي وحوالي قرن ونصف بعد

الهجرة[4]. كما استطاع اللغويون وأصحاب هذه المعجمات أن يوجدوا مناهج علمية دقيقة في جمع اللغة وتدوينها وترتيبها داخل المعجم، جعلت علماء الغرب، يعترفون بريادة العرب في هذا الميدان.

توقف المعجم العربي عن الوصف المباشر للجانب الإفرادي في اللغة[5]، وبالتالي عن مسايرة الاستعمال الآني لها في القرن الرابع للهجرة، عندما بدأ عدد المسلمين من غير العرب يكبر، وبدأت تظهر بكثرة -نتيجة لذلك- عادات لغوية جديدة، أطلق عليها مصطلح "اللحن". وقد نتج عن هذا التوقف حرمان المعجم العربي من كل المفاهيم الحضارية الجديدة التي عرفها العصر العباسي الذي يمثل أوج ازدهار الحضارة العربية الإسلامية وكذا العصور الموالية له.

بقي معجمنا اللغوي الذي تحول فجأة من معجم آني إلى معجم تاريخي، على هذه الوضعية مدة عشرة قرون تقريبا، ألفت خلالها عدة معجمات، لكن دون أن يحدث أي تغيير ملموس في محتوياتها. ولم يلتفت إلى هذا الخلل بين محتوى المعجم وواقع اللغة العربية الفصحى، وكذا إلى بعض نقائصه الأخرى إلا في النصف الثاني من القرن التاسع عشر عندما أحتك العرب بالحضارة الغربية الحديثة، وأدركوا الهوة الكبيرة التي

[4] -انظر على سبيل المثال:
- عبد الحميد الشلقاني، رواية اللغة، دار المعارف بمصر، القاهرة، 1971.
- إبراهيم السمرائي، المعاجم العربية القديمة، الوسم الثقافي الأول لمجمع اللغة العربية الأردني، 1983، ص 187.

[5] - أحمد حسن الزيات، الوضع اللغوي، وهل للمحدثين حق فيه؟ مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، العدد الثامن، ص 110 فما فوق.

كانت تفصل بينهم وبين هذه الحضارة الجديدة عليهم. لذلك كان لابد من إصلاح أوضاعهم المختلفة من بينها وضع اللغة العربية التي كانت جد متدهورة في ذلك العهد[6]. وكان المعجم من أهم وسائل هذا الإصلاح، لأنه يساعدهم على إيجاد المقابلات العربية للمفاهيم الحضارية الحديثة. غير أنهم لما رجعوا إليه وجدوه، هو أيضا بحاجة إلى إصلاح. لذلك شرعوا في إدخال بعض التحسينات الشكلية عليه، كما فعل بطرس البستاني في معجمه محيط المحيط، وسعيد الشرتوني في معجمه " أقرب الموارد في فصيح العربية والشوارد" وكما نقدوه نقدا عميقا، ولعل أشهر نقد، هو ما قام به أحمد فارس الشدياق، في كتابه الجاسوس على القاموس.

أكتفي هنا بعرض قولين لهذا الأخير، يتناول القول الأول نقدا عاما للمعجم العربي ذكره من خلال وصفه لنوع المعجم الذي يرتضيه قائلا: "أحببت أن أبين في هذا الكتاب من الأسباب ما يخص أهل العربية في عصرنا هذا، على تأليف كتاب في اللغة يكون سهل الترتيب، واضح التعاريف، شاملا للألفاظ التي استعملها الأدباء والكتاب وكل من أشتهر بالتأليف، سهل المجتني، وافي الفوائد، بين العبارة، واضح المقاصد."[7] أما القول الثاني، فخصصه لما فات صاحب القاموس المحيط مما وضعه العرب بعد عصر الاحتجاج، كما سبقت الإشارة إلى ذلك، وهو يقصد من خلال نقده هذا المعجم، نقد كل المعجمات العربية قائلا: "وكنت نويت أن أجعل في مكان هذه الخاتمة، نقدا يشتمل

[6] – انظر الولد، دراسة في نمو وتطور اللغة العربية في العصر الحديث لحلمي خليل، الهيئة المصرية العامة للكتاب الأسكندرية، 1979، ص 9 فما فوق.

[7] – الجاسوس على القاموس، القسطنطينية، مطبعة الجوائب، 1299، ص3.

على ما فات صاحب القاموس من الألفاظ اللغوية والاصطلاحية الفصيحة، وكنت جمعت منها نحو خمسة كراريس، مع مقدمة وازنت فيها بين العرب العاربة والعرب المولدين والغرض من ذلك الاحتجاج بكلام هؤلاء، إذ كانوا متضلعين من العربية كجرير والفرزدق والأخطل وبشار بن برد ومهيار الديلمي وأبي نواس وأبي تمام والبحتري والمتنبي وأبي فراس وأحزابهم.[8]"

ونتيجة لهذا النقد ونقود أخرى، ونظرا لشدة الحاجة إلى استغلال كل الثروة الإفرادية التي عرفتها اللغة العربية عبر تاريخها الطويل، لأن عملية توليد الألفاظ والمصطلحات العلمية، تقتضي الرجوع أولا إلى التراث، فإن لم توجد فيه الكلمة المناسبة للتعبير عن المفاهيم الحديثة، استعملت وسائل أخرى كالاشتقاق والنحت والتعريب، قام م. ع اللغة العربية بالقاهرة، بوصفه أعلى سلطة لغوية في العالم العربي، بإصدار مجموعة من القرارات، استطاع من خلالها أن يخرق، لأول مرة، بصفة رسمية ما كان يسمى " عصر الاحتجاج ".

أكتفي بالاستشهاد بثلاثة قرارات، لها صلة وثيقة بهذا الموضوع، يتعلق القراران الأولان برد الاعتبار لقسم كبير من الألفاظ العربية القديمة التي لم يعترف بها اللغويون القدامى. لذلك لم يدرجوها في معجماتهم. ويتعلق القرار الثالث بالاعتراف بما تضعه الخاصة من العرب المحدثين.

كان أول قرار أصدره المجمع في هذا الموضوع، متصلا بالمولد، وقد كانت صيغته

[8] – المصدر نفسه، ص 520.

كالآتي[9]: (المولد هو اللفظ الذي استعمله المولدون على غير استعمال العرب. وهو قسمان:

1- قسم جروا فيه على أقيسة كلام العرب من مجاز أو اشتقاق أونحوهما كاصطلاحات العلوم والصناعات وغير ذلك. وحكمه أنه عربي سائغ.

2- وقسم خرجوا فيه على أقيسة كلام العرب، إما باستعمال لفظ أعجمي، لم تعربه العرب... وإما بتحريف في اللفظ أو في الدلالة، لا يمكن معه التخريج على وجه صحيح. وإما بوضع اللفظ ارتجالا. والمجمع لا يجيز النوعين الأخيرين في فصيح الكلام).

يعتبر اتخاذ هذا القرار عملا هاما، بل ثوريا، لأنه لم يتجرأ أحد من قبل القيام به. على الرغم من سلامة سنده. لأن اللغة ظاهرة طبيعية تتطور بتطور المجتمع وبالتالي كانت لكل عصر لغته. غير أن ما يمكن أن يلاحظ عليه، هو التشدد المفرط الذي أظهره المجمع في شأن النوعي الأخيرين، ولاسيما فيما يتصل بإعطاء حق التعريب للعرب الذين عاشوا في عصور الاحتجاج ومنعه على العرب الذين عاشوا بعده.

أما قراره الخاص بالاحتجاج بالأحاديث النبوية الشريفة[10]، فقد كان مقيدا بمجموعة من الشروط، منها أنه لا يصح الاحتجاج بحديث لا يوجد في الكتب المدونة في الصدر الأول فما قبلها، كالكتب الصحاح الست. كما أن الاحتجاج بالأحاديث الواردة في كتب هذه الفترة خاضعة لعدد كبير من الضوابط المذكورة في نص القرار. أما القرار

[9] - محمد خلف الله ومحمد شوقي أمين، مجموعة القرارات العلمية، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، الطبعة الثانية، 1971، ص 6

[10] - المصدر نفسه، ص 3-4.

الخاص بقبول السماع من المحدثين، فكان نصه كالأتي: "يقبل السماع من المحدثين بشرط أن تدرس كل كلمة على حدتها قبل إقرارها"[11].

ويبدو لي، بشأن هذا القرار الأخير، أنه يستحيل على أي هيئة أن تدرس كل كلمة توضع حديثا، ولاسيما إذا علمنا أن عدد الألفاظ والمصطلحات التي تخرج إلى الوجود سنويا في العالم يعد بالآلاف، كما أن عدد الأفراد الذين يحتمل أن يقوموا بعملية التوليد يعد أيضا بالآلاف، إن لم يكونوا بالملايين. ويظهر أن المجمع قصد بقراره هذا لغة الخاصة، دون العامة، لكن لست أدري، ألا زال هذا المفهوم صالحا في عصرنا الحالي أم لا، بعد انتشار التعليم ووسائل التثقيف؟

وقد طبق المجمع هذه القرارات الثلاثة، وغيرها من القرارات الكثيرة التي اتخذها في المعجمات التي أصدرها كالمعجم الكبير والوسيط والوجيز. وقد تم ذلك بإدخال عدد كبير من الألفاظ والمصطلحات العلمية المولدة والمحدثة في هذه المعجمات، واستشهد فيها بالأحاديث النبوية الشريفة. غير أن ما يلاحظ على ما ورد في هذه المعجمات، هو عدم التطبيق أحيانا، للقيود التي وضعها في قراراته، ككثرة الألفاظ المعربة مثلا التي يوصي بعدم اللجوء إليها إلا عند الضرورة.[12] فعلى الرغم من فتح باب الوضع في اللغة، مع القيود المذكورة، وعلى الرغم من إدخال عدد كبير من الألفاظ والمصطلحات العلمية الحديثة، لم يتمكن المعجميون العرب المحدثون من إيجاد التوازن المطلوب بين الوضعين الآني والتاريخي في مؤلفاتهم اللغوية. إذ لازال تجنيب الاستعمال الحديث والمعاصر في

[11] – المصدر نفسه، ص 14.

[12] – انظر متن المعجم الوسيط مثلا.

معجماتنا ضعيفا، ولازالت حصة الأسد فيها للاستعمال القديم.ويستطيع أن يتأكد من هذه الوضعية كل من يتعامل مع هذه المعجمات بصفة دائمة.

ويصف أحد المترجمين – وهو عضو شرف في مجمع اللغة العربية الأردني – حالة المعجم العربي المعاصر، بعد قرارات مجمع اللغة العربية بأكثر من عشرين سنة، قائلا:

"إن المعاجم العربية التي بين أيدينا تحتاج إلى وضع جديد، فيه تصحيح وتنقيح وتوضيح، حتى تكون وافية بالغرض ويستفاد منها، وهي في حالتها الحاضرة عاجزة عن الوصول بنا إلى الهدف... وأقول إن عدم الدقة في معاني الكلمات والخلط بين معنى وآخر وسوء الفهم، أورثت فينا تشويشا في الفكر، وعدم الدقة في التفكير."[13] ويقترح في مكان آخر الصورة التي يتمنى أن يكون عليه المعجم العربي المعاصر قائلا: " ويجب أن يكون المعجم الجديد مشروحا بلغة مأنوسة، وبكلام يمت إلى الواقع بصلة وثيقة، وتكون صور المعاني فيه مألوفة، مع ذكر الأمثلة الكثيرة للشرح والتوضيح، ولا يجوز أن يكون بين الأيدي معجم لا يذكر فيه إلا الإبل وما إليها، ويحتاج إلى فهمه إلى معجم آخر وفيه كلمات مهجورة غابت عن الناس مدلولاتها".[14]

وقد أكدت لي حقيقة بعد المعجم العربي الحديث والمعاصر عن واقعنا اللغوي المعيش مقارنة عينة من الألفاظ الحضارية الجديدة التي استعملها بعض الأدباء والصحافيين بعينة من المعجمات الأحادية اللغة والثنائية هي: المعجم الوسيط الذي

[13] – حسن الكريي، المعجم العربي والتعريب، الموسم الثقافي الأول لمجمع اللغة العربي الاردني، ص 250.

[14] – المصدر نفسه، ص 251.

أصدره مجمع اللغة العربية بالقاهرة سنة 1960، والمعجم العربي الأساسي الذي أصدرته المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم سنة، 1989، والمنهل لسهيل إدريس وجبور عبد النور، الذي صدرت طبعته الأولى سنة 1970، والسبيل لدنيال ريغ الذي صدر عن دار لاروس سنة 1983.

وبينت لي هذه المقارنة، أن عددا كبيرا من هذه الألفاظ هو خارج المعجمات المتداولة بين الناس في عمومها. غير أن هناك تفاوتا بين معجم وآخر، وبين المعجمات الأحادية والثنائية في نسبة إدخال هذه الألفاظ.

وفيما يأتي وصف موجز لنتائج هذه المقارنة :

- المعجم الوسيط:

لم يقبل هذا المعجم في طبعته الثالثة (1985) عددا كبيرا من الألفاظ الحضارية التي تضمنتها العينة، على الرغم من حداثته، وعلى الرغم من النقد الموجه إليه وحاولت أن أعرف أصناف هذه الألفاظ التي أهملها، فوجدتها تدخل في الحالتين الآتيتين:

الحالة الأولى: وتتضمن الأصناف الخمسة الآتية:

- ألفاظ عربية، يحتمل أن تكون ظهرت بعد صدور المعجم، أو صدر قبل كثرة تداولها مثل:

مبرمج، جدولة، خوصصة، معلوميات، وسائط متعددة، قارئة أشرطة أسطوانة ضوئية ...إلخ.

- ألفاظ دخيلة ومعربة، يحتمل أن تكون ظهرت بعد صدور المعجم، أو صدر قبل كثرة تداولها مثل : بيروتيك، تيليبنك، فاكس، سكانير، تيليتيكست ...إلخ.

ملاحظة: لم ترد المفاهيم التي تعبر عنها ألفاظ الصنفين السابقين في كل المعجمات التي رجعت إليها.

- ألفاظ دخيلة ومعربة غير مستقرة في الاستعمال، ولها مقابلات عربية غير مستقرة أيضا مثل: بانيوهات، ببلوهات براغماتي بيرغولا، بريكولاج، سوسبنس ...إلخ.

-ألفاظ دخيلة ومعربة استقرت في الاستعمال، ولها مقابلات عربية مستقرة أيضا بنفس التواتر تقريبا في الاستعمال المكتوب على وجه الخصوص مثل: تاكسي، تلفزة راديو سكرتارية، أكاديمية ...إلخ.

-ألفاظ ولدها بعض الأدباء، ولم ترد عند غيرهم مثل: ثدايات (soutien-gorge)، حباسة (frein) ، مناويل (manivelle) ، دفاع (accélérateur، تغريز (crevaison .

الحالة الثانية: وتتضمن الأصناف الآتية:

- ألفاظ عربية استقرت في الاستعمال، وليس لها مرادفات أخرى مثل: بدلة، بشرية بطانية، بريد (مكان)، شقة، تصحر، متعلم، تعاونية، كلية، انتهازية خدمات ذاتية ـحروقات، مشروبات ...إلخ.

– ألفاظ تطورت معانيها، ولم يراع ذلك مؤلفو هذا المعجم مثل:

– حزب: "الحزب الأرض الغليظة الشديدة. والجماعة فيها قوة وصلابة. و كل

قوم تشاكلت أهواؤهم وأعمالهم. وحزب الرجل أعوانه. والنصيب. وما يعتاده المرء من صلاة وقراءة ودعاء. "بينما المعنى الحديث[15] هو "تنظيم سياسي له فلسفة معينة، يدعو إليها، ومنهج يلتزم به لتحقيق أهدافه."

2-صناعة: " (الصناعة) هي حرفة الصانع. وكل علم أو فن مارسه الإنسان حتى يمهر فيه ويصبح حرفة له." بينما المعنى الحديث هو أكثر دقة من المعنى الذي لايزال متداولا أيضا، وهو: "فن تحويل المواد الأولية إلى مواد للاستعمال، وهي خفيفة كصناعة المواد الغذائية، أو ثقيلة كصناعة السفن والطائرات ونحوها، صناعات آلية صناعات كيميائية."

3-مقود: "القياد ج مقاود. والقياد ما تقاد به الدابة من حبل ونحوه..." بينما المعنى ا يث هو "ما تقاد به الآلات المتحركة.... مقود السيارة ومقود الطائرة..."

- ألفاظ مركبة تركيبا إضافيا أو نعتيا منها: آلة كاتبة، آلة حاسبة، بناء جاهز دراجة نارية أو بخارية، رخصة القيادة أو السياقة، معجون الأسنان، قنبلة يدوية قنبلة ذرية، قاعة الحفلات أو الأفراح، مواد غذائية، مواد أولية، طبيب العيون ...إلخ.

إن التوليد يمكن أن يكون في الكلمة المفردة،كما يمكن أن يكون في الكلمة المركبة لأن الأساس في االتوليد، هو التعبير عن المفاهيم الجديدة. لذا كان من واجب مؤلفي هذا المعجم أن يدرجوا هذه الألفاظ ومثيلاتها في متن معجمهم، ما دامت سليمة التركيب كثيرة الشيوع. ولم تنافسها ألفاظ أخرى.

[15] -انظر المعجم العربي الأساسي.

– صيغ جديدة كانت في الأصل أوصافا، ثم فقدت سمة الوصف، بعد تحولها إلى أسماء منها: أرستوقراطي، مؤهلات، روائي، أسبوعية، قروي، متقاعد، إقطاعي مقبلات مفكر ...إلخ.

لقد تفادى مؤلفو المعجم الوسيط في معظم الأحيان إدراج الأوصاف في متنهم، ظنا منهم أنها يمكن أن تعرف بالقياس، وهو ظن في محله، غير أن هناك عددا من الأوصاف فقدت صفة الحدث، وتحولت بالتالي إلى مجرد أسماء. فالمقبلات والمؤهلات هنا مثلا لا تدل على معنى قبل وأهل، في رأي المستعمل العادي، على الأقل.

ومجمل القول في تعامل مؤلفي المعجم الوسيط مع المفاهيم الحضارية الجديدة، أنه تعامل ضعيف جدا، إذ عكسوا الاستعمال القديم أكثر من الاستعمال الحديث الذي كان لهم فضل البداية في الاهتمام به. فهم محقون – في رأي – في عدم إدراج الألفاظ الواردة في الحالة الأولى، نظرا ربما لكونها، إما دخيلة غيرمستقرة، أو دخيلة مستقرة لكن لها مقابلات عربية. غير أن هذه الحجج التي يمكن أن يتعلل بها، لا تنطبق على الألفاظ الواردة في الحالة الثانية، لأنها كلمات عربية فصيحة في مجملها، انغرست في الاستعمال، وليس لها مرادفات أخرى أفصح منها في حدود معرفتي.

المعجم العربي الأساسي: إذا تركنا جانبا مميزاته المنهجية والشكلية، لأنها لا تختلف عن أحدث المعجمات المتداولة في الدول المتقدمة، ونظرنا إلى محتواه، فيمكن القول إنه أول معجم عربي أوحادي اللغة، استطاع مؤلفوه أن يحدثوا فيه التوازن المطلوب بين المحورين التاريخي والوصفي الآني، بتوزيع متن معجمهم توزيعا مقبولا بين التراث وبين والواقع المعيش في رأي. غير أنهم لم يتمكنوا من إدراج معظم الألفاظ

والعبارات المتداولة في عصرنا، لصغر حجمه، ولأنـه كـان موجـها في البدايـة – باعتبـاره معجما مدرسيا – إلى الناطقين بغير العربية.

وتتضح صلة المعجم العربي الأساسي القوية بالاستعمال الآني اللغة العربيـة في أنـه استطاع مؤلفوه، وهم من كبار اللغوين العرب– أن يتداركوا عددا كبـيرا مـن الألفـاظ الـتي تجاهلها أو أهملها صانعو المعجم الوسيط. فعلى سبيل المثال– لا الحصر – تدارك هـؤلاء اللغويون كل الألفاظ الواردة في الحالة الثانيـة مـا عـدا الألفـاظ الآتيـة: متعلـم، أسـبوعية البناء الجاهز، مفكر، متقاعد. كما لم يضمنوه اللفظين الآتيـين: دراجـة ناريـة، رخصـة السـياقة، المسـتعملتين في المغـرب العربـي، واكتفـوا بمرادفتيـهما المسـتعملتين في المشـرق العربي.

المعجمات الثنائيـة: إن هـذا النـوع مـن المعجمـات هـو أكـثر مسـايرة للمفـاهيم الحضارية الحديثة من مثيلاتها الأحادية، ولاسيما تلـك الـتي كـانت مداخلـها باللغـات الأجنبية مثل المعجمات الفرنسية العربية أو الإنجليزية العربية...، والسبب في ذلـك هـو أنها تنطلق من المفاهيم المتداولة في هذه اللغات نفسها. وكـان محتـوى هـذه المعجمـات في عمومها –نتيجة لذلك – يعكس الوضع الآني للعربية أكثر من وضعها التاريخي. غير أنه لما كان معظم الألفاظ التي تعبر عن المفاهيم الحضارية في اضطراب كبـير لعـدم اسـتقرارها وتوحيدها، انعكس هذا الاضطراب على هذا النوع من المعجمات.

وفيما يأتي توضيح لهذه المسألة من خلال هاتين الحالتين:

الحالة الأولى: وهي التي اشترك فيها المعجمان في مرادف واحد، واختلفا في بقية المترادفات، وقد أحصيت 115 مفهوما من هذا النوع، منها:

المفهوم	المنهل	السبيل
Crosse d'un fusil –1	أخمص، فندق	أخمص
Tournedisque–2	حـــاك، فونوغـــراف، إلكتروغراف	حاك
Tube, Tuyau–3	أنبوب، أنبوبة، قسطل، قصبة، قناة	أنبوب، أنبوبة، ماســورة، قادوس، قسطل
Orchestre–4	جوقة	جوقة، جوق، فرقة موسيقية
Archive–5	وثائق، سجلات	وثائق، محفوظات
Grue–6	مرفاع	مرفع مرفاع، رافعة
Bar–7	حانة، خمارة	حانة، خمارة، بار
Baignoire–8	مغطس	حوض حمام، مغطس

الحالة الثانية: وهي الحالة التي اختلف فيها هذان المعجمان اختلافا كليا في وصف بعض المفاهيم الحضارية الحديثة التي يقدر عددها ب 60 مفهوما، وهذه أمثلة منها:

المفهوم	المنهل	السبيل
Album–1	ألبوم	دفتر الصور
Cadre (administratif) –2	موظف إداري	كادر، إطار
Tricoteuse, Tisseuse –3	زرادة	حائكة
Blouse –4	بلوزة	صدرية
Thermomètre–5	محر	مقياس الحرارة
Toilette–6	مغسل	دورة المياه
Pension –7	فندق عائلي	مثوى
Carte d'identité –8	بطاقة شخصية، تذكرة هوية	بطاقة هوية، بطاقة تعريف

يتضح من الوصف السابق، ومن هذه الأمثلة، أن المعجم العربي الحديث أو المعاصر في عمومه، لايزال بعيدا عن الاستعمال الحي للغة العربية، على الرغم من بعض الإنجازات الجيدة، لاسيما فيما يتصل بالمفاهيم الحضارية الحديثة. ولهذه الوضعية أسباب، بعضها موضوعي، وبعضها غير موضوعي فيما أرى.

فالأسباب الموضوعية تكمن في الأساس في اضطراب الاستعمال من خلال الصراع الحاصل بالنسبة للمفهوم الواحد بين عدد من المقابلات المقترحة له. يكون في أغلب الأحيان بين الألفاظ الدخيلة وبين الألفاظ العربية. ويكون في أحيان أخرى بين الألفاظ العربية فيما بينها. أو فيما بين الألفاظ الدخيلة. وهذا ما أدى إلى عدم التوحيد، نظرا لشساعة العالم العربي واختلاف أنظمته وقلة التنسيق بين دوله. مما جعل ويجعل واضع المعجم يجد صعوبات كثيرة في الاختيار الموضوعي للألفاظ المناسبة.

أما الأسباب غير الموضوعية. فتكمن خاصة في عدم وجود حركة لغوية عربية مشتركة تتابع الاستعمال الفعلي في جميع المجالات التي تستعمل فيها اللغة العربية وتستعمل أحدث المناهج العلمية لرصد ما استقر في الاستعمال. واقتراح حلول ظرفية للألفاظ والمصطلحات التي لم تستقر بعد. ولعل مشروع الذخيرة اللغوية الذي اقترحه الأستاذ عبد الرحمان الحاج صالح. خير بداية لمثل هذه الحركة التي نتوقع أن تصل إلى نتائج علمية نظرية وتطبيقية كثيرة منها. إصدار أنواع من المعجمات التي تلبي حاجات الإنسان العربي المختلفة في العصر الحالي. وتحدثه عن الدبابة والسيارة والطائرة والشقة أكثر مما تحدثه عن الدابة والناقة والخيمة التي لا نستغني عنها أيضا. إذا كان استعمال الناس لها لازال حيا. و إن هذا ليس على الله بعزيز. مادامت هذه الوجوه الكريمة مصرة على الاهتمام بقضايا اللغة العربية. وما دام هناك مؤسسات سخرتها الدولة الجزائرية والدول العربية الأخرى لخدمة هذه اللغة الشريفة. وعلى رأسها المجلس الأعلى للغة العربية الذي أتاح هذه الفرصة. والمجمع الجزائري للغة العربية الذي شرفني بإلقاء هذه المحاضرة في مقره.

اللغة العربية والاتصال

الدكتور عبد الجليل مرتاض
عضو المجلس الأعلى للغة العربية

ظاهرة الاتصال اللغوي: فرق كبير أن نتحرك من شيء يحمل ذاته بنفسه. ومن شيء آخر لا يتاح له أن يحمل ذاته. إلا بغيرة. أضف إلى هذه الغيابية في الجنس الذي نريد تناوله مستقلا في غير ذاته أنه جنس يجمع بين آنية وتعاقبية. غير أن الآنية والتعاقبية كلتيهما. بالنسبة لظاهرة الاتصال. نمطان متذبذبان. وقد يتبادلان الموقعين بحيث تؤول الآنية إلى سياقات تاريخية أو أنساق ثقافية أو اجتماعية. بينما قد تتجرد التعاقبية من كل دلالة تطورية لتتقمص فكرة جديدة مطبوعة بمسحات آنية.

إن ظاهرة الاتصال اللغوي ليست تواضعات جماعية قارة حتى تكون تواضعا زمنيا من جراء وقوع أحداث منفصلة في المكان. بدعوى أن الجاهلي يناقض المخضرم. وهذين لا يمتان بصلة إلى ما بعدهما من اتصالات وحتى تواضعات. فظاهرة الاتصال ليست ثابتة ثبوتا جامعا مانعا بآنيتها وحدها. وبالمثل غير مباح لنا أن نصف هذه الظاهرة بأنها اصطلاحات جماعية من جراء وقوع أحداث مرتبطة ارتباطا في الزمن.

بمعنى آخر. ليس الاتصال اللغوي عدوا لدودا لكل ما هو عقد جماعي. ولا حليفا تقليديا لكل ما هو إبداع فردي. إذ لا يشكل انتقاله إلى مرحلة تالية هدما وردا لكل ما سبقها من مراحل. لأن العقد الاجتماعي " هو في جوهره عقد أو تحويل ترتبط الأطراف فيه بتزامنات متبادلة. ويتحقق الإدراك المتبادل والمعرفة المتبادلة فقط في ضوء تلك الإلتزامات. أي بطريقة مجردة أو غير شخصية. والعقد رابطة تقوم على أساس الانفصال العملي للأفراد. ويعتبر التواصل علاقة تبعية متبادلة تقام تعسفيا. على النقيض من

العقد"[1]. ويذهب بعض المحلين إلى هذه الإشكالية إلى أن نظرية التواصل برمتها ما هي إلا شكل معدل لحماية ما أطلقوا عليه "الروابط الطبقية المغلقة" [2]. وهذا التفكير الماركسي البائد للاتصال ليس له ما يبرره قديما ولا حديثا، بل أغلب ما نعرف يناقضه. ومآل الماركسية إلى ما آلت إليه أول دليل على ذلك. على الرغم من أن روابط طبقية أرستقراطية لا تبرح مغلقة. لكن هذه الروابط الاجتماعية المغلقة في ضوء أفكار سلفية مثالية ومتعالية لا يمكن تفسيرها داخل ما هو اتصال لغوي عام.

أيًا كان الأمر. فإننا كلما حاولنا أن نغوص في إشكالية ظاهرة الاتصال. وجدنا أنفسنا. وكأننا نقصى. بفعل فاعل ما. عن نواتها المركزية حتى لا تسبر وتخبر تمردا علينا من أن تعرف أو حتى توصف. على الرغم من المقاربات العقلية والأدوات الإجرائية التي أصبحت اللسانيات المعاصرة تتسم بها وتملكها.

على أي حال. لا أحد من اللسانيين القدماء يتردد في القول بأن "اللغة العربية أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم" حسب تعبير ابن جني. ولا أحد من المحدثين يشك بأن الوظيفة الأساسية للغة البشرية "تتيح لكل إنسان إيصال تجربته الشخصية إلى نظائره. ويشمل مفهوم "التجربة" كل ما يشعر به الإنسان أو يلاحظه سواء أخذت هذه التجربة صيغة يقين أم شك أم رغبة أم حاجة"[3] على حد تعبير اللساني الفرنسي أندري مارتيني.

1- الموسوعة الفلسفية ص 148 مجموعة من الأكاديميين السوفيات

2- أنظر المرجع السابق ص 148

3- اللسانيات الميسرة ص 69. سليم بابا عمر وباني عميري

ومن غير اليسير وضع أحياز فضائية أو أبعاد زمنية لظاهرة الاتصال في قوالب أو أشكال رياضية صارمة مثل الأمر، أن اللغة بوصفها ظاهرة اجتماعية عقد جماعي، وصك فردي. فنحن حين نعود إلى ماثات الفوارق اللغوية أو اللهجية القبلية التي تتكون منها زبدة اللغة العربية المشتركة. تجعلنا لا نتردد أمام الاعتقاد السائد بأن اللغة مستقلة في ماهيتها عن الفرد. بل الفرد ((بشكل من أشكال الإبداع الخلاق هو الذي يمكن أن يوصف بقدر نسبي من عدم الانصياع المطرد إلى لغته. على الرغم من الترابط المتلازم بين اللغة والكلام))[4]. وحتى هذا التلازم التواضعي ليس ثابتًا إطلاقًا بين اللغة والكلام. مما يتيح لهما أن يكونا شيئين متميزين كليا الواحد عن الأخر[5] "وذلك بالنظر إلى كون الكلام ظاهرة مختلفة عن اللغة لكون الأول ذا طابع حركي. والثانية ذات مظهر يبدو شبه ثابت باستمرار، لو لا الاعتداءات الخارجية التي تزعزعها بدون انقطاع"[6]. المتكلم عادة ما يستعمل لسانه للتعبير عن مشاعره ليترك تحليلها إلى الملتقي. دون أدنى اهتمام بما قد ينجر عن هذا التعبير من ردود أفعال هذا المتلقي أو ذاك. وهذا لا يعني إطلاقا أن اللغة منظومة لسانية فوضوية. بل كل ما في الأمر أن ظاهرة الاتصال مستويات لا مستوى واحد. على أن نميز تمييزا واضحا بين اللغات الطبيعية واللغات الدِّيدكْتيكية. أي بين ذلك الإنسان الذي يتواصل باللغة سليقة وبصورة لا واعية وبين الآخر الذي يتواصل بلغة تعلمية مفبركة بطرق شتى. وعوامل قد تكون خارج إرادة الفرد.

---

[4]- اللغة والتواصل ص 6. عبد الجليل مرتاض.

[5]- محاضرات في الألسنية العامة ص 32. دي سوسور

[6]- اللغة والتواصل ص 16

ظاهرة الاتصال في اللغة العربية: وبالنسبة للغة العربية يمكن القول بأنها كانت أكثر ترابطا بألسنية كلامها قبل عصر التدوين منها مابعده. وإنما الصراع احتد بين هذين الأمرين بعد إخضاعها إلى عملية الجمع والتدوين، واستحداث مصطلحات لسانية لا قبل لألسنية اللغة فيها من ذي قبل للتعبير عن أجزاء وعناصر الكلام فيها ولذلك حين دخل أعرابي مسجد البصرة، وطاف بحلقاتها العلمية في العلوم اللسانية انصرف عنها قائلا:[7]

مازال أخْذَهُمْ في النحو يعجبني حتى تعاطوا كلام الزّنج والروم

حتى سمعت كلاما لست أعرفه كأنه زجل الغربان والبوم

رفضت نحوهم، والله يعصمني من التفخّم في تلك الجراثيم.

ما أكثر ما نصادف مستويات لغوية متباينة في التراث اللغوي والأدبي العربي القديم. وهي تقفنا على عدول الطبع اللساني البريء من ألسنية اللغة إلى ألسنية الكلام أي خروج الفرد العربي من ذلك العقد الجماعي الذي يربطه بالكل إلى صك فردي يتحرر بموجبه تحررا نسبيا لا يتجاوز فضاءه القبلي أو الجهوي. وحتى لا يبقى كلامنا هنا ضربا من الهذر المجرد، يليق بنا أن نستعرض نماذج من التكلمات العربية الدالة على تباين هذه المستويات عندهم في الاتصال اللغوي. قال الله تعالى: "وقلنا يا آدم: اسكن أنت وزوجك الجنة"[8] على لهجة الحجاز، بينما قال العجاج وغيره من الشعراء على

---

[7] - نور القبس ص 58. الزبيدي

[8] - سورة البقرة آية 35.

لهجة تميم وأهالي نجد: لا تسأل الزوجة ريح العطر. قرأ حمزة، والكسائي، وأبو بكر قوله تعالى: "وليستبين سبيل المجرمين"[9]. بينما قرأ الباقون بالتاء[10]. أي الثلاثة ذكروا السبيل قراءة على لهجة تميم. وأنث الباقون الكلمة نفسها على لهجة الحجاز والقرآن استعمل الجنسين معًا. "قل هذه سبيلي"[11]. على لهجة الحجاز.

((وإن يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا))[12] على لهجة تميم.

وقال شاعر قديم موظفا (لعل) حرف جر[13]:

فقلت: ادع أخرى، وارفع الصوت جَهْرة لعل أبي المغوار منك قريب.

وذكر الأخفش الأصغر أنه لا يعرف وجها أي قاعدة نحوية في إدخال الألف واللام على الاسم المضاف في اللغة العربية العامة، ولكن أحد اللغويين، وهو الرياشي حكى لنا أن من العرب من يقول: "والوَيْل امه من الرجال". ومن العرب من كان يعرب جمع المذكر السالم بالحركة الظاهرة على آخر النون تبعا لموقعه من الإعراب. قال الصمت ابن عبد الله:

ذراني من نجد، فإن سنينه لعبن بنا شيبًا وشيَّبْنَنا مُرْدا

---

[9]- سورة الأنعام آية ص 55.

[10]- التيسير ص 37. الداني

11- سورة يوسف آية 108

[12]- سورة الأعراف 146

[13]- النوادر ص 37. أبو زيد الأنصاري

وقال جرير:

أرى مرّ السّنين أخذْنَ مِنّي كما أخذ السرارُ من الهـــلال.

وقال آخر:

ألم تَسُق الحجيج سلي معدًا سنينًا ما تُعَدُّ لنا حسابًا.

وفي الحديث: "اللهم أجعلها سنينًا كسنين يوسف"[14].

ومن التواصلات اللغوية العربية القديمة ما يدل على أنها كانت تطابق العدد في الجملة الفعلية، أي كانت تظهر علامة التثنية والجمع مع الفعل. وعلى هذه اللغة جاء قوله تعالى: ((وأسروا النجوى الذين ظلموا))[15]. ((ثم عَمُوا وصَمُّوا كثيرٌ منهم))[16]. وفي الحديث ((يتعاقبون فيكم ملائكة))[17]. ولعل هذا ما عناه سيبويه بقوله: "وأعلم أن من العرب من يقول: ضربوني قومك، وضرباني أخواك. فشبهوا هذا بالتاء التي يظهرونها فقالت فلانة، وكأنهم أرادوا أن يجعلوا للجمع علامة كما جعلوا للمؤنث"[18] ومع ذلك فإن حرية الفرد بالنسبة لمجتمعه اللغوي ينبغي أن تكون حرية نسبية لا مطلقة في مجال النسج البنيوي والخلق والإبداع وتنويع الجمل عبر قواعد هي نفسها لدى الباث

---

[14]- شرح ابن عقيل 65/1. ابن عقيل.

[15]- سورة الأنبياء، آية 30.

16- سورة المائدة آية 71.

[17]-قطر الندى ص 64 ابن هشام.

[18]- الكتاب 40/2. سيبويه.

والمتلقي. لأنه كفانا ما يوجد من ثلاثة إلى أربعة آلف لغة على سطح معمورتنا. وعلى الفرد أن يظل تحت سلطات اللغة الجماعية لا فوقها. وإبداعه ينبغي ألاّ يعدو أكثر من تنظيم علاماتها المسموح بها قواعديا. والمتواضع عليها اجتماعيا. وما هذه الأمثلة إلا قطرة من كثر. ومع ذلك فإنها تصعب من مهمة الاعتقاد بأن اللغة بصفتها عقدا تواضعيا جمعيا مستقلة في ماهيتها عمن ينهلون ويغرفون منها نهلا وغرفا.

غير أن هذا العدول النسبي الذي نادرا ما تسمح به لغة من اللغات لمتواصلين بها حتى وإن حدث عفويا أو طبيعيا فإن الجزء منه في مستوى معين لا يحيد عن المستوى التواصلي العام بين أصحاب اللغة الواحدة. وهذا ما يراه أحد اللسانيين المعاصرين وهو يتحدث عن عملية الاتصال اللغوي ((إن التواصل اللغوي مسار يكون المعنى الذي يقرن به المتكلم الأصوات هو نفس المعنى الذي يقرن به المستمع الأصوات نفسها. فقد يكون من الضروري أن نستخلص من ذلك أن متكلمي لغة طبيعية معينة يتواصلون فيما بينهم في لغتهم. لأن كلا منهم يمتلك بصورة أساسية تنظيم القواعد نفسه. ويتم التواصل لان المتكلم يرسل مرسلة عبر استعمال نفس القواعد اللغوية التي يستعملها المستمع إليه لكي يلتقطها...))[19].

ظاهرة الاتصال بين اللغات مختلفة في المبنى وليس في المعنى: منذ ظهور مدرسة كوبنهاغن اللسانية (1935)، تغيرت النظرة الضيقة إلى اللغة وأصبحت تنظر إلى اللغة البشرية على أساس أنها منظومة لسانية متكاملة منغلقة على نفسها. فضلا عن كونها

---

[19] الألسنية (علم اللغة الحديث) ص 82-83 ميشال زكريا.

بنية من نوع خاص، وليس مثلما كان يردد العالم الأمريكي وايتني من أن اللغة أشبه ما تكون بمؤسسة اجتماعية. وأن استخدامنا الجهاز الصوتي وسيلة للغة إنما يعود إلى المصادفة. لأنه ربما كان في نظره بمقدور الإنسان أن يختار الحركة. وأن يستخدم الصور البصرية موضع الصور السمعية. ودي سوسور حتى وإن وصف وايتني بالمغالاة فيما ذهب إليه معقبا أن الإنسان لم يختر أعضاءه الصوتية بمحض الصدفة. بل هي مفروضة علينا من الطبيعة بشكل ما. فإنه يتفق معه بأن اللغة اتفاق وما الجهاز الصوتي إلا شيء ثانوي في مشكلة اللسان[20].

وممن أبرز مبادئ هذه المدرسة النسقية الكوبنهاغية هيلمسليف الذي نظر إلى اللسان نظرة شكلية انطلاقا مما انتهى إليه قبله دي سوسورس أن اللغة شكل وليست جوهرا أو مادة[21] ((فليس هناك إذا عملية تجعل الأفكار مادية ولا أخرى تجعل الأصوات روحية))[22]. ومما رآه هلمسليف أن دراسة اللسان ينبغي أن تقوم على مستويين: مستوى التعبير. ومستوى المضمون. ثم يقوم ((بعملية تعميم هذين المبدأين. ويصل إلى الاعتقاد بأن الفرق بين اللسانين يكمن في الشكل الذي في التعبير وليس في المضمون. ولهذا تمكن الترجمة من لسان إلى آخر))[23]

---

[20]- محاضرات في الألسنية العامة ص 21

[21]- نفس ص 147

[22]- نفس ص 138

[23]- اللسانيات الميسرة ص 27

. تذكر لنا الكتب اللغوية المعتد بها أن جمع فعال مثال لسان على أفعلة مثل ألسنة مختص بالمذكر. ومثله شتاء = أشتية. وأما جمع فعال مثل لسان على أفعل مثل ألسن فمختص بالمؤنث.

-ذئب ⬅ وحداته المعجمية تعطينا: حيوان + من ذوات الأربع + ذكر + ...

-زيد ⬅ وحداته المعجمية تعطينا: إنسان + من ذوي رجلين ويدين + ذكر +...

وانطلاقا من هذه الرؤية الشكلية للغة دون محتواها ترى المدرسة النسقية ((بأن جميع الألسنة لها خاصية مشتركة تتمثل في مبدأ البنية، وأن الألسنة لا تختلف فيما بينها إلا في كيفية تطبيقها. والتشابه والاختلاف لهما علاقة مع الشكل وليس مع المادة))[24]. مما يستبعد إمكان وجود نظام صوتي عالمي مادامت البنية اللسانية العلمية قابلة للوصف علميا عن طريق الشكل، وليس عن طريق الأصوات أو المعاني.

وهذه الرؤية النابعة من المدرسة الشكلية الكوبنهاغية تجعلنا نتدبر الحديث النبوي الشريف: ((أنزل القرآن على سبعة أحرف))، وتجعلنا نلتفت إلى اعتماد العرب القدماء التعريب قبل اعتمادهم الترجمة. لأن تعريب كلمة أجنبية إلى اللغة العربية تكون أكثر أمانة علمية. وتظل أقرب ارتباطا باللغتين المترجم منها والمترجم إليها. خلافا للترجمة التي تقتضي استبدال الشكل الصوتي برمته.

واللسانيون الذين ينكرون هذه الهوية البينيوية المشتركة بين اللغات الإنسانية. لا ينظرون إلى اللغة إلا نظرة متشردة ومتمزقة. مثل ما نجد ذلك عند أندري مارتني الذي يقف عند حدي التمفصل المزدوج الذي لا يخلو من غموض وتساؤل. لأنه في الوقت الذي يريد أن يفصل بين هذين التقطيعين. فإن تحليل التقطيع الأول لا يتحقق إلا على

---

[24]- نفس ص 31

صعيدي الدال والمدلول معا. ...والرأي عندنا ما ذهب إليه جاكبسون من إيجاد تقطيع ثالث يقوم على إحصاء محدود ودقيق جدا لعناصر من الأزواج أو الثنائيات الصوتية المتعارضة والتي لا تتعدى اثنتي عشرة مجموعة ومما يراه جاكبسون أن جميع اللغات تستعمل هذه الأزواج. كلها أو بعضها. من أجل إنشاء وحداتها الصوتية الخاصة ...وأن مناقشة هذه النظريات الهامة لتطرح على بساط البحث ما نسميه بالكليات اللغوية أي الخصائص الأساسية للتخاطب البشري والمشتركة بين اللغات كافة[25].

وما يسمى بالكليات اللغوية المشتركة ليس وليد القرن الماضي. لأن شومسكي المتحمس لهذه الرؤية يرجع بنا إلى DUMARSAIS الذي كتب عام 1729 ((يوجد في القواعد من القوانين ما يناسب كل اللغات: هذه القوانين تشكل ما ندعوه القواعد النحوية العامة))[26].

إننا نتواصل بالكلمات وبالجمل. ولكن بنية الجملة بنية عامة أولا من حيث كونها ظاهرة لغوية عالمية. وخاصة ثانيا. لأن كل لغة تتميز من خلال تركيبها أو نظامها الداخلي بمفارقات. هذه المفارقات هي التي تميز هويتها الصوتية والمورفولوجية والسانتكسية. وبفضل هذه المفارقات نستطيع أن نقول: هذه لغة صينية. وهذه لغة عربية. ...ولذا فإن الهوية البنيوية كقاسم مشترك بين اللغة الإنسانية يجب ألا تنسينا بأن كل لغة تتخذ لنفسها من بين العناصر الصوتية الكلية التي يشملها اللسان البشري نسقا صوتيا خاصا بها لا يقل عن أدنى مجالات احتياجاتها عبر كيانها التاريخي

25- مدخل إلى اللسانيات ص 99 رونالد ايلوار

26 - Dictionnaire de didactique des langues P 579

والثقافي والحضاري. والعلامة أندري مارتيني الذي يؤكد على تمفصل كل لغة إنسانية إلى تقطيع مزدوج: مونيم وفونيم. فإنه من جهة أخرى يؤكد على أوجه الخلاف بين اللغات في طرائق استعمالها وتحليلها لمعطيات التجربة[27].

إن تركيب أمس، وتركيب اليوم وتركيب الغد تركيب واحد متشاكل في بنيته السطحية. مادام أنه يخضع لقاعدة نموذجية واحدة ومشتركة بين الأجيال السابقة والأجيال اللاحقة. إلا إذا زالت هذه اللغة وتفتتت إلى لهجات أو لغات. وما يسميه شومسكي بالنشاط الخلاق في اللغة لا يقودنا إلى الاعتقاد بأن الإبداع اللغوي يشذ لسانيا عن القاعدة النموذجية للغة. بل مما نراه أن اللغة لم تبح المجاز إلا حماية لخرق هذه القاعدة العامة. وتشاكل التراكيب في بناياتها السطحية وفق الخصائص الداخلية لكل لغة لا يعني في مفهومنا أن التراكيب نسخ متماثلة. أي الناس يقولون الأشياء نفسها. ولكن التشاكل هنا يعني أن التراكيب على مستوى لغة خاضعة إجباريا لقانون واحد بين الباث والمتلقي. وبتعبير آخر. فإن البنيات الأساسية التي تواضع الناس عليها في لغة سابقة عادة ما تستمر مع الأجيال الوارثة اللاحقة.

نحن نعلم أن لغات هندية أوروبية كثيرة مثل الروسية واللاتينية واليونانية والفرنسية. والفارسية. ...كان عدد حالات الإعراب فيها يصل إلى ثماني حالات ...لكن لغة من هذه لم تحتفظ بكل هذه الحالات الإعرابية القديمة. بحيث أخذت هذه الحالات تندمج لتدل ثلاث حالات منها في بعض هذه اللغات على حالة واحدة بينما أخذت الإسبانية والإيطالية والفرنسية تتخلى تدريجيا عن التغييرات الصرفية التي كانت

---

[27] -Eléments de linguistique générale P 18-19

معهودة في أمـها اللاتينية. ...ونحن لا ننكر أن لغات مثل اللاتينية واليونانية قد استغنت منذ عهد بعيد عن ظاهرة المثنى التي كانت تعد إحدى البنيات الأساسية فيها. ...غير أنه يجب أن نفرق بين الانحطاط اللغوي وهجر أشكال لسانية منه، وبين الثبات اللغوي والتمسك بكل أو معظم عناصره. فاللغة بين أمرين: إما أن تحيا وتخلد إذا حييت وخلدت تراكيبها، وإما ن تزول أو تتفتت إذا زالت وتفتتت تراكيبها.

ونحن نعلم أكثر من خلال لغتنا العربية القديمة التي كانت تزخر بقواعد لسانية راقية لم يعد لها وجود الآن. بل تلاشت منذ صدر الإسلام أو بعده بقليل. هل هناك من الكتاب والشعراء العرب المعاصرين من ينصب المصادر بعد (أمّا)؟ بل من منا من يعرف هذا المستوى التركيبي في العربية القديمة؟ ألم يقل سيبويه ((أما علما فلا علم له)) وهل منا اليوم من يستخدم اللغة العربية بالنصب بعد الألف واللام؟ ألم يقل سيبويه: ((وسمعنا العرب الموثوق بهم يقولون: التراب لك. والعجب لك. بنصب التراب والعجب؟ بل ذكر أن بني تميم وناسا كثيرا من العرب ينصبونها ...وهل منا من يجعل الجملة الفعلية أو الاسمية اليوم في كتابته أو كلامه المنطوق حكاية بعد القول؟ وهل منا من ينصب بخبر "مابال" كقوله تعالى: ((فما للذين كفروا قبلك مهطعين))؟ وكقوله الآخر: ((فما لهم عن التذكرة معرضين؟)) أو كقول الشاعر:

ما بال دفك بالفراش مذيلا أقذى بعينك أم أردت رحيلا

وهل منا من ينصب اليوم بالمدح والذم والترحم. وهو باب واسع مطرد في العربية

القديمة[28]. بل قد نذهب مذهبا بعيدا لا يصدقه العقل، حين نقف على عشرات بل مائات التراكيب اللغوية الشفوية التي سجلها سيبويه سماعا عن العرب مباشرة أو نقلا عن شيوخه، فيما قاله مثلا أو لم يعد مستعملا عندنا البتة: " ولو قلت: مررت بعمرو وزيدا لكان عربيا، فكيف هذا؟ لأنه فعل والمجرور في موضع مفعول منصوب أو معناه: أتيْتُ ونحوها، تجعل الاسم إذا كان العامل الأول فعلا، وكان المجرور في موضع المنصوب على فعل لا ينقض المعنى"[29] مستشهدا ببيت جرير:

جئني بمثل بني بدر لقومهمُ أوْ مثْل أسرة منظورِبن سيّار

نقول: إن اللغة تنزع نزعة طبيعية إلى الانتقاد من أجل الاطراد والإنضباط، نعم. ونقول: إن اللغة تتفتّتُ ذراتها فروعا، ولهجات ولغات أدبية، نعم. أما أن نقول: إن اللغة تتطور في قواعدها فهذا ما لا نذهب إليه. إلا إذا حددنا هذا التطور في كلماتها القاموسية وحقولها الدلالية. كلها احتاجت اللغة إلى التعبير عن مفاهيم ثقافية وتكنولوجية جديدة. واللغة لا تبقى ببقاء أصحابها، بل ببقاء مستعمليها واستعمالاته ليست لغتنا ظاهرة تكنولوجية تنتقل من العربة الخشبية إلى الصاروخ، لأن أبسط نموذج لساني فيها أول عقدة لا يعدو أن يكون جملة بدائية.

---

[28]- انظر العربية بين الطبع والتطبيع ص187 عبد الجليل مرتاض

[29]- الكتاب 94/1

مستويات الاتصال في اللغة العربية:

1- العربية الشفوية والخطية.

2- العربية الرسمية واللهجات.

3- وضع القواعد كان بمثابة عقد وفاة للغة الشفوية.

4- كان أبو حيان الأندلسي ممن دافعوا عن مستويات اللغة. بما فيها القراءات القرآنية التي رفعت: " ولكل منها وجه ظاهر حسن في العربية. فلا يمكن ترجيح قراءة على قراءة"[30]. ومن هنا كان أبو حيان يقبل لغة القرآن وقراءاته جميعا. وهي عنده حجة. ولو نسب إليها الشذوذ. ولما وقف الزمخشري موقف الرافض أمام قراءة من قراءات ابن عامر. وهو مقرئ أهل الشام. فقال أبو حيان: " وأعجب لأعجمي ضعيف في النحو يرد على عربي صريح محض. قراءة متواترة موجودا نظيرها في لسان العرب في غير ما بيت"[31]. ويقول أيضا: "ولسنا متعبدين بأقوال نحاة البصرة"[32].

5- وإذا تدبرنا المستويات اللغوية المستعملة عندنا في الاتصال لوجدناها محددة في عدة مستويات: العربية الفصحى. وهي نوعان:

- شفوية سليمة إلى حد ما في المعاملات الرسمية

- خطية. وهي سليمة. وهذه تنقسم بدورها إلى مستويات:

30- البحر المحيط 265/2 أبو حيان الغرناطي

31- السابق 230/4

32- نفسه 271/3.

أ- لغة الكتاب. ب- لغة الصحافة. ج- لغة المدارس والجامعات ومؤسسات التكوين باللغة العربية.

اللغة الدارجة المنطوقة، وهي متوسطة.

ج- اللغة الدارجة الشعبية.

د- العناصر المبتذلة النابية المنحطة.

هـ- اللهجات الإقليمية.

تواصل أم اتصال: كثيرا ما نصادف في قراءتنا اللسانية المعاصرة عدة كلمات متباينة في دوالها في الوقت الذي لا يعني بها أصحابها إلا مفهوما واحدا. ومن هذه الكلمات، بالنسبة لما نحن فيه الاتصال، والتواصل، التوصيل، التبليغ، البلاغ، ...ومادة "وصل" في اللغة العربية مادة غزيرة المباني، متعددة المعاني، وتذكر أبرز المعاجم أن (وصل) قد تعني دلالة (اتصل)، إذا دعا دعوى الجاهلية، كأن يقول: يا لفلان. وقال تعالى: " إلا الذين يَصِلُون إلى قوم" أي يتصلون[33].

ومما وقفنا عليه أن هذه الاشتقاقات على كثرة بنياتها وتباين توظيفاتها في تراكيب مختلفة، منها ما يتصل بمعاني مجردة وبعيدة، ومنها ما يتصل بمعاني مجسدة وملموسة، لا تكاد تبتعد عن المفهوم العام لما تتركب منه شبكة الاتصال من عناصر حددتها نظريات الاتصال والإعلام تحديدا واضحا، فالوصل ضد هجران، ووَصْلُ الثَّوْب

---

[33]- أنظر الصحاح 1842/5 - 1843 الجوهري.

والخُفّ، وبينهما وُصْلة أي اتصال. والتواصل ضد التصارم. ومن هذا المعنى جاء الحديث: "لعن الله الواصلة والمستوصلة"[34].

ومع ذلك، فإن معنى الاتصال أعم من معنى التواصل. لأن التواصل من التفاعل وتفاعل في العربية لها ثلاثة معان[35]:

1- أن تكون من اثنين: تخاصما، تقاتلا، تشاركا....

2- أن تكون أحيانا من واحد: تراءى له، تمارى في ذلك، تعاطى منه أمرا قبيحا.

3- أن تكون إظهارا لغير ما تدل عليه حقيقة الشيء: تغافل، أي أظهر غفلة وليس بغافل.

أو بتعبير سيبويه ((ليريك أنه في حال ليس فيها))[36] وجاء في بعض كتب اللغة ((تعهدت الشيء ترددت إليه وأصلحته، وحقيقته تجديد العهد به. وتعهدته حفظته قال ابن فارس: ولا يقال: تعاهدته، لأن التفاعل لا يكون إلا من اثنين، وقال الفارابي: تعهدته أفصح من تعاهدته"[37].

وأما سيبويه فكان واضحا في قوله: " وأما تفاعلت فلا يكون إلا وأنت تريد فعل

---

[34] نفس ص 1842.

[35] انظر الصاحبي في فقه اللغة ص 222 – 223 ابن فارس.

[36] الكتاب 69/4

[37] المصباح المنير ص 435 الفيومي.

اثنين فصاعدا ولا يجوز أن يكون معملا في مفعول، ولا يتعدى الفعل إلى منصوب"[38] مضيفا أن تفاعلنا يلفظ بالمعنى الذي كان في فاعلته، ويقصد أن فاعل مثلها مثل تفاعل كلتاهما تدل على تشارك اثنين في أمر. اعلم أنك إذا قلت: فاعلته، فقد كان من غيرك إليك مثل ما كان منك إليه حين قلت: فاعلته: ومثل ذلك: ضارَبْتُه، وفارقْتُه وكارَمْتُه..."[39]. أما افتعل فمشهورة دلاليا بأمرين:

1- أن تكون بمعنى فعل: وصل بمعنى اتصل، واشتوى القوم، أي اتخذوا شواءً ومثل هذا: اختبز وخبز، واطّبخ وطبخ....

2- أن تدل على حدوث صفة في موصوف لم يسبق له أن اتصف بها أو طرأت عليه مثل: أفتقر، اشتد...."[40] ويمكن لـ: افتعل أن تتداخل مع تفعّل مع إشارتهما إلى المعنى نفسه ((وقالوا: ادّخَلوا واتّلَجوا، يريدون: يتدخلون ويتولجون))[41].

وكانت العرب تقول من تفعل في مادة وصل: "توصّل إليه أي تلطف في الوصول إليه" وحكاية "الوصيلة" في الجاهلية معروفة عند العرب، ويقصد بها تلك الشاة التي إذا ما ولدت سبعة أبطن عناقيْن عَنَاقيْن (انثيَيْن) تركوها، لكنها إذا ولدت في الثامنة جَدْيًا ذبحوه لآلهتهم، وإن ولدت جديا وعناقا لم يفعلوا، وقالوا: العناق وصلت أخاها، ولا يذبحون الجدي من أجل أخته:

38- الكتاب 69/4

39- نفسه ص 68.

40- نفسه ص 74.

41- نفسه ص 74.

الجدي ـــــــــــــــــــ الذبح

العناق ـــــــــــــــــــ الجدي

(الكلية الإيجابية) جدي عناق تضـــاد جدي ـ عناق (الكلية السلبية)

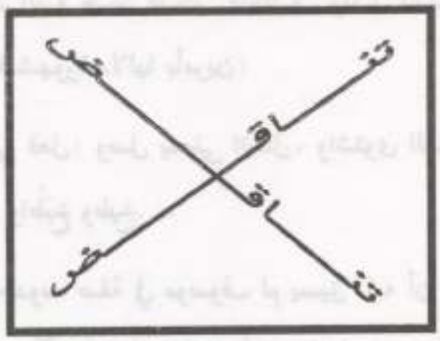

(الجزئية الإيجابية) ذبح وقـوع تحـت تضـاد لا ذبح (الجزئية السلبية)

حصول الاتصال الاعتباطي بين العناق والجـدي أدّى إلى نجـاة الجـدي الـذي هـو أحد طرفي الاتصال من الذبح، وحـين غـابت العنـاق، وفقد أحـد طـرفي الاتصـال، ذبـح الجدي للآلهة.

وبعد كل هذه المقاربات الدلالية لمادة وصل وبعض مشتقاتها، فإننا نؤكد ما ألمحنا إليه آنفا من أن الاتصال أكثر عموما من التواصل والتوصـل وحتـى المواصلـة، ومنـه صـوم الوصال أي أن يصل الصائم صوم النهار بإمساك الليل مع صـوم الـذي بعـده مـن غـير أن يتناول شيئا من الطعام. ولذا، فإن تسـمية وزارة الثقافـة والاتصـال عندنـا تسـمية دلاليـة سليمة ومناسبة قياسا إلى وظائف هذه الوزارة نحو كل مظهر من مظاهر الاتصـال والثقافـة

شريطة ألا تخلط بين معنيي الإعلام والإتصال. لأن الإعلام في العربية يعني مما يعني نقل خبر لتلق بعينه أو لعامة الناس دون أن يكونوا كلهم. وفي كل حال. معنيين بما تبثه وسائل الإعلام. ولذلك وظف فعله الرباعي (أفعل) لازما: أعلم الفارس. أي جعل لنفسه علامة يعرف بها دلالة على الشجاعة والتحدي ووظف متعديا: أعلم القصار الثوب. فالثوب مُعْلم (بفتح اللام) والقصار مُعْلم (بكسر اللام). وقد يتعدى إلى مفعولين: أعلمته الخبر أو أعلمته بالخبر. وقد يكون الإعلام تلبية لمستعلم (بكسر اللام). لأننا نقول: استعلمني سائل الخبر فأعلمته إياه. ومن أجل هذا ينبغي ألا تخلط بين مصطلحي الاتصال والإعلام. فهما مفهومان متداخلان في فضاءاتهما الدلالية. ولكنهما ليسا مترادفين.

الاتصال من وجهات نظر اللسانيات المعاصرة: لما واجهتني صعوبة في تحديد بعض المفاهيم اللغوية المرتبطة بالاتصال. كنت أحسب أن هذه الصعوبة ستزول حال انتقالي إلى تقريب نفس المفاهيم ومقابلتها بنظريات الاتصال في اللسانيات الحديثة. لعدة أسباب. أهمها أن الدرس اللغوي أكثر تقدما في الغرب منه لدى العرب. وأن المترادفات أكثر اعتدالا في اللغات الغربية الحديثة منها في لغتنا العربية. مما ينعكس بردا وسلاما وأكثر جلاء في المصطلحات اللسانية الأجنبية منها في اللسانيات العربية التي لا تبرح غائبة أو حاضرة في احتشام واضطراب وفوضى وإذا كانت هذه الإشارات صحيحة. فإني لمست صعوبة في المصطلحات اللسانية الغربية حتى وإن كانت تتراءى لنا بشكل آخر. ومنذ زهاء قرن من الزمن. لاحظ فرديناندي سوسور غموض بعض المصطلحات المتداولة في الدراسات اللغوية. حتى إنه اعترف بأننا حين نحلل وندرس

وقائع لغوية إنما نعرف أشياء لا كلمات، لأن بعض المصطلحات غامضة، ولا تتطابق تمام الانطباق بين لغة وأخرى ((ومن هنا، فإن SPRACHE في اللغة الألمانية تعني "اللسان" كما تعني "اللغة" و REDE تطابق إلى حد ما "الكلام" غير أنها تزيد على الكلام المعنى الخاص "للخطاب" وفي اللاتينية كلمة SERMO تعني هي الأخرى لسانا وكلاما في حين أن كلمة LINGUA تعني اللغة فحسب"[42] منتهيا إلى القول بأنه ليس هناك من كلمة تتطابق كليا مع أحد المفاهيم التي درسها قبل هذا الموضع[43]. مستنتجا أن كل تعريف لكلمة من الكلمات تعريف زائف، وأن المنهج الذي ينطلق من الكلمات لتحديد الأشياء، مثلما فعلت أنا مثلا. لمنهج خاطئ[44].

والواقع أن العمل الذي ينطلق من الكلمات ليس خاطئا ولا صحيحا، وإلا فما نفعل بعمل قد يحمل عنوانه كلمة واحدة؟

-اتصال Communication. إن كلمة Communication (الاتصال) في مجال اللسانيات المعاصرة متعددة الأبعاد:

1- بالنسبة لنظرية الاتصال Théorie de la communication عبارة عن تحويل أو نقل الإعلام L'information بين باث Emetteur ومستقبل Recepteur بفضل مرسلة Message تمر عبر قناة[45] (Canal)

---

[42] محاضرات في الألسنية العامة ص 25.

[43] نفسه ص 25.

[44] نفسه 26.

[45] - Dictionnaire de didactique des langues p 102 et initiation à la linguistique P 31.

تهتم إلا بالإرسال والتحويل إلى ما يستقبل من مرسلة كشكل)).[47]

نظام الاتصال: لقد ردد غير ما مرة دي سوسور فكرة وايتني WHITNEY القائلة بأن اللغة أشبه ما تكون بمؤسسة اجتماعية ((إن استخدامنا الجهاز الصوتي وسيلة للغة إنما يعود إلى المصادفة ولأسباب تسهيلية ليس غير. ثم ربما كان بمقدور الإنسان اختيار

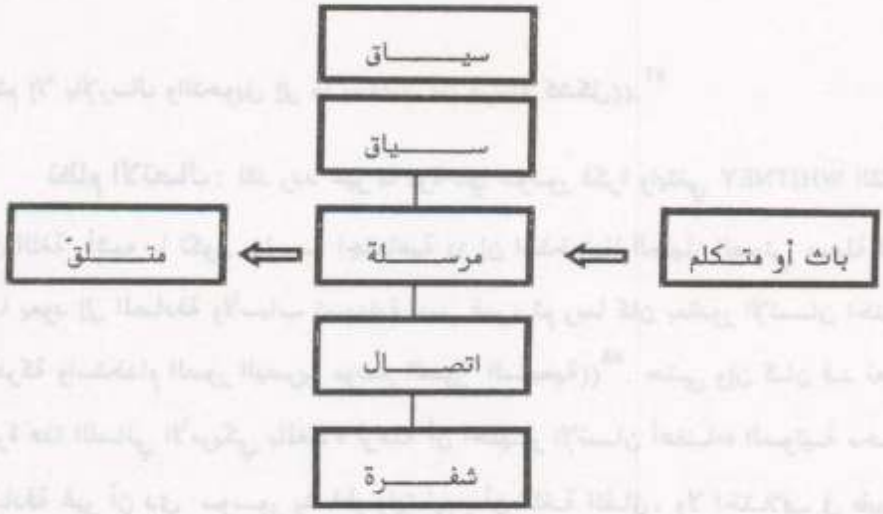

فبالنسبة لاتصال هاتفي مثلا، فإن المتكلم يرسل إلى المتلقي المعني مرسلة معدة سلفا باندفاعات كهربائية أو إلكترونية بواسطة قناة الخط الهاتفي. حتى وإن كان GUIRAUD ذكر عام 1968 بأنه في ((هذا التحليل لا يوجد في أي وقت الطرح لقضية المعنى في المرسلة. ففي الاتصال لا يوجد إلا نقل لشكل FORME مسجل في ماهية Substance (مثلا: الإشكال المرئية Visuelles في المرسلة المكتوبة). لكن لا يوجد أبدا نقل Transfert للمعنى: فالخط الهاتفي ينقل طاقة حرارية. والحرف ينقل أشكالا خطية ...فالمعنى المرسل من قبل الباث الإنساني في حدود الاصطلاحات المتواضع عليها يعزو إلى كل شكل معادله الدلالي[46] Equivalent sémantique.. وبناء على نص قيرو GUIRAUD السابق، فإن الاتصال لا يتموقع في المستوى الدلالي إلا إذا كان كل من الباث والمتلقي يملك نفس الشفرة Du même code من أجل شفر Encoder وتشفير Décoderالمرسلة. وبحصر المعنى ((فإن نظرية الاتصال، لا تعتبر المظهر الدلالي. ولا

[46] - Dictionnaire de didactique des langues p 103.

وإشارات المرور، والرسوم البيانية والمخططات، وألواح الإشهار، والرايات، ولغات الفنون، والرسوم والأطلال، والطقوس والرموز، والعادات الاجتماعية والثقافية والحركات الشعبية في الأرياف والقرى والمدن ولغات الصم البكم، ...كتابة براي Ecriture Braille اللغات الرياضية، ...كل هذا ونحوه يدخل في إطار نظام من أنظمة الاتصال، ...بل حتى الأجناس الأدبية والفنية والمذاهب الدينية، والاقتصادية، والفلسفية، والأيديولوجية ما هي إلا خطابات نوعية من الاتصالات المتباينة، وما الأزمات والحروب، والتمردات الاجتماعية والسياسية التي غالبا ما حدثت منذ الأزل بين الناس إلا نتيجة طبيعية لانعدام الاتصال والحوار أو سوء فهمه من أحد الطرفين المتبادلين لرسالة ما بين بث واستقبال، حتى كأنما الاتصال ينتمي إلى اللسان الذي يتعذر تصنيفه ضمن الوقائع الإنسانية، خلافا للغة. وتبعا لما نحن فيه فإن دي سوسور ظل يعد اللغة الإنسانية كمنظومة من العلامات التي ألمحنا إلى إصطلاحات منها أعلاه، على الرغم من إقراره بأنها أهم هذه المنظومات العلاماتية، وما قوله الواضح: " وما الألسنية إلا جزء من هذا العلم"[51] إلا دليل على اعتباره الاتصال العام ألصق بالسيميولوجيا منه بالاتصال الخاص باللغة، بمعنى أن الاتصال اللغوي البشري، في منظوره، لا يعدو أن يكون أكثر من منظومة خاصة متموقعة عبر مجموعة وقائع السيميولوجيا ((إن القضية الألسنية في نظرنا هي أعراضية قبل أي شيء آخر، وأن كل بسط لشروحنا إنما يستمد معناه من هذه الواقعة الخطيرة. وإذا ما أردنا اكتشاف طبيعة اللغة الحقيقية فيجب اعتبارها أولا فيما تشترك فيه من منزلة واحدة مع المنظومات الأخرى كافة، كما أن العوامل الألسنية التي

---

[51]- نفسه ص 27

تظهر ذات أهمية في النظرة الأولى (على سبيل المثال حركات الجهاز الصوتي) يجب ألا ينظر إليها إلا في المنزلة الثانية، وذلك في حال كون هذه العوامل لا تستخدم إلا لتمييز اللغة من بقية المنظومات الأخرى. وهكذا فإننا لا نعرّي المشكلة الألسنية وحسب بل نعتقد أنه باعتبارنا الطقوس والعادات الخ ...علامات، فإن هذه الوقائع تبدو لنا بشكل مختلف، فنشعر بضرورة ضمها إلى الأعراضية Sémiologie وتفسيرها حسب قوانين هذا العلم))[52].

الاتصال وظيفة بنيوية مشتركة بين البـاث والمتلقي: حين يعرف دي سوسور لغتنا الصوتية كمنظومة علاماتية ذات قوانين مضبوطة وبنية معينة[53]. لا يغيب عنه أن يشير إلى أن تتابع عناصر الكلام التي توظفها في مرسلة ما يعد تتابعا غير حر لأنه يتعذر على المرسل والمرسل إليه سواء بسواء تحديد وحدة صوتية مهمشة عن البنية التي تشكل جزءا منها، فيتعذر على الباث والمتلقي كليهما مثلا أن يحدد وظيفة "ما" في اللغة العربية. ونحن نعرف ما صدم به أبو الأسود الدؤلي من بنته العربية صليبة. لما أرادت أن تتعجب من شدة يوم حارّ قائظ، لكنها بنته رفعت فعل التعجب، فحسب أبوها أنها تستفهمه، فأجابها: ((إذا كانت الصقعاء من فوقك والرمضاء من تحتك. فقالت: إنما أردت أن الحر شديد، فقال لها: فقولي: إذا، ما أشدّ الحرّ ! وقيل: إنه دخل إلى منزله، فقالت له بعض بناته: ما أحسن السماء ! قال: أي بنية، نجومها

---

[52] نفسه ص 28 -29.

53- انظر اللسانيات العامة الميسرة ص 18.

فقالت: إني لم أرد أي شيء منها أحسن؟ وإنما تعجبت من حسنها فقال: إذا فقولي: ما أحسن السماء !"[54]. ولذلك ذكر ابنه أبو حرب من أن أول باب رسمه أبوه أبو الأسود الدؤلي من باب النحو كان باب التعجب[55]. وبنو تميم كانوا لا يقرأون ((ما هذا بشرا)) بالنصب على لهجة الحجاز إلا من درى منهم كيف هي في المصحف[56]. أي أنهم يرفعون "بشرا" على لغتهم بإهمال الوظيفة النحوية لـ "ما" وإبقاء وظيفتها الدلالية ولا فرق.

ولذلكّ لما جاءت المدرسة اللسانية النسقية Combinatoire أو الشكلية المنبثقة من مدرسة كوبنهاغن منذ عام 1935 بزعامة هلمسليف، اتجهت اتجاها منهجيا لم يعتمد في دراسته للوحدات اللغوية على مبدأ التعارض Opposition الذي تميزت به المنهجية التحليلية الديسوسورية، معتبرة أن هذا المبدأ الأخير ((يؤدي دائما إلى منح الوحدات اللسانية صفة الإيجابية، بينما يعتبر هيلمسليف الوحدة في غاية السلبية أي أنها لا تحدد نفسها بنفسها، وإنما بمجموع العلاقات الشكلية التي تقيمها مع بقية وحدات اللسان، وبكلمة فهو يبحث أساسا عن طبيعة العلاقات التناسقية لمختلف العناصر اللسانية التي يتشكل منها نص ما"[57].

وظيفة الاتصال وظيفة بنيوية كلية: لقد فطن سيبويه منذ أمد بعيد إلى أن

---

[54] إنباه الرواة على أنباه النحاة 16/1 القفطي

[55] المرجع السابق ص 16.

[56] الكتاب 59/1.

[57] اللسانيات العامة الميسرة ص 28

الحرف ما أفاد معنى ليس في اسم ولا فعل.[58]

- زيد منطلق. 2- هل زيد منطلق؟

حيث أفدنا بهل، وهو حرف استفهام، ما لم يكن في زيد ولا في منطلق بالنسبة للتركيب الأول. واعتبر اللسانيون العرب القدماء -إلا من تفرد بمذهبه- أن الخطاب الذي يقع به الإفهام من المرسل والفهم من المتلقي يرتكز أساسا على الإعراب والتصريف، وإذا كان أحد طرفي الاتصال لا يعرف هذين الوجهين: يمكن لأحدهما أن يفهم صاحبه - شرط تواجههما معا -بعلامات سيميولوجية لم تخل الثقافة العربية منها. وفي معنى ما نحن فيه. قال ابن فارس: فأما الإعراب فبه تميز المعاني. ويوقف على أغراض المتكلمين. وذلك أن قائلا لو قال: "ما احسن زيد" غير معرب. أو ((ضرب عمر وزيد)) غير معرب لم يوقف على مراده. فإذا قال: ما أحسن زيدا! أو ما أحسن زيد. أو: ما أحسنُ زيْد! أبان بالإعراب عن المعنى الذي أراده. وللعرب في ذلك ما ليس لغيرها، فهم يفرقون بالحركات وغيرها بين المعاني. يقولون مفتح للآلة التي يفتح بها ومفتح لموضع الفتح، ومقص لآلة القص. ومقصّ للموضع الذي يكون فيه القص. ومحلب للقدح يحلب فيه. ومحلب للمكان يحتلب فيه ذوات اللبن. ويقولون: إمرأة طاهرة من العيوب لأن الرجل يشركها في هذه الطهارة. وكذلك قاعد من الحبل. وقاعدة من القعود. ثم يقولون: "هذا غلاما أحسن منه رجلا" يريدون الحال في شخص واحد ويقولون: "هذا غلامٌ أحسنُ منه رجلٌ". فهما إذا شخصان ...ومن ذلك: "جاء الشتاء والحطب" لم يرد أن الحطب جاء إنما أراد الحاجة إليه. فإن أراد مجيئهما قال:

---

[58]- أنظر الصاحبي في فقه اللغة ص 86

والحطبُ"[59]. ومع ذلك، فإن كلمة "وظيفة" تأخذ دلالات متنوعة، فهي على سبيل المثل بالنسبة لتحليل الجملة، تتعلق بعناصر الجملة فيما بينها. فالفاعل والمفعول وظيفتان والنعت أحد الوظائف الممكنة للاسم. ويرى بعض الدراسيين الغربيين أن هذه الوظائف السانتكسية التي ورد بعض منها في نص ابن فارس أعلاه تتعارض، على المستوى القواعدي، مع المورفولوجيا التي تجتزئ فقط بتحليل الكلمات وتكونها دون أن يؤخذ بعين الاعتبار العلاقات فيما بينها[60].

غير أن جل اللسانيين المتميزين الذين وقفنا على أفكارهم اللسانية مثل أنطوان مايي ودي سوسور وهلمسليف وغيرهم يرفضون رفضا قاطعا الفصل بين المستويين: السانتكسي والمورفولوجي، حيث لا يمكن الاتصال بأحدهما دون آخرهما، وفي نفسه، إلا إذا كان الأمر يتعلق بتحليل منهجي معزول ليس غرضه تركيب جمل للإتصالات. لأن قيمة الكل ((هي في أجزائه، كما أن قيمة الأجزاء تتأتى من مكانتها في هذا الكل أو ذاك. ولذا فإن أهمية العلاقة التركيبية بين الجزء والكل، كأهميتها بين الأجزاء فيما بينها))[61].

الأركان الخمسة للاتصال: على أي حال، لا يخلو أي اتصال لغوي من خمسة أضرب من المستويات المتتابعة:

1-المستوى الصوتي. 2- المستوى الصرفي. 3- المستوى النحوي. 4- المستوى

---

[59] المصدر السابق ص 190 -191.

[60] – Révolution en linguistique P 92 أنظر

[61] محاضرات في الألسنية العامة ص 155.

الدلالي. 5- المستوى الجملي.

فالجملة العربية "جاء الشتاء والحطب (بنصب الباء)". لكي تصبح مؤهلة لأن تكون مرسلة من باث نحو متلق تدعونا إلى تصورها كمايلي:

1. أ. فهي في مستوى التقطيع المزدوج الأول -عند مارتني- تتكون من ست وحدات دالة:

جاء – الـ – شتاء – و – الـ – حطب.

ب. وعلى مستوى التقطيع المزدوج الثاني. تتألف من عدة فونيمات أو وحدات صوتية. يمكن رسمها على الشكل:

ج/ـــ/ـا/ء/ـــ/ال/ـْ/ش/ـْ/ت/ـــ/ـا/ء/ـُ/و/ـَ/ال/ـْ/ح/ـَ/ط/ـــ/ب/ـــ/

ويلاحظ أن أداة التعريف العربية سواء تقدمت صوتا قمريا أم صوتا شمسيا. فإن تمفصلها لا يقبل التجزئة من ناحية الشكل النطقي. لكن من ناحية تعددها الدلالي يمكن اعتبارها أصغر وحدة دالة:

الذئب أخشاه إن مررْتُ به وحدي، وأخشى الرياح والمطرا

فهي جنسية في "الذئب". لأن الشاعر "لا يريد ذئبا بعينه. إنما يريد أن يخشى هذا الجنس من الحيوان"[62]. وهي تعريفية أو ربما حتى عهدية في "الرياح" و"المطر"، إذا صار هذان الرمزان الميتولوجيان معهودين لدى المتكلم بالرعب والخوف. ومن أجل ما

---

[62] الصاحبي في فقه اللغة ص 101

نحن فيه. لم يكن أندري مارتيني مبالغا حين استنتج بأن ((الوظيفة الأساسية للغة كامنة في التعبير عن التجربة الإنسانية))[63]. منبها إلى أن الوحدة الصوتية PHONEME

لا تقرن دالا بمدلول، وليست بذات معنى، خلافا للوحدات الدالة Monèmes[64].

وربما تساءلنا عن مصير بعض الوحدات الصوتية القليلة التي تقرن دالا بمدلول مثل: ر، ق، ع، ..... من يرى، يقي، يعي... والواقع أننا لا نقرن الصوت هنا بالمعنى إلا وقد استحضرنا بداهة ودون شعور ما حذفا من هذه الوحدات الدالة من أصوات سابقة ولاحقة، والحذف، لا يخص وحدة صوتية أو أكثر من أصغر وحدة دالة في اللغة العربية. بل يعتري التراكيب والجمل، كقوله تعالى: ((ألست بربكم؟ قالوا: بلى)) أي أنت ربنا. والمعنى الذي تتضمنه الآية يشهد على أن كل وحدة صوتية دالة لها قيمتان: قيمة بنيوية فردية داخلية. بالنسبة للجزء، وقيمة بنيوية فضائية بالنسبة إلى المجموع الكلي لذي تتشكل فيه أو تتداعى معه، فلو كان الجواب في الآية بـ"نعم" بدل "بلى" لكان كفرا من المجيبين. لأن نعم لا تزيل النفي بخلاف بلى، فإنها للإيجاب بعد النفي. ومن هنا نستغرب قول دي سوسور! "وإذا ما أتخذنا الدال والمدلول، فإن اللغة لا تتضمن أفكارا ولا أصواتا تسبق المنظومة الألسنية. بل إختلافات تصورية وأخرى صوتية منبثقة -وحسب- عن هذه المنظومة، وما يوجد في علامة ما من فكرة معينة من مادة صوتية هو أقل أهمية مما يوجد حولها في العلامات الأخرى"[65]. ولنستحضر

---

[63] مدخل إلى اللسانيات ص 83

[64] نفسه ص 81

[65] محاضرات في الألسنية العامة ص 145

الجملتين العربيتين القديمتين:

1- لا رحمه الله ← دعاء له.

2- ورحمه الله ← دعاء عليه.

لنسدل كيف أن الوحدة الصوتية -هنا الواو - قلبت دلالة الجملة الثانية بالنسبة إلى الجملة الأولى رأسا على عقب وهنا لا يحق لأحد أن يدعي بأن أهمية الواو هنا أقل أهمية مما حولها من علامات.

2- وعلى المستوى الصرفي أو المورفولوجي كل عنصر من عناصره يعد علامة قائمة بذاتها. وهنا يتداخل هذا المستوى مع المستوى النحوي إلى درجة صعوبة فصل أحدهما عن صاحبه. لأنه لا يمكن تصور أو تلقي أحد العناصر بمعزل كلي أو حتى جزئي عن استحضار المستويين معا. ومن جهة نظر تقليدية. فإن توزيع عناصر التركيب "جاء الشتاء والحطب" بهذا الترتيب المورفولوجي قد تدعى (الكلمات الموزعة) أقسام الخطاب. إلى جانب التنوعات. بحيث يمكن لاسم واحد أن يحتمل وظيفة تعبر عن الجنس. والعدد. والحالات (الفعل جاء هنا بمعنى حضر فيوظف لازما ومتعديا بنفسه ومتعديا بالباء... الشتاء مذكر. وقيل هو مفرد. وهنا يجمع على أشتية. وقيل: هو جمع مفردة شتْوة...).

3- أما ترتيب الوحدات الدالة في نفس الجملة فهو خاضع لنسج بنيوي شامل بما في ذلك الحركات القصيرة. إذ لو رفعنا كلمة الحطب بدل نصبها لتغير المعنى الكلي للجملة لأنه شتان ما بين احتياج المرء إلى الحطب لمواجهة فصل الشتاء. وبين مجيء

الحطب معطوفا على الشتاء نفسه، ويمكن تحليل الجملة تحليلا سانتكسيا تقليديا وفق منظورين أو حتى ثلاثة:

أ- قواعد المطابقة: لا نقول مثلا جئن الشتاء والحطب، بينما لو رويت الجملة: جاءت الشتاء والحطب، بتأنيث الفعل لم يكن قبيحا. ما دامت إحدى الروايات تقول: إن الشتاء جمع تكسير، ومفرده شتْوة الخ...

ب- الوظائف النحوية:

- جاء: فعل ماض يجيء.
- الشتاء: فاعل مبتدأ.
- و: حرف معية/ حرف عطف.
- الحطب: مفعول معه/ مفعول به.

ج- العادة الخطابية المتنوعة لدى العرب أدت إلى تنوع بنية الجملة الواحدة عندهم وفق سياقات مختلفة.

وبناء على العادات الخطابية عند العرب، فإن بعض اللسانيين كأنه يتوافق مع ما نحن فيه بقوله: ((إن إمكانات الاستعمالات النحوية لكلمة - العلاقات السانتكسية التي تسمح لكلمة بالدخول - محددة مسبقا قبل أن توضع في الجملة))[66].

وبالنسبة لأندري مارتيني فإن ((اختيار المتكلم يكتسي أهمية أساسية. فملفوظ

---

[66] Initiation à la linguistique P 107.

Enoncé لا يوجد له معنى إلا إذا كان إنتاجه لا يرتبط كليا بالمقام LA SITUATION مما يقتضي من المتكلم قرارا، أي اختيارا بين عدة عناصر لمجموعة خلال عملية التلفظ. إن الوصف لإحدى اللغات، والتي لها قيمة تفسيرية Valeur explicative وليس فقط قيمة وصفية، ما هو إلا الوصف لمجموعة الاختيارات التي تمكن المتكلم من إنتاجها والمستمع من التعرف عليها))[67].

4- وعلى المستوى الدلالي، فإن الوحدات الدالة يمكن إدراكها بما يخالفها من قيم متعارضة أو وحدات لغوية مضادة.

- جاء / ذهب.

- الشتاء/ الصيف.

- والحطب / الحجر.

والتركيب يحتوي على:

أ - دلالة أساسية، تلك التي تضطر الناس إلى جمع الحطب.

ت- دلالة سياقية. وهي مرتبطة بالبنية الثقافية للمجتمع العربي الذي تستحضره - اثلا أمامنا هذه الجملة التي تشهد على وضعهم الاجتماعي والاقتصادي.

---

[67] المرجع السابق ص 109.

ج- ويمكن استياء أحد جداول بيير جيرو لتمثيل كلمة الحطب مثلا كما يلي:

	دلالـــي	أسلـــوبي
الحطب	دلالة أساسية	قيمة تعبيرية
	دلالة سياقية	قيمة اجتماعية سياقية

ويوجد من العدلاليين (علماء الدلالة) مـن يؤمـن بضـرورة إدراك المعنـى للوحـدات المشفورة Codées (الكلمات) قبل أي شيء من أجل الوصول بعد ذلك إلى معنى وحـدات غير مشفورة Non codées (الجمل). ويفكر عدلاليون آخرون على العكس من هـذا، أي أن الوحدات الحقيقيـة للاتصـال هـي الجمـل، وينبغـي أن نـدرس المعنـى مباشـرة علـى مستواها[68].

5- كل عنصر من عناصر هذه الجملة يحمل دلالة وظيفية. من ذلك أن الشانتكس الوظيفية لأندري مارتيني لا تكتفي بسحب الوحدات الدنيا الدالة Les monèmes. بـل تهدف إلى جعل وظائف هذه الوحدات متبادلة Réciproques.

عندما يقدم المتكلم على اختيار وحدة دلالية في السلسلة الكلامية فإنـه يقـوم في آن واحد باختيار وظيفة"[69].

معالجة الاتصال في العربيـة: كيـف تتـم معالجـة معضلـة التواصـل في اللغـة

---

[68]- Dictionnairede didactique des langues P 481 : انظر

69- المرجع السابق ص 547.

العربية؟

- يجب أن نعترف بحقيقة المستويات اللغوية الحية.

- أن نعمل على تفصيح العامية وتبسيط الفصحى.

- أن نعمل على تكوين لسانيات عربية معاصرة أسوة باللسانيات العالمية وحتى باللسانيات العربية القديمة.

- أن نواجه المشكل اللغوي علميا لا إيديولوجيا، ففي أمريكا وحدها يوجد ألفا لغة، ولا يوجد مشكل لغوي.

- ينبغي أن نعرض لغتنا على محك نظريات الاتصال والإعلام الحديثة ونظريات التوليد، وعلم اللغة الرياضي، وأن ننبذ من ذهنيتنا تلك النظريات التقليدية الضيقة التي تعمل على قتل اللغة وانحطاطها مثل قول ابن فارس المشهور: ((لم يبلغنا أن قوما من العرب في زمان يقارب زماننا اجمعوا على تسمية شيء من الأشياء مصطلحين عليه، فكنا نستدل بذلك على اصطلاح قد كان قبلهم، وقد كان في الصحابة،... وما علمنا هم اصطلحوا على اختراع لغة أو إحداث لفظة لم تتقدمهم))[70]. وفي الكتاب نفسه يناقض قوله بقول آخر: "كانت العرب في جاهليتها على إرث من إرث آبائهم، في لغاتهم وآدابهم ونسائهم وقرابينهم. فلما جاء الله بالإسلام حالت أحوال، و..... ديانات وأبطلت أمور، ونقلت من اللغة ألفاظ من مواضع إلى مواضع أخر بزيادات زيدت وشرائع شرعت، وشرائط شرطت... فكان مما جاء في الإسلام ذكر المؤمن والمسلم والكافر والمنافق

---

[70] الصاحبي في فقه اللغة ص 33 - 34

وأن العرب إنما عرفت المؤمن من الأمان والإيمان وهو التصديق، ثم زادت الشريعة شرائط وأوصافا بها سمي المؤمن بالإطلاق مؤمنا...))[71].

- استغلال الوسائل السمعية البصرية في مناهج التدريس في مراحل التعليم الأساسي.

- صنع قواميس مدرسية.

- صنع قواميس علمية متخصصة حسب كل حقل.

- استغلال الدراسات والتوصيات الصادرة عن الهيئات الأكاديميات العربية والعالمية التي تتماشى مع تيسير الاتصال باللغة العربية.

- الاستفادة من مناهج الدراسات اللغوية الأجنبية التي طبقت على غير العربية وخاصة ما يتعلق بالمعلوماتية.

---

[71]- نفسه ص 78 - 79

المراجـــع

1-الألسنية (علم اللغة الحديثة) د. ميشال زكريـا. ط: 1/ 1984. المؤسسة الجامعية للدراسات. بيروت.

2- إنباه الرواة على أنباه النحـاة: القفطي. ط: 2/ 1981، تحقيـق: محمـد أبـو الفضل إبراهيم الهيئة المصرية العامة للكتاب.

3- البحر المحيط: أبو حيان الأندلسي الغرناطي. مطبعة السعادة - مصر.

4- التيسير في القراءات السبع: الداني. أسطنبول ط: 1930.

5- شرح بن عقيل: تحقيق عبد الحميد ط: 1965/14. مط: السعادة مصر.

6- الصاحبي في فقه اللغـة: أحمـد بـن فـارس. تحقيـق د. الشـويمي ط: 1963. مؤسسة بدران للطباعة والنشر. بيروت.

7- الصحاح: الجوهري. تحقيق الأستاذ أحمد عبـد الغفـور عطـار. ط: 1984/3. دار العلم للملايين بيروت.

8- العربيـة بـين الطبـع والتطبيـع: عبـد الجليـل مرتـاض ط: 1993 د.م.ج. الجزائر.

9- قطر الندى. ابن هشام. تحقيق: عبد الحميد. دار الفكر للطباعة والنشر.

10- الكتاب: سيبويه. تحقيق: عبد السلام هارون. الطبعة المصرية.

11- اللسانيات الميسرة: الأستاذان: سليم بابا عمر وباني عميري ط: 1990. م ط: أنوار. الجزائر.

12- اللغة والتواصل (إقترابات لسانية للتوصلين: الشفهي والكتابي). عبد الجليل مرتاض. ط1/2000. دار هومة. الجزائر.

13- محاضرات في الألسنية العامة: ف. دي سوسور، ترجمة، يوسف غازي ومجيد النصر. ط: 1984. دار نعمان للثقافة. لبنان.

14- مدخل إلى اللسانيات. رونالد إيلوار. ترجمة: د. بدر الدين القاسم ط: 1980 مطبعة جامعة دمشق.

15- المصباح المنير. الفيومي. المكتبة العلمية

16- الموسوعة الفلسفية: لجنة من العلماء السوفياتيين

ترجمة: سمير كرم. ط: 1985/2. دار الطليعة. بيروت.

17- نور القبس: المرز باني واختصار اليغموري. تحقيق: رودولف زلهايم. ط: 1964. دار النشر. فرانتس شتايزر فيسيادن.

18- Dictionnaire de didactique des langues. R. Galisson et D. Coste. Hachette 1976 Paris.

19- Eléments de linguistique générale. André Martinet Armandcolin Paris 1970.

20- Initiation à la linguistique: Christian Baylon, Paul Fabre éditions Fernandnathan. 1975.

21- Révolution en linguistique. Editions grammont S.a. Lausanne

اللغة العربية وثقافتها

من المحلية إلى العالمية

الدكتور تركي رابح عمامرة
أستاذ أصول التربية والتخطيط التربوي

محاور الدراسة

أولا – اللغة العربية وثقافتها محليتان

1–ما هي وضعية اللغة العربية قبل الإسلام ؟

2– ما هي الثقافة العربية في العصر الجاهلي الأخير ؟

3– أسباب تكوين اللغة العربية المثالية.

أ– مكة وتأثيرها الديني والتجاري.

ب– الأسواق (عكاظ – وذو المجنة – والمجاز).

4– ما هي الثقافة العربية قبل الإسلام؟ وماهو محتواها؟

5– حياة العرب العقلية أو «العلوم عند العرب».

6– النثر الجاهلي.

7– الشعر الجاهلي.

ثانيا – اللغة العربية وثقافتها عالميتان

8– دور القرآن الكريم في عالمية اللغة العربية وثقافتها.

9– دور تعريب الدواوين بأمر من الخليفة عبد الملك بن مروان (65–86هـ) في عالمية اللغة والثقافة العربية.

10– خلاصة الهدف من تعريب الدواوين في الدولة العربية الإسلامية.

ثالثا – قيام حركة لغوية واسعة النطاق لتدوين وتقعيد قواعد اللغة العربية نهض بها علماء عرب وعجم من أجل خدمة لغة القرآن الكريم.

رابعا – الترجمة والمترجمون من مختلف اللغات إلى اللغة العربية.

11– أبرز جوانب النهضة العلمية.

محاور الدراسة

أولا – اللغة العربية وثقافتها محليتان

1–ما هي وضعية اللغة العربية قبل الإسلام ؟

2– ما هي الثقافة العربية في العصر الجاهلي الأخير ؟

3– أسباب تكوين اللغة العربية المثالية.

أ– مكة وتأثيرها الديني والتجاري.

ب– الأسواق (عكاظ – وذو المجنة – والمجاز).

4– ما هي الثقافة العربية قبل الإسلام؟ وماهو محتواها؟

5– حياة العرب العقلية أو «العلوم عند العرب».

6– النثر الجاهلي.

7– الشعر الجاهلي.

ثانيا – اللغة العربية وثقافتها عالميتان

8– دور القرآن الكريم في عالمية اللغة العربية وثقافتها.

9– دور تعريب الدواوين بأمر من الخليفة عبد الملك بن مروان (65–86هـ) في عالمية اللغة والثقافة العربية.

10– خلاصة الهدف من تعريب الدواوين في الدولة العربية الإسلامية.

ثالثا – قيام حركة لغوية واسعة النطاق لتدوين وتقعيد قواعد اللغة العربية نهض بها علماء عرب وعجم من أجل خدمة لغة القرآن الكريم.

رابعا – الترجمة والمترجمون من مختلف اللغات إلى اللغة العربية.

11– أبرز جوانب النهضة العلمية.

12– حركة تصنيف العلوم الإسلامية.

13- تنظيم العلوم الإسلامية.

14- تشييد دار الحكمة في بغداد.

15- اللغات التي ترجم تراثها إلى اللغة العربية.

16- المدارس التي نهضت بعبء ترجمة العلوم والثقافات إلى اللغة العربية.

أولا : اللغة العربية وثقافتها لغة و ثقافة محليتان

محاور الموضوع:

سوف أتناول الموضوع حسب المحاور التالية:

1- ما هي اللغة العربية- قبل الإسلام؟

2- ما هي الثقافة العربية- في العصر الجاهلي الأخير؟

اللغة العربية كانت في العصر الجاهلي الأخير منقسمة إلى لسانين:

أ- اللسان الحميري في اليمن ومنطقة الخليج العربي الحالية أي جنوب الجزيرة العربية.

ب- اللسان العدناني في شمال الجزيرة العربية وبالتحديد في نجد والحجاز وكلاهما يغاير الآخر في أوضاعه وأحكامه وإن كان بينهما شبه كبير في الألفاظ والتراكيب. حتى أن الراوية المشهور عمرو بن العلاء قال: (ما لسان حمير وأقاصي اليمن بلساننا - ولا عربيتهم بعربيتنا). وقد أشار إلى ذلك ابن خلدون[1] في مقدمته قائلا: "ولغة حمير لغة أخرى مغايرة للغة العدنانية في كثير من أوضاعها وتصاريفها. وحركات إعرابها "واللسان العدناني" هو الذي نستعمله اليوم في الكتابة وبه جاء الأدب الجاهلي ولم يأتنا أدب بلسان حمير.

---

[1] - المقدمة ج4 ص 1272 ط1 تحقيق و تعليق د، علي عبد الواحد وافي لجنة البيان العربي القاهرة 1922

وقد كان اللسان العدناني متعدد اللهجات بتعدد القبائل التي تنطق بـه ولكنـه لم يختلف في أحكام الترتيب، و التصريف و الاشتقاق بل اقتصر في اختـلاف لهجاتـه عن طائفة من الأوضاع تخالفت القبائل في استعمالها، وعلى انحرافات لفظية في قلب وإبدال وزيـادات.

وأهم تلك القبائل: قريش- هذيل - وأسد - وكنانة ويتفرع عن قريش قبائل: هاشم و امية ومخزوم وتميم وعدي وأسد ونوفل.

وقد تطورت اللغـة النضريـة العدنانيـة الحجازيـة بالنمـاذج و الاختـلاط حتـى وصلت إلى الصورة التي تمثلت في الأدب العربي و في القـرآن الكريـم، وذلـك أنـه قـد تكونت بجانب اللهجات القبلية المختلفة التي تنطق بها كل قبيلـة والعسـير فهمـها على سائر القبائل لغة مثالية خاليـة مـن العيـوب و الهفـوات هـي لغـة المجتمعـات الأدبية و لغة الشعر و الخطابة انصـهرت فيـها جميـع اللـهجات و اللغـات العربيـة وتكونت من أحسن ما في تلك اللغات، مـن عنـاصر، ونفضـت عنـها جميـع العيـوب التي وسمت بها سائر اللهجات فبرزت أحسن بروز في القرآن الكريـم، و فيمـا وصـل إلينا من أدب الجاهلية الرفيع وقد طغت على تلك اللغة المثالية لهجـة قريـش الـتي كانت أقل اللهجات عيوبا وهفوات وأفصحها بيانا.

أسباب تكوين اللغة العربية المثالية[2]

أما أسباب تكوين اللغة العربية المثالية فتعـود إلى جملـة مـن الأسـباب وعلـى رأسها:

---

[2] - جرجي زيدان تاريخ آداب اللغة العربية ج1 ص 76 دار الهلال، القاهرة 1957

1-مكة و تأثيرها الديني والتجاري.

لقد كانت مكة بما لها من تأثير ديني وتجاري مجتمعا للقبائل العربية، على اختلاف لغاتها يحضرون المواسم و الأفراح ويحجون البيت ويتقارضون الشعر بلغة يفهمها الجميع وقد كانت مكة محطا للقوافل من عهد قديم وكانت موطن قريش موضع إجلال العرب بما ورثته من شرف و سؤدد و ثراء، كما كانت الكعبة يفد إليها الحجاج من جميع الآفاق فكان لقريش نصيب وافر في توحيد اللغة، وكان العرب يقلدون لسانها والشعراء والخطباء يؤثرون ما هو في ذلك اللسان لان أهم الأسواق كانت في قريش و المحكمين فيها منهم أحيانا كثيرة، و كان الشعر ينتشر من تلك الأصقاع في جميع نواحي البلاد العربية وهكذا كانت اللغة المشتركة المثالية قريبة من لغة قريش كل القرب وعلى ضوء ما سبق فان تلك المجامع أو الأسواق بما لها من صبغة أدبية على جاليتها الدينية والتجارية مشت محمودة الخطى إلى توحيد اللغة العربية فصار الشعراء والخطباء يختارون الألفاظ والكلمات التي تالفها القبائل على اختلاف لهجاتها ويهملون مستقبح الكلمات والانحرافات حيث نشأ عن ذلك كله لغة أدبية مهذبة عرفت بلغة قريش ونزول القرآن الكريم بلغة قريش وطد سلطانها و جعل كل لهجة تغايرها تنهزم أمامها.

2- الأسواق :

و كانت الأسواق تقام في عكاظ وذي المجنة والمجاز و كلها قريبة من مكة حيث كان العرب يختلفون إليها في أوقات معينة من العام للشؤون التجارية والقضائية والأدبية وغيرها حيث يعالجون فيها قضايا فك الأسرى وحل قضايا الخصومات بينهم ثم ينصرفون إلى المفاخرة و المنافرة بالشعر والخطب في الحسب والنسب و الكرم والفصاحة والشجاعة بحيث كانت تلك الأسواق بمثابة معارض عامة

يفد إليها الناس، من مختلف أنحاء الجزيرة، وقل أن نجد بين أمم الأرض شعبا كالعرب في شدة إعجابهم بالأدب و تأثرهم بالكلام الأنيق الذي يلقى في مجالس الخطابة و لهم شغف و هيام كبيران بجمال اللغة حتى تمتعت اللغة العربية بما لم تتمتع به لغة أخرى من الاستيلاء على عقول الناس و السيطرة على أفئدتهم[3].

و من أبرز تلك الأسواق:

سوق عكاظ – ثم سوق مجنة – و سوق ذو المجاز، و كلها تقع قرب مكة وقد كانت سوق عكاظ تقام من أول شهر ذي القعدة إلى العشرين منه و كانت تجتمع فيها الأشراف و الزعماء للتجارة و افتداء الأسرى و التحكيم في الخصومات و أداء مناسك الحج و كان الكلام فيها بلغة يفهمها الجميع.

ما هي الثقافة العربية قبل الإسلام ؟ و ما هو محتواها ؟

ليس للعرب في العصر الجاهلي خارج نطاق الشعر و النثر العادي في علوم القدماء شيء يذكر خلا بعض الأصول في السحر و الطب لسبب بسيط و هو أنهم كما قال عنهم القرآن الكريم أمة أمية لا تقرأ و لا تكتب. قال تعالى: "هو الذي أرسل في الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته و يزكيهم و يعلمهم الكتاب و الحكمة و إن كانوا من قبل لفي ضلال مبين" – سورة الجمعة . الآية رقم 2. و رواج العلوم في أمة من الأمم يتطلب أولا شيوع القراءة و الكتابة بين أبنائها.

لقد كانت الأمية وخاصة لدى عرب الشمال في نجد و الحجاز متفشية فيهم بشكل رهيب بحيث عندما ظهر الإسلام الحنيف كان في قريش كلها سبعة عشر (17) رجلا فقط يقرأون و يكتبون و هم:

---

[3] – راجع. فيليب حتى وآخرين، تاريخ العرب المطول، ج1 1961 دار الكشاف بيروت، ص122.

عنوا بإتقانها وكتبوا بالخطين النسخي والكوفي ولذلك وصل إلينا الأدب الجاهلي عن طريق الرواية وليس الكتابة بعد الإسلام بعد شيوع الكتابة لديهم[5].

حياة العرب العقلية أو (العلوم عند العرب)

في مثل هذا الطور من الحياة الاجتماعية التي شرحناها لا يكون علماء يتوافرون على العلم يدونون قواعده ويوضحون مناهجه لأن العلم دائما يكون نتيجة الحضارة إذ فيها يكثر المال، وتتوافر سبل العيش فيجد قوم من وقتهم مع سهولة الحصول على عيشهم ما يمكنهم من التفرغ للعلم والبحث في نظرياته وقضاياه - وهذا ما لم يكن متوفرا في الجاهلية حيث عرفوا عن طريق الطبيعة المفتوحة أمام أعينهم وما استفادوه من تجاربهم العملية فقد عرفوا كثيرا عن النجوم ومواقعها والأنواء وأوقاتها وعرفوا طبعا ما هدتهم إليه التجارب وتوارثوه جبلا عن جيل. وكانت لهم نظرات في الحياة وخطرات فلسفية هداهم إليها العقل السليم[6].

النثر الجاهلي:

لقد كان للعرب في العصر الجاهلي نثر يتكلمون به في شؤونهم الخاصة وتصريف أمورهم العامة، وكان لهم ما يمكن اعتباره نثرا فنيا ونعني به النثر المنمق الذي صيغ في قالب أدبي يثير المشاعر، ويحرك العواطف، وكان هذا الضرب من نثرهم أقل شأنا من شعرهم. لأن الشعر وليد الخيال والنثر وليد العقل والأمة في بادئ أمرها خيالها أكبر من عقلها ولأن النثر الذي هذا شأنه أظهر ما يكون في الكتابة يرتب الكاتب فيها أفكاره، ويحدد معانيه وأغراضه والعرب في الجاهلية كما ذكرنا من قبل أمة أمية. قل فيها القارئ والكاتب. بل إن الذي قالوه من النثر في

---

[5] - انظر ابن خلدون، المقدمة، ص 350.

[6] - المفصل في تاريخ الأدب العربي ج1، أحمد أمين وآخرون، ص 22 القاهرة 1936.

جاهليتهم لم يصل إلينا وافرا وفرة الشعر. لأن الأدب الجاهلي روي أول الأمر عن طريق المشافهة نقله راو عن راو سماعا ولم يدون إلا في العصر العباسي الأول والذاكرة تقدر على حفظ الشعر وروايته عن حفظ النثر وروايته، لأن ما للشعر من أوزان وقوافي يعين على استذكاره وضبطه، وإذا أخطأت الذاكرة فيه. فكلمة موضع كلمة أو شطر موضع شطر، ولكن جوهر القصيدة سليم غالبا، وليس كذلك النثر وما ورد إلينا من نثرهم ينحصر غالبا في الأنواع التالية:

1 – قصص تروي فيه أخبارهم وأيامهم[7] ومفاخرهم وقد روي من هذا الكثير في كتاب الأغاني ولكن يظهر أن هذا النوع كثير ألفاظه ألفاظا لراوي احتفظ بالمعنى ورواه من لفظه.

2 – مواعظ دينية كالذي روي عن قس بن ساعدة ولكن أكثر المأثور من النثر الجاهلي هو الخطب في الموضوع.

3 – الخطابة: وللخطابة صلة وثيقة بالشعر لاعتمادها كذلك على الخيال يثير العاطفة ويهيج المشاعر، وأكثر ما تنمو الخطابة حيث الحرية والاستقلال، وحيث الحاجة إليها شديدة في النضال الحربي والقومي، وهذه أمور كانت متوفرة في الجاهلية وعلى الجملة فما روي من خطبهم يمتاز بقوته فمعان غزيرة في ألفاظ قليلة وجمل محكمة، وضع بعضها بجانب بعض في قليل من الروابط والصلات.

4– بعض الشذرات النثرية وأكثرها من نوع الروايات والأساطير التقليدية التي صنفت في العصر الإسلامي، وادعى مؤلفوها أنها اتصلت بهم على الأجيال السالفة ومعظم هذه الحكايات يتعلق بالأنساب والمعارك القبلية ونماذج من

---

[7] – راجع كتاب أيام العرب في الجاهلية للأساتذة محمد أحمد جاد المولى وآخرين، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، بدون تاريخ ففيه قصاص ومواعظ دينية كثيرة وأمثال.

النثر من سجع الكهان المنسوب إلى كهان الجاهلية ويمكن اعتبار النثر المسجع الذي ابتكره الكهان والعرافون خطوة أولى في سبيل ابتداع الفن الشعري.

5- الأمثال: والأمثال هي عبارة عن جمل رصينة جمعت فيها تجارب الأمة واجتمع فيها، إيجاز اللفظ، وأصالة المعنى، وحسن التشبيه، والأمثال عادة صورة صحيحة من صور الأمة، وتمتاز بأنها لا تمثل عقلية طبقة راقية فقط كالشعراء، ولكنها تمثل عقليات الشعب جميعه لأنها تنبع من طبقاته المختلفة. والعرب من أغزر الأمم أمثالا، وكانت لهم أمثالهم إما جملا حكيمة ينطق بها عقلاؤهم وذوو التجربة فيهم وإما شعر وقد اشتهر بهذا النوع زهير بن أبي سلمى شعرا واكتم بن صيفي نثرا وقد جمعت الأمثال العربية في كتب كثيرة أشهرها وأجمعها (الأمثال) للميداني.

ثانيا: الشعر الجاهلي[8]:

و يبدو أن الثقافة العربية في العصر الجاهلي تتجلى أول ما تتجلى إلى جانب النثر الجاهلي في الشعر الجاهلي - يقول ابن سلام الجمحي المتوفى 232هـ في كتابه طبقات الشعراء والذي يعد من المصادر الأولى لعلم الشعر يقول «كان الشعر في الجاهلية - ديوان علمهم و منتهى حكمهم به يأخذون وإليه يصيرون». قال ابن عون عن ابن سيرين قال - عمر ابن الخطاب» كان الشعر علم قوم لم يكن لهم أهم منه. فجاء الإسلام فتشاغلت عنه العرب. فانشغلوا بالجهاد وغزو فارس والروم، ولهيت عن الشعر وروايته فلما انتشر الإسلام وجاءت الفتوح واطمأنت العرب بالأمصار راجعوا رواية الشعر« فلم يئلوا إلى ديوان مدون ولا كتاب مكتوب فألفوا ذلك وقد هلك من العرب من هلك بالموت والقتل فحفظوا أقل ذلك وذهب عنهم أكثره " قال عمر

---

[8] - انظر، فيليب حتى وآخرين، تاريخ العرب المطول، ج1 1961 دار الكشاف بيروت، ص 123-124.

بن العلاء ما انتهى إليكم مما قالته العرب إلا أقله ولو جاءكم وافرا لجاءكم علم وشعر كثيرا"[9].

ولم يتفوق العربي في العصر الجاهلي إلا في ميدان الشعر، ففي هذا الميدان نالت مواهبه الرفيعة فوزها العظيم و حب البدوي للشعر كان الظاهرة الوحيدة في حياته.

والشاعر عند العرب له تأثير عظيم و مقام سام، فهو حامي القبيلة وخطيبها ومؤرخها وقد يكون كاهنها أيضا ويتفق المؤرخون الأقدمون على أن الشعر نهض أولا في ربيعه، والشاعر كما يقول "نولدكا" هو نبي قبيلته، وزعيمها في السلم وبطلها في الحرب. وكانت كل قبيلة تحرص أن يكون لها شاعر مع القائد والخطيب وقبلهما وكانت إذا نبغ فيها شاعر تقيم الأعياد وتبسط الموائد، وتغدو إليها القبائل تهنئها بمن سيقودها بأقواله ويذود عن شرفها ويخلد مآثرها ويتغنى بمفاخرها[10].

ثانيا : اللغة العربية - وثقافتها العالمية

- كيف شقت اللغة العربية والثقافة العربية طريقهما نحو العالمية:

يمكن إجمال العوامل التي جعلت اللغة العربية وثقافتها تشقان بثبات طريقهما نحو العالمية في العوامل التالية:

أ- نزول القرآن الكريم باللغة العربية على محمد بن عبد الله (ص) في ليلة السابع والعشرين من شهر رمضان في عام 610 ميلادية في نهاية العصر الجاهلي الثاني الذي يمتد على حوالي 150 عاما قبل ظهور الإسلام كان العامل الأساسي في إخراج اللغة العربية وثقافتها من المحلية داخل منطقة نجد و الحجاز في الجزيرة العربية إلى

---

[9] - المنتخب من ادب العرب، ج1 للدكتور طه حسين وآخرين، مطبعة دار الكتب المصرية القاهرة 1931 ص 129-130

[10] - حنا الفاخوري، تاريخ الأدب العربي ج1 ص 59. ط3، بيروت بدون تاريخ.

نطاق العالمية على أوسع نطاق حيث أصبحت العربية وثقافتها تسيران في ركب الإسلام الذي أرسل إلى الناس كافة حيثما حل يحلان.

إن القرآن الكريم يعتبر مفخرة العرب في لغتهم إذ لم يتح لأحد من الأمم كتاب مثله لا ديني ولا دنيوي من حيث البلاغة - والتأثير في النفوس والقلوب سواء حين يتحدث عن عبادة الله الواحد الأحد وعظمته وجلاله أو عن خلقه للسماوات والأرض أو عن البعث والنشور أو حيث يشرع للناس حياتهم ويقيمها على نهج سديد يحقق لهم السعادة في الدارين، الأولى والأخرى.

وأول ما كان من آثار القرآن الكريم أن جمع العرب على لهجة قريش - وحقا كانت هذه اللهجة تسود القبائل الشمالية في الجاهلية غير أن هذه السيادة لم تكن تامة. فقد كان الشعراء هم الذين يستخدمونها غالبا. أما قبائلهم فقد كانت تلوك لهجات تختلف عن اللهجة القريشية قليلا أو كثيرا حسب قربها من مكة أو بعدها عنها فعمل القرآن الكريم على تقريب ما بين اللهجات من فروق واستكمال السيادة للهجة قريش إذ كان العرب يتلونه أناء الليل وأطراف النهار - وأخذت هذه اللهجة تعم بين القبائل الجنوبية في اليمن ومنطقة الخليج العربي حاليا تقريبا التي > انت لا تزال تتكلم اللغة الحميرية القحطانية ولما فتحت الفتوح- ومصرت الأمصار أخذت لهجته تسود مشارق العالم الإسلامي ومغاربه[1].

---

[1] راجع تفاصيل أكثر في تاريخ الأدب العربي، العصر الإسلامي للدكتور شوقي ضيف، دار المعارف القاهرة 1963 ص 31 وما بعدها.

أثر القرآن في اللغة العربية :

ومن المعلوم من الدين بالضرورة أن القرآن الكريم - قرآن بمجموع ألفاظه ومعانيه التي نزل بها وأعجز البشر محاكاتها في فصاحتها وبلاغتها لذلك عني المسلمون بحفظه جد العناية وقرأوه ودونوه بلغة قريش المنزل بها فكان ذلك بمثابة تصديق لقوله تعالى «إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون» وكان لحفظه أثر عظيم على اللغة العربية وأهلها تتمثل في مجموعة من الفوائد نجملها فيما يلي:

– أنه حفظ اللغة العربية من الانقراض كما انقرض غيرها من اللغات القديمة والتي تعتبر الآن من اللغات الأثرية.

– أنه عمل على توحيد لهجاتها في لهجة قريش. فكان ذلك بمثابة التئام لصدوعها وجمع لشتيت قبائلها في لغة – العبادة – والقراءة – والكتابة.

– أنه عمل على توسيع نطاقها بالتوسع في استعمال بعض ألفاظها لتتسع للمعاني الدينية والفقهية بما سمي بالألفاظ الإسلامية – مثل لفظ المؤمن ولفظ الكافر و لفظ المنافق ولفظ الصلاة والصوم والزكاة وغيرها من المصطلحات اللفظية الإسلامية.

– أنه عمل على تهذيب ألفاظ اللغة العربية. وأساليبها وذلك بكثرة ترديد المسلمين لآياته على ألسنتهم في الصلاة والتعبد بها وطول درسهم له وتفهمهم إياه. واستنباط أحكام دينهم و شريعتهم منه والتأدب بعباراته وأمثاله وإيجازه ومجازه وتشبيه استشهادهم به واقتباسهم منه في أحاديثهم وكتاباتهم و استشهاداتهم والتلذذ بتلاوته حيث ينشأ من كل ذلك اطمئنان في النفوس به وميل إلى محاكاة أساليبه وإيثار ألفاظه في الاستعمال في التحدث والخطابة والكتابة والشعر إذ كانت أساليبه وألفاظه تتسامى في جميع وجوه الكلام عما عرفوا وتتجافى عن المبتذل أو الحوشي الذي ألفوا.

ويحدد الأستاذ جرجي زيدان في كتابه الضخم "تاريخ آداب اللغة العربية" الجزء الثاني - ص18 تأثير القرآن الكريم في المجتمع الإسلامي من الوجهة الاجتماعية واللغة فيقول: لم يكتب لغير القرآن الكريم من الكتب الدينية في الأمم الأخرى مثلما حصل في القرآن ذلك أنه أطال بقاء اللغة العربية الفصحى وجعل ملايين من الناس يقرأونها ويفهمونها وهو الذي حفظ الجامعة العربية واستبقى العنصر العربي لأن الإسلام يفرض على كل مسلم أن يحفظه ويطالعه فلولا القرآن الكريم لكانت للعالم العربي لغات متفرقة يصعب التفاهم بين أصحابها كما صارت إليه اللغة اللاتينية بعد ذهاب دولة الرومان حيث تفرق أصحابها أمما وطوائف وامحت الدولة الرومانية والأمة الرومانية. كما امحت سواها من الأمم التي ذهبت جنسيتها بذهاب لغتها مثل السريان، والأنباط في الشام والقبط في مصرK وهؤلاء إنما حفظت جامعتهم بالدين لا باللغة.

أما اللغة العربية فقد حفظها القرآن الكريم وحفظ بها التفاهم بين الأمم الإسلامية في الشام، ومصر، والعراق، والحجاز، والمغرب، وزنجبار، والسودان وغيرها ولولاه لكانت كل أمة من هؤلاء تتكلم لغة لا تفهمها صاحبتها ومع ذهاب التمدن الإسلامي وتقهقر الدولة الإسلامية، كان يخشى ضياع تلك الأمم وفناؤها أو اندماجها في الأمم التي تسلطت عليها. كما أصاب الأمم التي اندمجت بالعرب بعد الإسلام لكنها تجتمع وتتعاون لأنها تتفاهم بلغة واحدة، هي لغة القرآن الكريم وتعد نفسها أمة واحدة، ناهيك بمن يقرأ العربية من غير العرب بسبب حفظ القرآن الكريم ولو كان في أقصى الشرق كالهند والصين أو بوسط آسيا كتركستان وخراسان، وفارس فإن عدد قراء العربية في العالم اليوم يفوق مآت الملايين وقراء التوراة بلغتها الأصلية شرذمة من اليهود المتعلمين وجمهورهم يقرأها بلغة بلاده وقراء الأناجيل بلغتها

الأصلية فئة قليلة وأكثر أمم النصرانية يقرأونها في اللغات المترجمة إليها - أما القرآن فالمسلمون يقرأونه باللغة العربية التي نزل بها[12].

ب- تعريب الدواوين في الخلافة الإسلامية بأمر من الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان (65-86 هـ):

أما العامل الثاني الذي جعل اللغة العربية وثقافتها بعد القرآن الكريم تشق طريقها نحو العالمية فهو تعريب دواوين الدولة الذي تم بأمر من الخليفة الأمي العظيم عبد الملك بن مروان الخليفة الخامس في الدولة الأموية في بلاد الشام.

ويلاحظ أن عبد الملك بن مروان كان كما تقول المراجع التي تحدثت عن تاريخ سيرته الذاتية يتمتع بثقافة عالية، وكان يعد أحد فقهاء المدينة المنورة المشهود لهم بسعة العلم والفقه وهو من طبقة سعيد بن المسيب- وعروة بن الزبير - ويقول عنه الشعبي ما ذاكرت أحدا إلا وجدت لي الفضل عليه إلا عبد الملك بن مروان - فإني ما ذاكرته حديثا إلا زادني فيه، ولا شعرا إلا زادني فيه. وكان يقول فقهاء المدينة المنورة أربعة سعيد بن المسيب - وعبد الملك بن مروان، وعروة بن الزبير وقبيصة بن ذؤيب - وقال ابن عمر عنه «ولد الناس أبناءا، وولد عبد الملك بن مروان أبا» [13]

- ومن أهم أعمال عبد الملك بن مروان المجيدة أنه عمل على تعريب الدواوين في الدولة الإسلامية الشاسعة الأطراف فقد كان ديوان الشام يكتب بالرومية وكان ديوان العراق وفارس يكتبان بالفارسية وكان ديوان مصر يكتب باليونانية، فعمل عبد الملك بن مروان على نقلها جميعا إلى اللغة العربية.

---

[12] جرجي زيدان، تاريخ آداب اللغة العربية الجزء الثاني، دار الهلال القاهرة 1957 ص 18.

[13] أنظر السيوطي، تاريخ الخلفاء ص 216.

- معنى الديوان [14]

والديوان كلمة تشمل القوانين التي تتبعها الدولة في شؤونها المالية والعسكرية والسياسية كما تشمل الجماعات التي تعمل على تنفيذ تلك القوانين - ويقول ابن خلدون (المقدمة 190) عن الديوان «إنه القيام على أعمال الجبايات، وحفظ حقوق الدولة في الداخل والخارج وإحصاء العساكر بأسمائها وتقدير أرزاقهم وصرف أعطياتهم في إباناتها والرجوع في ذلك إلى القوانين التي يرتبها قومة تلك الأعمال وهي كلها مسطورة في كتاب شاهد بتفاصيل ذلك في الدخل والخرج فيبنى على جزء كبير من الحساب، لا يقوم به إلا المهرة من أهل تلك الأعمال ويسمى ذلك الكتاب بالديوان.

ويقول الماوردي في كتابه (الأحكام السلطانية ص 191) والديوان موضوع لحفظ ما يتعلق بحقوق السلطة من الأعمال والأقوال وحقوق من يقوم بها من الجيوش والعمال وأول من أسس الديوان في الإسلام هو عمر بن الخطاب واتجه هذا الديوان إلى مسائل الأموال وإحصاء المستحقين، وطريقة توزيع الأموال عليهموعلى هذا كان ذلك الديوان يؤدي العمل الذي أطلق عليه القلقشندي «كتابة الأموال» وكان لهذا الديوان الذي أنشأه عمر بالمدينة فروع في العراق والشام ومصر وبجوار فروع هذا الديوان العربي كانت تقوم الدواوين المحلية التي تركت في العراق والشام ومصر كما كانت قبل الإسلام.

وقد استبقى عمر تلك الدواوين بموظفيها ولغاتها فكان ديوان العراق بالفارسية وديوان الشام بالرومية وديوان مصر باليونانية وإنما ترك عمر هذه الوظائف في يد غير

---

[14] -انظر دكتور أحمد شلبي، في كتابه السياسة والاقتصاد في التفكير الإسلامي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة 1964 ص 120.

المسلمين لأن الفاتحين كما يقول ابن خلدون (المقدمة 166) كانوا عربا أميين لا يحسنون الكتاب والحساب، فكانوا يستعملون في الحساب أهل الكتاب أو أفرادا من الموالي العجم - ممن يجيده وكان قليلا فيهم [15]

خلاصة الهدف من تعريب الدواوين في الدولة العربية الإسلامية

لقد تنبه العرب المسلمون إلى التناقض الذي كان يسود أوضاع الدولة الإسلامية في البلدان التي انضوت تحت لوائها وخاصة في خلافة عبد الملك بن مروان الخليفة الأموي الخامس (65–86 هـ) ويتمثل هذا التناقض في بقاء اللغات غير العربية سائدة في المجالات المالية والإدارية والعلمية وانحسار استعمال اللغة العربية في مجالات محدودة وهي: المجالات الدينية والأدبية وديوان الجندي فقط فالدولة عربية إسلامية ولغة الدين والقرآن الكريم عربية ولغة الحكام هي اللغة العربية أما لغة الدواوين والإدارة فهي غير عربية إن استمرار هذا الوضع الشاذ في هيكل الدولة الإسلامية ومؤسساتها بدون علاج جذري وسريع يشكل تهديدا خطيرا لا على مستقبل الحكم العربي الإسلامي في تلك البلدان التي انضوت تحت لواء الدولة الإسلامية الحديثة فقط وإنما على مستقبل اللغة العربية وهي لغة القرآن الكريم إذا لم يعجل بتعريب الدواوين وتوحيد لغة المعاملات الإدارية مع لغة الدين والعبادات بحيث تصبح لغة المجتمع الإسلامي العربي لغة واحدة هي اللغة العربية سواء في المساجد والمحاكم ومعاهد التعليم أو في الشؤون الإدارية والمالية والديبلوماسية وغيرها من شؤون الحكم والسيادة.

وقد ترتب على تعريب الدواوين وتوحيد لغة العمل بها في مختلف أرجاء الدولة العربية الإسلامية أن أصبحت اللغة العربية والثقافة العربية منتشرتين انتشارا

---

[15] الدكتور أحمد شلبي المرجع السابق، ص 147–148.

كبيرا بين كافة الجنسيات اللغوية التي انضوت تحت لواء الحكم الإسلامي، كما تعربت الشعوب الأعجمية التي اعتنقت الإسلام. حيث اتخذت من اللغة العربية لغة الحديث اليومية ولغة الثقافة، ولغة الكتابة والإبداع في مختلف مجالات الفكر والإبداع كما اتخذت من الإسلام الحنيف دينا وعقيدة لها. أما اللغة العربية فقد عجلت عملية تعريب الدواوين بتطويرها تطويرا كبيرا وإثرائها بمصطلحات جديدة ومفردات جديدة في أغلب الشؤون الإدارية والعلمية والتربوية وبالتالي أصبحت لغة ثرية وصارت لغة دين ودنيا في وقت واحد.

وفي الواقع فإن تعريب الدواوين يعتبر أعظم حدث ثقافي، سياسي بعد جمع القرآن الكريم نظم وفق خطة شاملة.[16]

وقد كانت عملية تعريب الدواوين في مختلف مناطق الدولة العربية الإسلامية تعني أكثر من مجرد التعريب لسجلات الضرائب إنه نشر للثقافة العربية التي ظهرت وبرزت على الثقافات الأخرى وطبعتها في الغالب بطابعها الخاص مما أدى حتما إلى زوال نفوذ بعض المجتمعات في المجتمع العربي الإسلامي التي كان كيانها مستمدا من التفوق في الثقافة والمدنية واللغة والإدارة.

وقد ترتب على إتمام تعريب الدواوين الإدارية في مختلف مناطق الدولة الإسلامية أن تمكنت اللغة العربية من التغلب على اللغات السائدة في العالم حينذاك وهي اللغات التالية:

الفارسية – والرومية – واللاتينية – واليونانية – والقبطية – والبربرية

وأصبحت هي لغة العلم والثقافة والإدارة والعلاقات الدولية بين الأمم.

---

[16] أنظر عبد الكريم ذو النون (تعريب دوّبين العراق في عهد الحجاج ابن يوسف الثقافي) دراسة منشورة في مجلة (آفاق عربية) عدد 12 السنة الرابعة، آب، أغسطس، 1979 بغداد ص 97–98.

وقد تم كل ذلك بفضل القرار السياسي الحكيم من أعلى سلطة في الدولة وهو الخليفة عبد الملك ابن مروان (65–86 هـ) الذي أصدر أمره الحازم كما ذكرنا إلى كل ولاة الدولة الإسلامية بوجوب تعريب الدواوين وحدد لهم مهلة التنفيذ وعين من يقوم بتعريب كل ديوان من الأشخاص الذين يتقنون لغة الديوان الأصلية إلى جانب اللغة العربية المنقول إليها وهكذا تم هذا العمل الجليل في تاريخ الحضارة العربية الإسلامية. وعلى ضوء ذلك فإن مشكلة تعميم استعمال اللغة العربية في الجزائر اليوم وكذلك في بعض البلدان العربية الأخرى إنما يعود إلى عدم وجود القرار السياسي الحازم من رؤساء وقادة تلك الأقطار وليس العيب في اللغة العربية كما يزعم دعاة اللائكية والفرنسة في الجزائر خاصة.

جـ – قيام حركة لغوية واسعة النطاق لتدوين وتقعيد قواعد اللغة العربية

وأما الحركة الثالثة التي نشطت منذ أواخر القرن الهجري الأول وطوال القرون الثلاثة التالية له فهي حركة لغوية واسعة النطاق نهضت برواية الشعر والنثر والأمثال وغيرها من مصادر اللغة العربية .

وقد رأى القائمون بها وجوب المحافظة على اللغة العربية سليمة كما نطق بها العرب غداة ظهور الإسلام ونزل بها القرآن الكريم من أي تحريف أو تصحيف قد تتعرض لهما من طرف الشعوب غير العربية التي اعتنقت الإسلام وهكذا نشأ (علم النحو) على أيدي (أبي الأسود الدؤلي،المتوفى سنة 69 هـ) ثم تناوله منه علماء **البصرة والكوفة** فأكملوه وفصلوه [17] كما قام الخليل بن أحمد (100–170 هـ) وهو عبقرية عربية فريدة من نوعها في تاريخ الثقافة العربية الإسلامية بالعكوف على تنظيم علوم اللغة العربية يخترع فيها ويستنبط أصولها من فروعها على طريق لم

---

[17] أنظر أحمد حسن الزيات (تاريخ الأدب العربي) القاهرة بدون تاريخ ص 86

يسبق إليها فهو أول مبتكر للمعاجم اللغوية وهو أول مبتكر لعلم العروض وحصر أشعار العرب في بحوره وهو الذي اخترع علم الموسيقى العربية وجمع فيه أصناف النغم وهو الذي عمل النحو الذي نعرفه اليوم[18] وقد قام إلى جانب أبي الأسود الدؤلي والخليل بن أحمد وأضرابهما من علماء الكوفة والبصرة وبغداد علماء كثيرون تمحضوا لجمع أشعار العرب وآدابهم وقصاصهم وأمثالهم وكل ذلك كان بهدف المحافظة على اللغة العربية واستنباط مختلف العلوم اللغوية التي تجعل منها لغة غنية في متنها خصبة في محتواها ومتينة في قواعدها وتراكيبها نذكر منهم على سبيل المثال فقط **الأصمعي وأبو زيد الأنصاري وأبو عبيدة معمر بن المثنى والكسائي، والفراء، والمفضل الضبي، وسيبويه، وغيرهم.**

ويلاحظ أن البعض من هؤلاء الرواة واللغويين هم من العرب الأقحاح كما أن بعضهم الأخر هم من الفرس الذين دخلوا في الإسلام مثل **أبي عبيدة، والكسائي وسيبويه.** لقد أدرك علماء القرون الهجرية الأولى وخاصة علماء القرنين الثالث والرابع الهجريين بثاقب بصيرتهم وعمق تفكيرهم، دور اللغة العربية الفصحى في ربط حياة العالم الإسلام في حضارته. العربي في قرآنه وثقافته برباط متين وما قد يتهدد هذه الوحدة من عوامل التفكك والتفرق إذا ما تركت تلك الرابطة (أعني اللغة العربية) من غير تقنين وتنظيم وإذا ما سمح لعوارض اللحن وخصائص اللهجات الدارجة أن تطغى على اللغة العربية الفصحى لغة القرآن الكريم أو تنقص من عوامل الولاء لها لهذا قاموا بحركاتهم الأكاديمية الموفقة في جمع اللغة العربية وتمييز فصيحها من غريبها وقياسها وشاذها وفي تدوين آدابها الذي كان يعتمد في مراحله الأولى على الرواية الشفوية وحفظه من الضياع والخلط والاضطراب وفي وضع المعايير

---

[18] أنظر أحمد أمين، ضحى الإسلام، جـ 2، ط 7، النهضة المصرية، القاهرة 1961 ص 290.

المقننة للغة، وآدابها وبلاغتها ولم يكن مجهود هؤلاء العلمـاء في حفظ اللغـة والأدب ونهضة دراساتهما بأقل من مجهود علماء الشريعة في خدمة الدراسات القرآنيـة وجمع السنة وضبط رواية الحديث وتطور الفقه والتشريع [19]

وقد كان من نتائج هذه الحركة اللغويـة النشـيطة أن أصبحـت اللغـة العربيـة منظمة تنظيما دقيقا في نحوها وصرفها وعروضها وبلاغتها واشتقاقاتها مما جعل منها لغة علوم آداب ودين وإدارة أي جعل منـها لغـة قـادرة علـى التعبـير عـن خلجـات النفس من ناحية ومبتكرات العقل والفكر من ناحية أخرى وبذلك صارت لغـة قـادرة على أداء كل الوظائف المطلوبة من لغة حية متطورة – سواء في الثقافـة والعلـوم أو في الإدارة وشؤون الحكم .

د– الترجمة والمترجمون من مختلف اللغات إلى اللغة العربية:

والعامل الرابع والأخير الذي جعـل مـن اللغـة العربيـة وثقافتـها لغـة وثقافـة عالمتين هو حركة الترجمة الواسعة النطاق التي نهضت بـها الخلافـة العباسـية منـذ قيامها إلى نهاية سقوطها (132–656 هـ) (750–1258 م).

وفيما يلي ملخص لهذه الحركة المباركة التي أغنت اللغـة والثقافـة العربيتـين علميا وفلسفيا وتقنيـا ممـا مكنـهما بـأن تصبحـا لغـة وثقافـة عـالميتي طـوال العصـور الوسطى بالاصطلاح الأوربي لتقسيم تاريخ العالم وأهم تلك اللغات التي ترجـم تراثـها إلى اللغة العربية نذكر اللغات التالية:

1– اللغة اليونانية –الإغريقية.

2– اللغة الرومية.

---

[19] أنظر محمد خلف الله احمد، مجلة معهد البحوث والدراسات العربية عدد 4 (جوان – حزيران) 1971 القاهرة ص4–5.

3- اللغة الفارسية.

4- اللغة الهندية.

5- اللغة السريانية.

وقد نهض بعبء هذه الترجمة عدد من المدارس من بينها المدارس التالية:

1- مدرسة جنديسابور قرب مدينة البصرة.

2- مدرسة نصيبين.

3- مدرسة حران.

4- مدرسة الرها.

5- مدرسة أنطاكيا.

6- مدرسة الإسكندرية.[20]

لم يصح عن العرب زمن الدولة الأموية أنهم ترجموا من كتب الأوائل إلا (كناش) أهرون في الطب ترجمها (ماسرجويه) طبيب مروان بن الحكم وأذاعها عمر بن عبد العزيز في الناس ولكن العرب والمستعربين والمسلمين كافة أصبحوا في زمن الدولة العباسية بحاجة إلى الانتفاع بحضارات الأمم الغابرة وصناعاتهم فرغب الخلفاء العباسيون في ترجمة الفلسفة والطب والرياضيات والفلك والتنجيم حيث ترجم عبد الله بن المقفع للخليفة المنصور كثيرا من كتب الفرس في السياسة وتدبير الملك والأدب وسير الملوك وترجم كتبا يونانية كانت قد نقلت في زمن كسرى

---

[20] راجع شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، العصر العباسي الأول ط2 دار المعارف القاهرة 1966 ص100 وانظر أيضا، فيليب حتى وآخرين، تاريخ العرب (مطول)مجلدان ط3 دار الكشاف بيروت 1961، الفصل التاسع عشر من ص270 إلى ص290، والفصل 21 من ص308 إلى ص348، والفصل 24 من ص369 إلى ص408، والفصل 27 من ص444 إلى ص494، والفصل 28 من ص495 إلى ص504.

أنوشروان إلى الفارسية في المنطق والفلسفة واستقدم المنصور بختيشوع الكبير رئيس أطباء جنديسابور وابنه ونوبخت وابنه أبا سهل والبطريق فترجموا له كثيرا من كتب الطب والحكمة والفلك والسياسة. ثم فترت الترجمة بعد الخليفة المنصور إلى أن أحياها البرامكة وهارون الرشيد فحثوا العلماء على ترجمة كتب كثيرة وصححوا بعض ما ترجم في عهد المنصور ثم نهضت الترجمة في عصر المأمون نهضة شملت أكثر ما عثر عليه من كتب اليونان وما بقي من كتب النبط وما وصل إليهم من كتب الهند والفرس وأكملوا تصحيح ما ترجم من قبل وبعث المأمون إلى القسطنطنية بعثات ممن يحذقون اللغة اليونانية ليختاروا ما يرونه صالحا للترجمة إلى اللغة العربية وكان منهم الحجاج بن مطر وسلم" صاحب بيت الحكمة وابن البطريق وحنين بن إسحاق فاختاروا كتبا كثيرة حملوها معهم إلى بغداد وقاموا بترجمتها ونقلها الناس منهمونشأت طائفة من الأطباء والفلكيين والرياضيين استقلوا ببحوثهم فوصلوا إلى مرتبة النهوض في هذه العلوم ومنهم بنو موسى بن شاكر وهم محمد وأحمد والحسن أشهر رياضيي هذا العصر وأول من ألف في علم الحيل والآلات (الميكانيكا) ومحمد بن موسى الخوارزمي واضع علم الجبر ومذيع الحساب الهندي وأرقامه بين العرب وفيلسوف العرب والإسلام أبو يوسف يعقوب الكندي وتلميذه أحمد بن الطيب السرخاسي وغيرهم ولم ينته هذا العصر حتى أصبحت هذه العلوم ملكة راسخة في أهل الملة الإسلامية وامتزجت بحياتهم وآدابهم وبحوثهم ونبغ منهم الطبيب الكيمائي الأكبر أبو بكر محمد بن زكريا الرازي المتوفى 311 هـ والمعلم الثاني أبو نصر الفرابي الذي أدرك العصر العباسي الثاني وعاش فيه دهرا [21]

---

[21] انظر كتاب المفصل في تاريخ الأدب العربي الجزء الأول. أحمد أمين وآخرين القاهرة سنة 1936، وزارة المعارف العمومية ص 212.

الترجمة إلى العربية في العباسي الأول 232/132 هـ :

إن هذا العصر يعتبر في القمة بين عصور التاريخ الإسلامي فقد بدأ فيه التدوين ونظمت العلوم الإسلامية وبدأ المسلمون خلاله يتصلون بالثقافات الأجنبية وهي:

الفارسية، والهندية، واليونانية وترجموا أهم الأبحاث إلى اللغة العربية ولم يكتف المسلمون بالترجمة فقط بل أضافوا إليها وانتقدوا وابتكروا وانتقلت ثقافتهم إلى أوروبا عن طريق إسبانيا،وصقلية فكانت من أهم الأسباب للنهضة الأوروبية في أواخر العصور الوسطى .

ومن الطبيعي أن يكون العصر العباسي الأول أنسب العصور ملاءمة للنهضة الثقافية – فمدنية الإسلام بدأت فيه تستقر بعد هدوء حركة التوسع والفتوح التي كانت طابع العصر الأموي والثقافة كما هو معروف تنتشر في الأمة إذا هدأت واستقرت أمورها وانتظم ميزانها الاقتصادي وكل هذه الأمور قد توفرت للأمة الإسلامية بعد قيام الدولة العباسية في عام 132 هـ.

وقد ظهر في ذلك العصر (132–232 هـ) نخبة من الشعراء والفلاسفة والمؤرخين والرياضيين ورجال الدين وقادة الفكر الذين أكسبوا الأمة العربية أغنى وأبرز تراث أدبي وعلمي حظيت به.

أبرز جوانب النهضة العلمية:

وكانت النهضة العلمية في ذلك العصر تتمثل في ثلاثة جوانب هي:

1– حركة التصنيف.

2– حركة تنظيم العلوم الإسلامية .

3– حركة الترجمة من اللغات الأجنبية إلى اللغة العربية.

حركة التصنيف :

ففي بداية عام 143هـ شرع العلماء المسلمون في تصنيف الحديث النبوي الشريف والفقه والتفسير وكتب العربية واللغة والتاريخ وأيام الناس ومن أشهر المصنفين في هذا العصر الإمام مالك بن أنس الذي ألف كتاب الموطأ وابن إسحاق الذي كتب سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم والأمام أبو حنيفة الذي صنف الفقه والرأي ويرجع إلى أبي جعفر المنصور الخليفة العباسي الثاني الفضل في توجيه العلماء هذا الاتجاه.

تنظيم العلوم الإسلامية:

العلوم الإسلامية هي التي نبعت من طبيعة الحياة الإسلامية وهي التي تتعلق بالدين ولغة القرآن الكريم مثل التفسير وعلم الحديث والفقه ومذاهبه والنحو ومدارسه لقد حفل العصر العباسي الأول بأئمة النحو الذين شيدو أركانه وأقاموا دعائمه في مدرستيه العظيمتين البصرة والكوفة.

وكانت مدرسة البصرة تختلف اختلافا بينا عن مدرسة الكوفة التي بدأت متأخرة عن مدرسة البصرة [22].

كانت النهضة الفكرية عند المسلمين في هذا العصر (132–232 هـ) الموافق(750–847م) تعتمد اعتمادا كبيرا على نشاط واسع في الترجمة من السنسكرتيرية والسريانية واليونانية ففي عام 762م وضع (الخليفة المنصور) حجر الأساس لعاصمته الجديدة (بغداد) وجمع حوله فيها صفوة العلماء من مختلف النواحي وشجع على ترجمة كتب العلوم والآداب من اللغات الأخرى إلى اللغة

---

[22] المرجع، د، أحمد شلبي، التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية ج 3 ص 213– 224 مكتبة النهضة القاهرة سنة 1961.

العربية فاستجاب كثير من العلماء والباحثين لهذه الرغبة ودفعهم التشجيع الأدبي والمادي للأجادة والإكثار ومن أبرز هؤلاء عبد الله بن المقفع (757م) الذي كان مجوسيا ودخل في الإسلام وأشهر ما ترجم هو كتاب (كليلة ودمنة) وقد وضع الأصل باللغة السنسكريتية ثم ترجم إلى الفهلوية ومنها ترجمه ابن المقفع إلى اللغة العربية وكان المقصود من هذا الكتاب هو تعليم الآداب للناس بواسطة أقاصيص على ألسنة الحيوانات وقد فقد الأصل السنسكريتي لهذا الكتاب كما فقدت ترجمته الفارسية وقد حفظته اللغة العربية للفكر الإنساني ومنها ترجم إلى جميع اللغات الأوروبية تقريبا وإلى كثير من اللغات الأخرى ومن مشاهير المترجمين الطبيب النسطوري جورجيس بن بختيشوع (771م) وكان المنصور قد استدعاه من جنديسابور ليكون طبيبه الخاص ثم اشتغل بالترجمة ومن المترجمين بختيشوع بن جورجيس سنة (801م) – وجبريل تلميذ بختيشوع (809م) والحجاج بن يوسف بن مطر الذي ذاع اسمه بين سنتي (786–833 م) وهو أول مترجم لكتاب العناصر لإقليدس – كما أنه من أوائل من ترجموا كتاب الميجسطي لبطليموس–

ومن المترجمين أبو يحيى بن البطريق المتوفى بين (796–806م) الذي ترجم أكثر كتب جالينوس (200م) وأبقراط (436 ق م) كما قام بترجمة كتب أخرى .

تشييد دار الحكمة في بغداد:

وفي عام 832م شيد الخليفة المأمون (من المرجح أن بيت الحكمة أسسه هارون الرشيد وإن كان قد ازدهر في عهد المأمون) ببغداد أول مجمع علمي ومعه مرصد فلكي ومكتبة جامعة وهيئة للترجمة ويقول فيليب حتي في كتابه تاريخ العرب إن هذا المعهد برهن على أنه أهم مجمع علمي شيد منذ عهد جامعة الإسكندرية التي شيدت

في النصف الأول من القرن الثالث قبل الميلاد وفي هذا المعهد ترجمت أمـهات الكتب من اللغات المختلفة إلى اللغة العربية [23].

---

[23] أنظر الفصل 21 في الجزء الأول من كتاب تاريخ العرب مطول ط 3 1961 دار الكشاف بيروت من ص 308-348. ثم الفصل 27 من الجزء الثاني من ص 444 إلى ص 494.

24- انظر مزيد في التفاصيل عن بيت الحكيم في النهضة العلمية والتقنية في اللغة والثقافة العربية، وفي حركة الترجمة إلى اللغة العربية في كتاب 3عصر المأمون ثلاثة أجزاء للكتور، تأليف الدكتور أحمد فريد، ط 3 مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة 1928.

اللسان العربي والقرن الجديد دراسة لغوية

في المفهوم والخصائص والدلالة

الدكتور عمار الساسي
جامعة البليدة

المقدمة: من البداية سأكون صريحا في هذا البحث لأنني سأعمد إلى جملة من القضايا والأفكار المعرفية بلورة و مناقشة. وليس بدعا من الأمر في هذه الدراسة معارضة أفكار لمترق إلى مصاف العصر الجديد، وغدت عاجزة عن فك اللغز المعرفي المتجدد باستمرار، كل هذا لأن البحث العلمي حركة لا تعرف التوقف قطعا.

ولعله من المناسب جدا أن يتناول موضوع: "اللسان العربي والقرن الجديد" في هذا اليوم، الذي أعتبره محورا أساسيا سابقا لكل المحاور لأن فقه الشريعة هو في الحقيقة من فقه اللسان العربي. يقول الإمام الشاطبي: "فإذا ثبت هذا فعلى الناظر في الشريعة والمتكلم فيها أصولا وفروعا أمران: أحدهما وهو المهم أن لا يتكلم في شيء من ذلك حتى يكون عربيان أو كالعربي في كونه عارفا بلسان العرب بالغا فيه مبالغ العرب أو مبالغ الأئمة المتقدمين كالخليل وسيبويه والكسائي والفراء ومن أشبههم أو دناهم. وليس أن يكون حافظا لحفظهم وجامعا كجمعهم، وإنما لمعنى أخذوا أنفسهم حتى صاروا أئمة، فإن لم يكن ذلك فحسبه في فهم معاني القرآن التقليد ولا يحسن ظنه بفهمه دون أن يسأل فيه أهل العلم به"[1]، بل وقبل الشاطبي وجدنا هذا الرأي معلنا ومحققا عند الإمام الشافعي -واضع أصول الفقه- إذ يقول: " فمن جهل هذا من لسانها، وبلسانها نزل الكتاب وجاءت السنة فتكلف القول في علمها تكلف ما يجهل بعضه ومن تكلف ما جهل، وما لم تثبته معرفته كانت موافقته للصواب -إن وافقه- غير محمود والله أعلم، وكان بخطئه غير معذور إذا نطق فيما لا يحيط علمه بالفرق بين الخطأ والصواب فيه[2].

---

[1] -الاعتصام ، الإمام الشاطبي ، ج: 2 ص 297-298 (مكتبة الرياض الحديثة).

[2] -الاعتصام، الإمام الشاطبي ج: 2 ص 298 (مكتبة الرياض الحديثة).

وثانيها: أنه إذا أشكل عليه في الكتاب أو في السنة لفظ أو معنى فلا يقدم على القول فيه دون أن يستظهر بغيره ممن له علم بالعربية، فقد يكون إماما فيها ولكنه يخفى عليه الأمر في بعض الأوقات. فالأولى في حقه الاحتياط، إذ قد يذهب على العربي المحض بعض المعاني الخاصة حتى يسأل عنها. وقد نقل من هنا عن الصحابة –وهم العرب– فكيف بغيرهم.[3] وأمام هذه المزية أجدني مضطرا لتناول هذه الدراسة وفق تسلسل العناصر التالية:

المقدمة:

أ– اللسان العربي، بيان وتصحيح.

ب– ثوابت اللسان العربي، ومقاصدها.

ج– متغيرات اللسان العربي، وأغراضها.

د– ماهية القرن الجديد.

هـ– المسؤولية في القرن الجديد.

و– اللسان العربي والألسن البشرية.

ز– الخاتمة: النتيجة والمقترح.

أ– اللسان العربي بيان وتصحيح: وفي بداية هذا العنصر تبادرنا جملة من الأسئلة هي كالأتي: 1 - ما هو اللسان العربي؟ 2– وهل هي اللغة لغربية الفصحى؟ 3–لماذا اللسان الذات في هذه الدراسة، وليس اللغة؟.

---

[3] - الاعتصام، الإمام الشاطبي ج: 2 ص 299 (مكتبة الرياض الحديثة).

إن المتأمل في آيات القرآن الكريم يلحظ أن الله عز وجل وظف مصطلح (لسان) ولم يوظف مصطلح (لغة) المعهود في الدراسات اللسانية الحديثة اليوم، والسؤال لماذا؟ وهل اللسان يعني اللغة في المفهوم والدلالة؟ والإجابة عن السؤال هذا تدفعنا إلى أن نمهد له بما يلي:

1- مصطلح اللسان في القرآن: (بلسان يسرناه بلسانك لعلهم يتذكرون) (الدخان -58-). (وهذا كتاب مصدق لسانا عربيا) (الأحقاف -12-). (وهذا لسان عربي مبين) (النحل -103-).(لسان الذي يلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين) (النحل -103-). (وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم) (إبراهيم -04-).

2- دلالة المصطلح في الآيات: قال الإمام النسفي: بلغة قريش، وهذا يعني أن دلالة اللسان عنده هي اللغة[4]. واللغة بهذا المنطق هي في مفهوم اللهجة عندنا. وقال الإمام الزمخشري في آية سورة النمل: واللسان هو اللغة[5]. وقال: ومعناه بلسان قومه بلغة قومه وقرىء بلسان قومه واللسن واللسان، كالريش بمعنى اللغة[6].

3- دلالة المصطلح في المعاجم العربية: قال أحمد بن فارس: اللام والسين والنون أصل صحيح واحد يدل على طول لطيف غير باد في عضو أوغيره. من ذلك اللسان معروف، وهو مذكر والجمع ألسن. فإذا كثر فهي الألسنة، ويقال: لسنته إذا أخذته بلسانك قال طرفه بن العبد: (وإذا تلسنني ألسنها - إنني لست بموهون غمرو). واللسن: الجودة والفصاحة، واللسن اللغة. يقال لكل قوم لسن أي لغة وقرأ

---

[4] - تفسير النسفي، الإمام النسفي، ج 1، 2 ص 195.

[5] - تفسير الزمخشري (الكشاف) ، ج 2 -ص 429.

[6] - الكشاف، الزمخشري، ج 2، ص 367.

ناس: "وما أرسلنا من رسول إلا بلسن قومه"[7] وفعل ملسنة على صورة لسان ويقولون الملسون: الكذاب وهو مشتق من اللسان لأنه إذا عرف بذلك لسن، أي تكلمت فيه الألسنة والتلسين: يعير الرجل الرجل فسيلا لتدر عليه ناقته فإذا درت نحي الفصيل، ومعناه أنه ذاق اللبن بلسانه وقدم ملسنه إذا كانت فيها لطافة وطول يسير[8] وقال الراغب الأصفهاني لسن اللسان لجارحة وقوتها. وقوله: واحلل عقدة من لساني، يعني به من قوة لسانه. فإن العقدة لم تكن في الجارحة وإنما كانت في قوته التي هي النطق بها وقوله: "اختلاف ألسنتكم وألوانكم" إشارة إلى اختلاف اللغات وإلى اختلاف النغمات، فغن لكل إنسان نغمة مخصوصة يميزها، كما أن له صورة كما أن له صورة يميزها البصر[9]. وقال الجوهري: اللسان جارحة الكلام واللسن الفصاحة واللّسن: اللغة واللسان جمع ألسنة و ألسن ولسن: وهو جسم لحمي مستطيل متحرك يكون في الفم ويصلح لتذوق والبلغ والنطق. هو مذكر وقد يؤنث[10]. وما يمكن استنتاجه من هذا كله أن اللسان هو الجارحة. واللسان هو اللسن أي جودة اللسان والفصاحة. واللسان هو اللغة. وبعد هذا كله فإن السؤال الذي يفرض نفسه في هذا المقام هو هل اللسان هو اللغة حقيقة؟. وجوابنا عنه بالنفي. لأنه بالتدقيق العلمي يظهر أن اللسان ليس هو اللغة. اللغة هي الأصوات التي يعبر بها القوم عن أغراضهم، فإذا ذكر اللسان ذكرت معه اللغة تبعا بينما إذا ذكرت اللغة فليس من الضروري أن يذكر اللسان لأن اللسان في الحقيقة أعم من اللغة، وهي جزء لا يتجزأ منه. واللسان هو تعبير عن اللغة الأم الوحيدة التي نشأ وترعرع فيها وبها الإنسان.

---

[7] – إبراهيم الآية 40.

[8] –مقاييس اللغة، أحمد بن فارس، ج 5، ص 247،246 (دار الفكر).

[9] – معجم مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني ص 470 (عالم الكتب) الأصفهاني.

[10] – الصحاح، الجوهري، ج 2 ص 442، دار الحضارة العربية – بيروت.

قال تعالى: (فإنما يسرناه بلسانك لعلهم يتذكرون)[11]، أي بلسان قومك، أي اللغة الأم وهو مصطلح يؤكد أن الرسول صلى الله عليه وسلم هو من صلب قومه وليس خارجا عنهم، ولو عبر عنه بمصطلح لغة قومه لفهم أنها أجنبية وليست اللغة الأم.وعلى هذا نقول: اللسان العربي واللغة الإنجليزية والفرنسية. و لا نقول: اللسان الإنجليزي اعتمادا على اللغة الأم، إنما الذي يقوله هو الإنجليزي الأصل وعلى هذا فاللسان عم في الشكل، وأعم في المحتوى. فهو يحمل دلالة الفكر والمعتقد والتصور والعقل. لأنه في الحقيقة ترجمان أصيل عن هذه الأشياء والقيم. والتعبير باللغة في هذا المقام قد يفوت الكثير من المعاني والمقاصد والقيم. واللسان فيه دلالة الفصاحة والبيان" بلسان عربي مبين"[12] والفصاحة هي خاصية ليست في اللغة -برأينا-، إذ الفصاحة والبيان ميزت بهما العربية في قوله: (وهذا لسان عربي مبين) ومن مكونات هذه الفصاحة -برأينا- الفكر، المعتقد، التصور، والعقل، النشأة، البيئة ويبقى هذا كلاما ورأيا قد نأخذ بعضه ونذر بعضه، غير أن هناك أمرا يوجب التوقف والتأمل لاستخلاص سر كلمة لسان في القرآن الكريم من قوله: (بلسان عربي مبين)[13] وهو ماذا يراد باللسان هنا؟ هل الكلمات أسماء وأفعالا أم اللسان هو التراكيب والبنى التي تحكم الأسماء والأفعال والحروف أثناء عملية الكلام؟ وبرأيي عن المقصود الأساسي باللسان العربي هنا هو البنية التركيبية للعربية فهذه هي الخاصية المميزة التي تبين بها الألسن واللغات عن بعضها من البعض. أما الأسماء والأفعال فقد تتزايد حسب متطلبات العصر وتطوراته، واللغات يأخذ بعضها من بعض في هذه الدائرة، وتعطي أما البنى التركيبية فهي ثابتة. هي الهيكل العظمي

---

[11] - الدخان، الآية 58.

[12] - الشعراء - الآية:...

[13] - الشعراء، الآية: 195.

الدائرة. وتعطي أما البني التركيبية فهي ثابتة، وهي الهيكل العظمي للسان. إذ أن أدنى تغير أو تبديل فيها يعرض اللسان للتلف والفساد. وعليه فالبني التركيبية هي الأساس الثابت في اللسان. والأسماء والأفعال هي الساحة التي تكون منها أسماء اللغات وأفعالها. وهي لا تتناقض مع عبارة الأسماء ثابتة والأفعال متجددة وما يؤكد ثانية المفارقة بين اللسان واللغة. أن القرآن الكريم استعمل مصطلح لسان دون لغة وذلك ليشير إلى فصاحته وأصالته في العرب دون اللغة. وعليه فلسان عربي ليس هو لغة عربية. إذ أن للعرب لسانا واحدا ولغات عدة. قال تعالى: (وهذا لسان عربي مبين)[14] واختلاف لغات العرب هو اختلاف تنوعي لطبيعة المنطقة الواسعة والعقلية البدوية النازعة إلى العصبية. ثم إن طبيعة التفرق في النظام الاجتماعي بين القبائل والمفروض عليها يلزم حتما هذا التميز والاختلاف في اللغات. وهو معقول جدا، إذ لا يعقل أن تكون اللغة واحدة شكلا ومعنى، ثم ينزل القرآن الكريم. وإلا انتفت الحكمة المساقة لجمع هذا التفرق اللغوي في لسان عربي مبين. ويبقى بعد هذا بيان مساحة هذا التفرق اللغوي. أي تحديد بدقة المستوى اللغوي الذي هو مجدا له. هل هو في المستوى الصوتي الأول. أم في المتغير(البلاغة)؟ ويمكن في البداية تحديده في المجال الصوتي مجازا، وأقصد الكيفية الأدائية للصوت في العربية (فالكاف) مثلا تنطق عند بعض القبائل (شينا). فقالوا في (لبيك) (لبيش) و(أل) التعريفية مثلا تنطق عند بعض القبائل (م). فقالوا ليس من أمبر أمصيام في أم سفر. يريدون: ليس من البر الصيام في السفر. وهذا حديث نبوي شريف. ومع هذا فليس من المعقول أن نحصره هنا في هذه الدائرة. ولنتجاوز إلى أوس: فنقول بنظرة علمية: اللغة عالم كعالمنا الخارجي قائم على سنة الثابت والمتغير شبه بشبه (ولن تجد لسنة الله

---

[14] -النحل، الآية 103.

تبديلا) فالمتغير في اللغة –برأينا– هو مجال المفردات، إذ هي محكوم عليها بالتطور والتجدد تبعا لتجدد حاجيات المجتمع. والمفهوم هذا لا يختلف تماما عن المفهوم الأول للغة إذ أن اللغويين القدامى حصروها في المفردات و الألفاظ، بل حتى العلامة عبد الرحمن بن خلدون في المقدمة حدده في هذا المجال، وعليه فاللغة متغيرة من زمن إلى زمن ومن جيل إلى جيل أما المجال الثابت فيها فهو المجال التركيبي الإسنادي الذي يعتبر هيكلها الثابت الذي تتأطر فيه اللغة وتحفظ عبر الزمان والمكان من الانقراض، وتتميز به عن غيرها بخصائص. هذا المجال الثابت هو الذي كانت لغات العرب مجتمعة فيه غير متفرقة. وهو بخلاف المجال الإفرادي السابق. وعليه فما كان للقرآن أن ينزل في الدائرة الإفرادية المتغيرة، إذ كان جل الكلمات والمفردات العربية قد نزل بها القرآن الكريم، وفضلا عن السابق، لا يكفي وحده لأداء العملية الإبلاغية في اللغة، إذ لا يمكن أن نبلغ في العربية بالمفردة الواحدة أصلا ومهما كان الحال. وعلى هذا لم يبق ما يمثل الثابت، وما يمكن أن يؤطر اللغة، وبه يمكن الإبلاغ سوى المجال التركيبي الإسنادي وهو المجال الذي يجمع التفرق اللغوي وهو الذي نزل به القرآن الكريم. وسماه (لسان عربي مبين) فدلالة لسان هنا هي المراد بها المجال التركيبي الإسنادي، ومعنى هذا أن القرآن الكريم نزل التركيب الإسنادي الجامع للتفرق اللغوي للعرب. وهو مجال كانت مجتمعة عليه كل لغات العرب. وهذا هو –برأيي– المفهوم الجديد للسان العربي في القرآن الكريم[15]. ومن هنا قالوا: إن العرب لم تقدر عن الإتيان ولو بآية من مثل القرآن حين تحداهم أن يأتوا بمثلها والآية تركيب، كما تحداهم بالحديث أن يأتوا بمثله، والحديث تركيب ولم يحصل

---

[15] – اللسان العربي هواللسان الوحيد الذي لم يمسه تغيير ولا تبديل في مستواه الصوتي في حين حصل التغيير والتبديل في الألسن البشرية الأخرى.

التحدي بالمفردة في القرآن أبدا لأنها متغيرة ولا يحصل بها التبليغ، ومن هنا علمت دلالة اللسان العربي المتميز عن دلالة اللغة. وعليه لا نوافق عبارة –أنزل القرآن بلسان قريش. يرى أبو شامة المقدسي أن معنى قول عثمان (إن القرآن أنزل بلسان قريش) أي معظمه بلسانهم. علما أن هذه العبارة لا تغير شيئا من المفهوم الجديد الذي أوردناه للسان العربي فإذا وقع الاختلاف في كلمة فوضعها على موافقة لسان قريش أولى من لسان غيرهم أو المراد: نزل في الابتداء بلسانهم ثم أبيح بعد ذلك أن يقرأ بسبعة أحرف[16]. يعلق الدكتور جعفر دك الباب على مقول الخليفة عثمان بن عفان في مقاله الذي نشرته مجلة الموقف الأدبي؟ نوان اللسان العربي المبين: "إني أرى أن قول الخليفة عثمان المشار إليه، لا ـ و أن يكون توجيهات إدارية لأعضاء لجنة نسخ القرآن التي شكلها ويجب ألا نحمله على محمل قول الصحابي الملزم في الأمور الفقهية، لأن قول الصحابي لا يكون ملزما فقط حين يتعارض مع صحة نص القرآن الكريم، وصريح نص الحديث الشريف و استغرب كيف ترد على لسان الصحابي الجليل عثمان (عبارة لسان قريش) بدلا من لغة قريش، لأنه يوجد لسان عربي واحد مشترك بين جميع العرب وتوجد إلى جانبه لغات أي لهجا -، لمختلف القبائل لذا ذكر محقق المرشد الوجيز أن المقصود من قول عثمان هو التالي: إذا اختلفتم في رسم كتابته فاكتبوه بالرسم الذي يوافق لغة قريش لهجتها من نحوك همز وغيره فإنه نزل بها.."[17] وهكذا يتبين أن القول إن القرآن نزل بلغة قريش لا يمكن قبوله ولا يستند إلى أساس فقهي لمعارضته ما نص عليه القرآن والحديث ومادام الأمر كذلك فما هو السبب في أن الرأي بأن القرآن نزل بلغة قريش هو لسائد؟ وبعد هذا

---

[16] – اللسان العربي المبين، د. جعفر دك الباب، الموقف الأدبي، ص 145 (اتحاد كتاب العرب، دمشق).

[17] – اللسان العربي المبين، د. جعفر دك الباب، الموقف الأدبي، ص 145 (اتحاد كتاب العرب، دمشق).

كله أرى أن اللسان العربي هو غير اللغة الفصحى[18] وأن الفرق الدلالي بينهما ظاهر من خلال ما بيناه سلفا، وأن أصالة المصطلح هي حليفة اللسان العربي لا اللغة العربية فلهذا ولغيره آثرنا اللسان العربي والقرن الجديد عنوانا لهذه الدراسة وفي بيان هذا الفرق يقول لدكتور جعفر دك الباب مايلي: "لم يقر جميع العرب بأن لغة القرآن الكريم في أعلى درجة من البيان، ولم يعتبروها قمة في الفصاحة والبلاغة إلا لأنها اللسان العربي الواحد لجميع العرب. ومن الطبيعي أن يشتمل هذا اللسان العربي الواحد على أشكال متنوعة للقراءة كانت في الأصل تعكس أوجه التغاير بين اللهجات (اللغات) العربية من حيث اللفظ أو المعنى[19]. وبعد هذا ما هي هذه اللغة العربية الفصحى؟ وجوابا نقول: لقد تعددت تعاريف الفصحى عند الباحثين عبر الزمان. واستنادا إلى نظرية الإمام عبد القاهر الجرجاني اللغوية يمكن أن نعرف اللغة الفصحى، بأنها اللغة التي تشتمل على نظام لربط الكلمات بعضها ببعض، وفقا لمقتضيات دلالتها العقلية التي تتضمنها قواعد النحو، ويمكنها بالشكل الأيسر والأفضل من التعبير عن المعاني[20]. ويمكن حصر مبادىء نظرية الإمام الجرجاني اللغوية في النقاط التالية:

ـ الألفاظ أوعية للمعاني وخادمة لها، وتكون الفصاحة في المعنى.

ـ تحدث الفصاحة في الكلم بعد التأليف أي بعد ضم بعضها إلى بعض في الجملة واللفظة قد تكون في غاية الفصاحة في أصل اللغة هو الإبانة عن المعنى وحسن

---

[18] – الثنائية اللغوية للعربية،د. عمار ساسي، جامعة اليرموك (مركز اللغات 1998).

[19] – اللسان العربي المبين، د. جعفر دك الباب، الموقف الأدبي، ص 145 (اتحاد كتاب العرب، دمشق).

[20] – الثنائية اللغوية للعربية،د. عمار ساسي، جامعة اليرموك (مركز اللغات 1998).

توصف الألفاظ المفردة بالفصاحة. فالمقصود بذلك أنها في اللغة أثبت وفي استعمال الفصحاء أكثر أو أنها أجرى على مقاييس اللغة وقوانينها.

- لا نظم ولا ترتيب للكلم حتى يتعلق بعضها ببعض ولا بد في النظم من أن تتلاقى معاني الكلمات على الوجه الذي يقتضيه العقل.

- يجب أن يتم النظم وفق القوانين النحو. ومعاني النحو هي المعاني ذات الدلالات العقلية. والمهم معرفة مدلولات النحو وليس العبارات أنفسها[21].

وقد عرضنا هذا التعريف لأنه أقرب إلى العملية وأنسب إلى أحدث النظريات اللغوية الغربية، بل ربما أضاف أشياء جديدة لم تقل بها إلى الآن. ونظرية الإمام الجرجاني في النظم أعرف وأعرق وأثقل في الميزان اللغوي الحديث.

ب- ثوابت اللسان ومقاصدها: أريد أولا في هذا المقام بمصطلح الثوابت: الخصائص الثابتة في اللسان العربي، هو عنصر مهم جدا في الدراسة. وبيانه أهم ذلك لأنه يمكن به أن يتفادى خلطا كثيرا قاد إلى الإبهامية والغموض في ف ه م اللسان العربي ردحا من الزمن، بل إلى اليوم هذا أولا. وثانيا لتحري الدقة العلمية في معالجة هذه الدراسة الخاصة. هذه الخصائص وغيرها -برأينا- قائم عليها اللسان العربي المبين. إذ هي التي أهلته إلى هذه الريادة الخاصة، ومكنت فيه هذه الميزة التي جعلت القرآن الكريم ينزل بلسانه من دون الألسن البشرية الأخرى لقوله تعالى: "لسان الذي يلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين"[22] وعليه يمكن ضبط هذه الخصائص سالفة الذكر في الآتي:

---

[21] - أسرار اللسان العربي، د. جعفر دك الباب، ص 753 (الأهالي، دمشق).

[22] - النحل، الآية 103.

1- مستويات بنية اللسان العربي.

2- خصائص بنية اللسان العربي.

3- ربط النحو بالبلاغة.

4- الاشتقاق وعلم الصيغ.

1- **مستويات بنية اللسان العربي:** يشتمل النظام اللغوي للسان العربي على ثلاثة مستويات هي:

أ- المستوى الصوتي: وتمثله البنية الصوتية للكلمة المفردة. ويختص على الأصوات اللغوية بدراسة مكونات تلك البنية الصوتية ويرتبط بالمستوى الصوتي نظام كتابة الذي هو وسيلة لتسجيل المستوى الصوتي.

ب- المستوى الإفرادي للكلمات: له جانبان متلازمان:

ب/1- البنية الصوتية للكمة، ويختص بدراسة أوزانها علم الصرف.

ب/2- البنية الدلالية للكلمة، ويختص بدراستها علم المعجم.

ج- المستوى التركيبي للكلمات: وله جانبان:

ج/1-التراكيب غير الإسنادية ويختص بدراستها علم النحو في بعض أبوابه كبابي المجرورات والتوابع.

ج/2- التراكيب الإسنادية (الجمل): ويختص بدراستها علم النحو وعلم المعاني.

سبب اشتراك علمي النحو والمعاني في دراسة الجملة: ويرجع إلى جانبين متلازمين هما:

1- جانب المبنى ويمثل البنية الصوتية للجملة.

2- جانب المعنى الذي يمثل البنية المعنوية للجملة.

ويتجلى مستوى البنية الصوتية للجملة في ظاهرتين متلازمتين:

1- ترتيب تسلسل الكلمات المكونة للجملة.

2- التنغيم: وهو وسيلة لتمييز الأنواع المختلفة للجملة: الخبرية والاستفهامية والتعجبية.

ويميز في البنية المعنوية للجملة مجالان متلازمان للدراسة هما:

الأول: مجال الدراسة المنطقية للجملة. وهو ساكن لا يتغير حسب حال السامع. لأن الجملة تدرس فيه معزولة عن السياق الكلامي والمقام. يشترط في هذا المجال توافر الإسناد المنطقي بين العنصرين لمكونين للجملة، وهما المسند والمسند إليه ويختص علم النحو بمجال الدراسة المنطقية للجملة.

الثاني: مجال الدراسة الإبلاغية للجملة، وهو مجال متغير حسب حال السامع لأن الجملة تدرس فيه حسب الحال وضمن السياق الكلامي والمقام. ويشترط في هذا المجال من الدراسة توافر الإفادة بالنسبة للسامع. ويختص علم المعاني بمجال الدراسة الإبلاغية للجملة عن طريق تتبع أحوال المسند والمسند إليه من أجل بيان كيفية ارتباط الإسناد بالإفادة التي تحملها الجملة للسامع في السياقات الكلامية

والمقامات المختلفة[23]. وهي الرؤية التي ننطلق منها في هذه الدراسة مركزة على إبراز الميزة الخاصة في هذا الثابت الأول من ثوابت اللسان العربي.

2- خصائص بنية اللسان العربي: حين نصف لسانا ما بالأصالة نقصد أن تتوفر فيه عنصران هما الإيغال في القدم من ناحية والاستمرار، في الحياة من ناحية أخرى. وعليه فإن بنية اللسان الأصيل بهذا المعنى يجب أن تتمتع بجملة خصائص من حيث المفردات والأصوات والصرف والنحو تشير إلى إيغاله في القدم. وأول قرينة على إيغال لسان ما في القدم هي وجود شبه بين ألفاظه وأصوات الحيوان والطبيعة لأن هذا الشبه يدل على محاكاة الإنسان لأصوات الحيوان والطبيعة. ويؤكد بالتالي بدائية نشأة ذلك اللسان[24]. هل اللسان العربي يمثل أصلا قائما بذاته؟ إنه بعد بحث جاد ودراسة دقيقة لخصائص النظام اللغوي للعربية استنتج الدكتور جعفر دك الباب مايلي:

أ ـ إن الخاصية المميزة للبنية الصوتية للعربية، التي تتجلى في المبدأ التالي: لا وجود بشكل منفصل للصوت لصائت عن صوت صامت بلفظ قبله ويتصل به تعكس طور محاكاة الإنسان القديم لأصوات الحيوان و الطبيعة، وتؤكد بالتالي بدائية نشأة اللسان العربي.

ب ـ انعكست الخاصية المميزة للبنية الصوتية للعربية في الكتابة العربية وتجلت في أنها ليست مقطعية كما أنها ليست أبجدية تماما.

---

[23] - دراسة الجملة في العربية، د. جعفر دك الباب، ملخص بحث قدم في الملتقى الأدب العربي، جامعة التكوين المتواصل، مركز تيزي وزو، أيام 11*12 ماي 1992 (بتصرف).

[24] - النظرية اللغوية العربية، د. جعفر دك الباب، ص 46،47.

ج ـ أصل المفردات في المعجم العربي يتحدد على أساس الأصوات الصوامت التي يشتمل عليها فقط. بهذا يطرح المعجم سؤال وجود علاقة مناسبة طبيعية بين الصوت والمدلول نتيجة لمحاكاة أصوات الحيوان والطبيعة. ونستنتج من ذلك كله أن اللسان العربي لسان أصيل بدائي النشأة[25]. وهو –برأيي– استنتاج ينم عن دقة فحص ثم إننا وجدنا على أثره هذه التقسيمات الأسرية للغات السامية بما فيها العربية لا تستند إلى دليل علمي يؤكد ويقطع بصحتها. بل كل ما في الأمر زعم موهوم، وطلاسم قائمة على أغراض مقصودة تهدف إلى إحقاق باطل مازال قائما في جسم العرب والعربية إلى اليوم .

وفي بيان أصالة اللسان العربي كتب الأستاذ زكي الارسوزي، اللسان العربي اشتقاقي البنيان ترجع كافة كلماته إلى صور صوتية مرئية مقتبسة مباشرة عن الطبيعة: (أ) عن الطبيعة لخارجية تقليدا للأصوات الحاصلة فيها مثل ذلك: (قر فق، خر زم..)، أو الطبيعية بيانا لمشاعرها مثل: (أن، أه)[26] ويسترسل في توضيح هذا الرأي بقوله: (وأما اللغة العربية فهي ذات طابع بدائي ترجع كلماتها جميعا إلى أصوات الطبيعة و فضلا عن أن اللسان العربي بدائي النشأة، فإن كلمات هذا اللسان يبدأ تكوينها عفويا من انبثاق المعنى دون طائلة العقل. هذه الحقيقة تدل عليها أمور مختلفة منها، أن أصوات الهيجان الطبيعية التي كان مصدر اشتقاق لمعظم كلماتها تشير إلى العلاقة بين اللغة والطبيعة واللغة المصطلح عليها كرموز عند الجماعة ونحن نستخلص من ذلك أن معاني الكلمات العربية تمثل تجربة الحياة تمثيلا عن اجتهاد المجتهدين، فما للذهن إلا أن يستحضرها حتى ينبعث من لنفس

---

[25] – النظرية اللغوية العربية، د. جعفر دك الباب، ص 47.

[26] – المؤلفات الكاملة، زكي الأرسوزي، م، 1ص 71 (مطابع الإدارة السياسية للجيش، دمشق).

المعنى الذي أنشأها[27]. وعليه فإذا كان اللسان العربي أصلا قائما بذاته فإنه من الثابت بحكم التاريخ أن اللغات: الفرنسية والإسبانية والإيطالية حصلت من تحول اللغة اللاتينية، وكان ذلك بتأثير عوامل سياسية واجتماعية. واللغة الفرنسية الأخرى هي في حد ذاتها لهجة منطقة باريس، المنطقة التي طبعت مقاطعات فرنسا الأخرى بطابعها السياسي والثقافي، فجعلت لهجتها تتراجع أمامها وتندثر. هذا وإن الكلمات العربية هي ذات أصول في الطبيعة، وأن مبدأ الصحة فيها قد تعين من قبل الفطرة لا من قبل العرف والعادة. وعليه فليس العلاقة بين المعنى واللفظ في اللسان العربي على مثال العلاقة بينهما في اللغات الحديثة. أي علاقة اصطلاحية بمعنى أن اللفظة تشير إلى معناها إشارة فقط. بيد أن اللسان العربي ذو بنيان عضوب تتم فيه الكلمة عن المعنى وتوحي به إيحاء حتى أن اتجاه المعنى هو الاتجاه المتغلب عن اللفظة مما يجعل صاحبه أكثر استعدادا من غيره لفهم الأخلاق والديانة، إنما هو منظومة صوتية تعبر عن وجهة الأمة التي أنشأته ودلت عليه[28].

في مبدأ الترادف اللغوي: كتب كثير من علماء اللغة في الترادف: فمنهم من جمع آراء جهابذة اللغة وأبان عن موقفهم إزاء هذه الظاهرة اللغوية، ومنهم من سلك موقفا مباينا لهم. والحق أن كل ما ذكر في هذا الموضوع لا يخرج عن رأيين و موقفين متمايزين:

أولا: يتبنى ويؤيد ظاهرة الترادف في اللسان العربي، ويعتبرها من باب ثراء اللغة وتكيفيها ومرونتها م مستجدات العصر.

---

[27] - المؤلفات الكاملة، زكي الأرسوزي، م:، 1 ص 341-342 (دمشق 1982).

[28] - النظرية اللغوية العربية الحديثة، د. جعفر دك الباب، ص 49 (بتصرف).

والثاني: ينكر ظاهرة الترادف اللغوي، ولا يعتبرها دليلا على نماء اللغة وتطورها وثرائها إنما يرى ذلك خروجا عن خط دقتها الموسومة به. ويرى في ذلك انحرافا عن أصلها الذي وضعت له. وهذا الاتجاه إذ ينكر الترادف إنما ينطلق من مبدأ الدقة العلمية. ومن أصل أن كل كلمة وجدت لمعنى دقيق و الاختلاف المبني يؤدي حتما إلى الاختلاف في المعنى. وأكبر شاهد على ذلك اللسان العربي المبين لسان القرآن الكريم. ولا غرو أن يكون هذا القرن الجديد قرن التخصص المعرفي في كل ميدان وجانب، إذ يملي التدقيق العلمي. وهو على ذلك إذ يوجب علينا أن نتخصص وندقق في لساننا الشريف ونحن نبحث ندرس، إذ بذلك يمكن أن نكشف على بعض الأسرار التي ينطوي هذا اللسان العربي المبين. يقول الأستاذ محمد مبارك: إن من السمات الأساسية في اللسان العربي المبين الدقة والتخصيص، تكون الدقة في التسمية والتخصيص في اللغة. وهما دليل على بلوغ أصحاب اللغة درجة عالية في دقة التفكير. واتصافهم بمزية الوضوح وتحديد المقصود تحديدا يقتضيه المنطلق العلمي واللغة العربية لا ينطبق عليها وصف الابتدائية لكثرة ما فيها من الألفاظ الدالة على الكليات والمفاهيم والمعاني العامة والمجردة. وذلك قرينة على أن ما فيها من الدقة والتخصيص إنما هو ناشئ عن دقة التفكير، وتحديد الدلالة ووضوح الذهن. إن دقة التعبير و التخصيص سبيل من سبل تكوين الفكر العلمي الواضح المحدد الذي تحتاج إليه الأمة في تربية أبنائها على التفكير الدقيق الواضح لذي يعدهم للعمل والبحث العلمي. والتخصيص اللغوي والدقة في التعبير أداة لا بد منها في الأديب الشاعر أو الناثر لتصوير دقائق الأشياء وإبرازها، في جوانبها الخاصة المتميزة. ونحن اليوم في حاجة ماسة إلى بعث اللفظ الدقيق من لغتنا وإحياء الفروق بين الألفاظ لتكون لدينا لغة تصلح أن تكون أداة لنهضتنا العلمية والأدبية. وه

يلاحظ اليوم على اللغة العربية شيوع مرض العموم والغموض والإبهام، حتى أصابت هذه الآفات التفكير نفسه، فضاعت الفروق الدقيقة بين الألفاظ المتقاربة فغدت مترادفة، وكثر استعمالها الألفاظ المجازية، وصرفت عن معانيها الأصلية فضاع الفكر بين الحقيقة والخيال وزالت الخصائص المميزة، وأصبح لكل موضوع سهما تكرر قوالب من اللغة ثابتة وأداة من الألفاظ لا تتغير وتعابير مصوغة بكل مناسبة أو موضوع، تنقل وتلصق كلما تكررت تلك المناسبة أو عرض ذلك الموضوع. هذا ولقد كان اللغويون والكتاب في أيام ازدهار اللغة العربية يحرصون على دقة التعبير ووضوح الألفاظ مواضعها. قائمة هؤلاء الكتاب كبيرة منهم: أبو عثمان الجاحظ صاحب (الحيوان) و(البيان التبيين) وأبو هلال العسكري صاحب(الفروق في اللغة)، ابن قتيبة صاحب (في أدب الكاتب) وأبو منصور الثعالبي صاحب (فقه اللغة وأسرار العربية) و(خاص الخاص)... إلخ. والناظر المتأمل في آيات القرآن الكريم وألفاظه المحكمة يلحظ عجبا، ويحكم من البداية على كل مفردة في القرن الكريم أنها وجدت لمدلول خاص بها، لا يمكن أن تحمله مفردة أخرى ولو كانت في الفصاحة أرقى. ويؤكد هذا حكم قوله تعالى من سورة الحجرات: (قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا)[29] فأنت ترى كيف أبدله باللفظ الأليق للمعنى والأنسب للمقام وهو: أسلمنا والحجة في هذا كله أن الإيمان لم يدخل قلوب الأعراب بعد. وعلى هذا النمط قوله تعالى: " لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا)[30]. فقد كان خبثاء اليهود يقولون للنبي صلى (راعنا) مستغلين ما يشعر به اللفظ من معنى الرعونة بالإضافة إلى أنهم كانوا يطلقون هذا اللفظ العربي وهم يريدون به معنى قبيحا في لغتهم. ففي العبرية –راعي– العربي

---

[29] - الحجرات الآية 14.

[30] - البقرة الآية 104.

المراد به الرعاية والحفظ[31] علما أن الرعي في الأصل هو حفظ أما بغذائه الحافظ لحياته وإما بذب العدو عنه. يقال: رعيته أي حفظته و أرعيته: جعلت له ما يرعى وقد رفض لهم القرآن استعمال هذا اللفظ (راعنا)، لأنه لا يصلح لهذا المقام والحال وأمرهم باستخدام خير منه، وهو (انظرنا)،ومعناه انتظرنا حتى نتمكن من نحفظ ما نسمعه منك من الوحي. وهو ما يؤكد القرآن الكريم للترادف اللغوي وإقراره في الوقت نفسه بمبدأ التخصيص والتدقيق العلميين، في وضع الألفاظ على المعاني المناسبة لها.

– إن تعريف الترادف بقولهم "دلالات الألفاظ المختلفة على المعنى الواحد" هو في حاجة إلى تدقيق علمي أكثر، لأن ما يدل على المعنى الواحد في الأصل هو اللفظ الواحد.

– دلالة الترادف في المعاجم العربية تؤكد معاني التقارب والتتابع لا التشابه والتماثل.

– الترادف اللغوي ليس هو التطور اللغوي، إذ لكل مدلوله ومجال دراسته: ما يعبرون به الترادف في ساحة الدرس اللغوي اليوم برأي يصب في مصطلح: الانحراف الاستعمالي للمفردة (de déviation l'utilisation) والجدير بالذكر في هذا المقام أن اللسانيات الحديثة خاصة وعلم اللغة الحديثة عامة حين يقر بوجود ظاهرة الترادف بين المفردات يقر بوجود بعض الفروق العلمية الدقيقة في معنى تلك المفردات. وعليه فقد تكلفت مؤخرا بعض المعاجم الحديثة الخاصة بالمترادفات في بعض اللغات ببيان الفروق الدقيقة بينهما.

---

[31] – القرآن الكريم، تفسير وبيان، محمد حسن حمصي، ص 13 (دار الرشيد).

3- ربط النحو بالبلاغة: إن الوظيفة الأساسية للغة هي الإبلاغ: ولا يحصل إبلاغ إلا عن طريق ربط النحو بالبلاغة. ومبدأ العلاقة بين النحو والبلاغة مبدأ أصيل في اللسان العربي المبين والعريق في الدراسة اللغوية والأدبية القديمة. يلخص الدكتور (جعفر دك الباب) هذا المبدأ أي تأكيد الوظيفة الإبلاغية للغة عن طريق ربط النحو بالبلاغة بقوله: "أدت تلك الظروف الموضوعية إلى بروز حاجة ماسة للخروج عن الوضع الذي آلت إليه الدراسة النحوية المتخصصة" فعمد الإمام السيرافي وهو ينتزلي إلى شرح الكتاب مؤكدا على جانب الوظيفة الإبلاغية للغة وظهر مع أبي علي الفارسي –وهو معتزلي– اتجاه جديد أخذ يستعرض الآراء في كل مسألة ويأخذ ما يراه صوابا منه، دون التقيد المسبق بآراء معينة، وتابع تلميذه ابن جني – وهو معتزلي – وشعر بأنه من أجل الخروج من هذا الوضع الذي وصلت إليه الدراسة النحوية المتخصصة يجب اكتشاف النظام العام وللغة، وراح في سبيل ذلك يبحث في كتابة الخصائص عن الأحوال العامة للنحو. وأما الإمام عبد القاهر الجرجاني وهو متكلم على مذهب الأشعري، فقد بلغ السير في طريق اكتشاف النظام ال ام للغة وتصدى بحزم للتيار الذي اهتم باللفظ دون المعنى وأكد الوظيفة الإبلاغية التي تؤديها اللغة، ودعا إلى عدم فصل البلاغة عن النحو فكان كتابه، دلائل الإعجاز بداية مرحلة جديدة في تاريخ علوم اللغة العربية هي مرحلة تأكيد الوظيفة الإبلاغية للغة عن طريق ربط النحو بالبلاغة..)[32] والناظر في كتاب دلائل الإعجاز للإمام عبد القاهر الجرجاني يجده في بداية مؤلفة يهاجم الدعوة إلى إهمال الشعر والانصراف عن النحو فيقول عن الطائفة التي تدعو إلى ذلك، إنها لا تعلم الدقائق والأسرار، لأن طريق العلم بها الروية والفكر ولطائف مستقاها العقل، ولذلك لم تطلبها، فصار بينها

---

[32] – الموجز في شرح دلائل الإعجاز د. جعفر دك الباب، ص 29 (الأهالي دمشق– الطبعة : 1 – 1981).

وبين العلم حاجزا فساء اعتقادها في الشعر، وفي علم الإعراب الذي هز لها كالناسب الذي ينميها إلى أصولها، ويبين فاضلها من مفضولها، وأما الشعر فيخيل إليها أن ليس فيه كثير طائل، وأنه ليس بشيء تمس لحاجة إليه، في صلاح الدين أو الدنيا. أما النحو فظنته ضربا من التكلف وبابا من التعسف وشيئا لا يستند إلى أصل ولا يعتمد فيه على عقل وإن ما زاد منه على المعرفة الرفع والنصب، وما يتصل بذلك مما نجده في المبادئ فهو فضل لا يجدي نفعا ولا تحصل منه فائدة)[33]. لهذا فقد تصدى للتيار الذي اهتم باللفظ دون المعنى، وأهمل الأبهر وانصرف عن النحو لأن ذلك يؤدي إلى الصد عن أنت عرف حجة الله في إعجاز القرآن. ونجد الإمام الجرجاني في موضع لاحق يحدد العلاقة بين الألفاظ والمعاني وهو يريد أن يصل بها إلى بيان حقيقة مفهوم النظم عنده فيقول: (وليت شعري هل كانت الألفاظ إلا من أجل المعاني؟ وهل هي إلا خدم لها ومعرفة عن حكم، فكيف يتصور أن تسبق المعاني وأن تتقدمها في تصور النفس)[34]. وبهذا يرتبط مفهوم النظم بالنحو ارتباطا وثيقا لأنه يتبع الوضع الذي يقتضيه علم النحو ويخضع لقوانينه وأصوله. وفي هذا الصدد يقول الإمام الجرجاني: (واعلم أن ليس النظم إلا أن تضع كلامك الموضع الذي يقتضيه علم النحو، وتعول على قوانينه وأصوله وتعرف مناهجه التي نهجت فلا تزيغ عنها، وتحفظ الرسوم التي رسمت لك فلا تخل بشيء منها)[35]. ومن هنا نعلم أن علم المعاني هو روح النحو وعلته وبيان أغراضه وأحواله، إضافة إلى هذا فهو يعلمنا متى نجل الجملة خبرية، ومتى تجعل إنشائية، وبين لنا السبب في هذه

---

[33] - دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، ص، 35 (دار قتيبة).

[34] - دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، ص 64، 65 (دار قتيبة).

[35] - دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، ص 64 (دار قتيبة).

وتلك. ويعلمنا متى يجب الفصل والوصل، ومتى لا يجب. وفي بيان العلاقة بين العلمين النحو والمعاني يقول الأستاذ تمام حسان: "إذا كانت الشركة في دراسة الجملة قائمة بين علم النحو والمعاني فإن النحو يبدأ بالمفردات، وينتهي إلى الجملة الواحدة على حين يبدأ علم المعاني بالجملة الواحدة وقد يتخطاها إلى علاقتها بالجملة الأخرى في السياق الذي هي فيه))[36]. وبعد هذا نجد للإمام الجرجاني أقوالا كثيرة في مواطن مختلفة من مؤلفه بوضوح نظرته السليمة إلى معاني النحو وهي كما ترى تهدف إلى جعل التركيب اللغوي، وتنوع أساليبه وتعدد طرائقه هي موضوع الدراسة النحوية، وهو ما تعنى به الدراسات اللغوية الحديثة. وقد خالف بذلك نظرة النحاة حين جعلوا الأجزاء التحليلية من التركيب الكلاسيكي موضوع دراستهم، فكرسوا جهودهم على دراسة الجزء من التركيب منعزلا عن غيره. ومن هذه الرؤية العلمية يظهر بجلاء دور مبدأ ربط بالبلاغة في بلورة الصيغة البيانية في اللسان العربي، فهو به تحكم الصيغة في شكلها ومعناها. ومن هنا يمكن القول إن النص في اللسان العربي أدبيا كان أو لغويا لا يستقيم عوده إلا بتوخي معاني النحو فيها بين الكلم، والنص لغة، واللغة لا تؤدي وظيفتها الأساسية وهي الإبلاغ إلا عن طريق مبدأ ربط - و بالبلاغة. وقد يخطئ المحللون والباحثون حين ينسبوا جمالية النص في اللسان العربي ومزيته إلى الاستعارة والكناية والتشبيه، وسائر ضروب المجاز، والحقيقة ليست ذلك، إنما الفضل والشرف يعود إلى الطريقة التي أسند فيها المسند إلى المسند إليه حتى نظمت الجملة أحسن نظم، وبنى النص أحسن بناء فحقق الغرض وحصلت الفائدة. وقد فصل الإمام الجرجاني هذه الفكرة ممثلا بقوله

---

[36] - الأصول، تمام حسان، ص 346 (الهيئة المصرية العامة للكتاب).

تعالى: "واشتعل الرأس شيبا"[37]، وقوله "وفجّرنا الأرض عيونا"[38] تمت فيه الفائدة الجمة، وهو قمة ما وصلت إليه الدراسة الأسلوبية الحديثة وعلى هذا تظهر كبرى الأهمية لمبدأ ربط النحو بالبلاغة في الصياغة البيانية الأصيلة في اللسان العربي والأمثلة والشواهد أكثر من أن تحصى في هذا المقام. لذا كان حقا علينا أن نضع هذا المبدأ في قائمة الثوابت أو الخصائص الثابتة في اللسان العربي.

4- الاشتقاق وعلم الصيغ: إن ألفاظ العربية تتجمع في مجموعات كل مجموعة منها تشترك مفرداتها في حروف ثلاثة، وتشترك في معنى عام ثم تنفرد كل كلمة في المجموعة، وتتميز من قريباتها في النسب بصيغتها أو مبناها، وتختلف في معنى خاص بها ناشئ عن صيغتها أو عن غيرها من الملابسات التي اكتسبتها حياة خاصة. فلكل كلمة حياة أو تاريخ وقد تبتعد قليلا أو كثيرا عن المعنى الأصلي الذي ظل شبحه مخيما بظله عليها، ولكنها مهما ابتعدت في معناها وحياتها وتاريخها تحمل طابع نسبها في الحروف الثلاثة التي تدور معها أنّى دارت. وهذه المزية للعربية و ليست لغيرها من اللغات، ذلك أن الألفاظ في اللغات الأولى يعتريها من التبدل ما يمحو أصلها ويخفي معالمه. فلو نظرنا إلى مادة (حدق) وما تفرع عنها من كلمات: (أحدق، حديقة، حدقة العين) لوجدناها تتضمن كلها معنى الإحاطة والألفاظ المشتقة منها (ج، ن، ن) تتضمن معنى الاستتار، ومنها: المجن، الجنة الجنون، الجن، الجنة والألفاظ المشتقة من ماكدة (ش، ر، ك) كالشرك والشركة والاشتراك تتضمن معنى التعدد والمشاركة. ولو نظرا الفرنسي إلى كلمتي (canine) (chien) لما وجد ما يدل على أنهما من أصل واحد، وكذلك كلمتي (capitaine)

---

[37] - مريم الآية 04.

[38] - القمر الآية 12.

(chef) مع أنهما يرجعان إلى كلمة (caput) اللاتينية ومعناها (الرأس) ومثل هذه الأمثلة كثير جدا في لغتهم (Livre. Ecrivain. Bibliothèque) أي (كتاب، مكتب كاتب، مكتبة) وبعد هذا يمكننا أن نقول إن الألفاظ العربية هي كالعرب أنفسهم تتجمع في قبائل وأسر معروفة الأنساب وتحمل هذه الألفاظ دوما دليل معناها وأصلها، ميسم نسبها، وذلك في الحروف الثلاثة الأصلية التي تدور مع ما يتولد عنها ويشتق منها من ألفاظ. وتختلف مفردات هذه المجموعات أو أسرار الألفاظ كثرة وقلة، فهي كالقبائل منها المنجب والعقيم والمكثر والمقل إن الألفاظ العربية تكثر ويتوالد بعضها من بعض باستمرار وتؤدي بهذه الطريقة الحية وظيفتها في الحياة إذ تقابل كل مولود جديد حسيا كان أو معنويا بمولود جديد مثله من اللفظ من الأصول الموجودة والأرومات القائمة. ولا يحتاج المرء إلى كبير عناء لمعرفة هذه الألفاظ الجديدة. ومعرفة قرابة الألفاظ ونسبها وارتباط بعضها ببعض، ذلك أن الألفاظ التي ترجع إلى أصل واحد وأكثر ما يقع هذا في اللغات الأجنبية مثال كلمة louer – في اللغة الفرنسية تفيد معنى المدح والثناء ومعنى الكراء والتأجير. والحقيقة ثمة كلمتين لا كلمة واحدة. أحدهما نتيجة تطور كلمة (locare) اللاتينية ومعناها التأجير والثانية منحوتة عن (laudare) بمعنى المدح. ويقع مثل هذا في العربية في الألفاظ الأعجمية التي تلحق بمادة عربية كالإقليد في مادة (قلد)، كما يقع في بعض الألفاظ المشتبه الأصل وهي قليل نادرة كلفظ (الملائكة)، واختلافهم في أصلها هل هو (أملك) أم (م، ل ك)[39]. والاشتقاق في العربية ليس بدعا من الأمر اخترعه الدارسون العرب من عند نفسهم كما اخترعوا لظواهر الإعرابية على حد رؤية بعض الباحثين وإنما هو الرباط الوثيق الذي يجمع المتفرق من مشبهات اللغة حتى تكون أداة للتعبير، ووعاء

---

[39]- فقه اللغة وخصائص العربية ج 7 ص 36 (القاهرة).

للفكر ومعرضا للأحاسيس والانفعالات. كل الذي صنعه اللغويون العرب أنهم اكتشفوا هذا الرباط وحددوا مسالك سير، ومكنوا له من أن يمارس عمله في التمكين للغة من مسايرة الحياة وملاحقة التطور، ومتابعة الاختراع مهما تشعبت مسالكه وتدابرت طرائقه. وهنا نلاحظ نوعا من الخصوبة العقلية والذهنية تحتاج إلى تفسير وجودها إلى بحث واستقصاء. ذلك لأن هذا التفسير فيه نوع من الرد على أولئك الذين يتهمون العربية بأنها عقلية تجنح في تفكيرها إلى الجزئية التي لا تترك القواعد الكلية التي يمكن عن طريقها تصنيف التفكير البشري تصنيفا يعينه على التطور والارتقاء ويحمله على أن يأخذ نفسه بأسباب التقدم، فكان الاشتقاق إذن ظاهرة دراسية تجمع، في شعاب اللغة ألفاظا ودلالات. فأما تقسيم الاشتقاق إلى هذه الأقسام، من اشتقاق صغير وكبير وأكبر، فله دلالته على فكرة الكلية التي يمتاز بها الدارسون العرب من اللغويين. ولا شك أن الاشتقاق الصغير، وهو أول مراحل التفكير الاشتقاقي، قد استطاع أن يمكن اللغويين من معرفة الأصول الدقيقة لنشوء المعاني وتطورها وقد تنبه إلى شيء من ذلك الصرفيون، فقالوا: إن لهذا الاشتقاق دوره في معرفة ما أصاب المادة اللغوية من القلب المكاني، كما في (أيس) (يئس) و(نأى) و(ناء)، و(رأى) و(أراء) وغيرها من الألفاظ المساقة على هذا النمط. ولعل السؤال الذي يعرض نفسه اللحظة هو: هل الاشتقاق أخصب اللغة؟ والجواب عنه يكون في نقطتين:

أ- الأولى: فلا نكاد نظفر بجديد من الألفاظ يعتمد في وجوده على الاشتقاق لان الصيغ الاشتقاقية التي يصاغ فيها الألفاظ لا كاد تختلف على مر الأيام. فصيغ اسم الفاعل واسم المفعول واسم الزمان والمكان و المصادر و ما إليها لم تختلف منذ أن وصلت إلينا نصوص اللغة. وقد تركزت فيها هذه الأصول والقوالب الاشتقاقية.

ب-الثانية: من هذه الخصوصية وهي تنوع الأساليب الجديدة لقدرة اللغوي على التصرف في النظم اللغوي، الذي يعطي التجربة اللسانية امتيازا وتفوقا. وبعد هذا كله، فإن الناظر في تراث اللغويين القدامى والمحدثين يلحظ فيه على كثرته وثرائه قصورا ونقصا، يرجع سببه الأول إلى معاجم اللغة حيث يلحظ أن موادها هي أيضا ناقصة، إذ لا نكاد نجد في مادة من هذه المواد كل الصيغ لمجردة والمزيدة في الأفعال والأسماء. ولعل أقرب مثال إلينا يمكن الاستدلال به في هذا المقام مادة الاشتقاق ذاتها، إذ بالرجوع إلى المعاجم اللغوية الأم (كتاج العروس) (لزبيدي) و(لسان العرب) لابن منظور، و(الصحاح) للجوهري، و(مقاييس اللغة) لأحمد بن فارس نلاحظ مايلي:

الأفعال	الأسماء
-شق/ أشق النخل: طلعت أكمامه	- الاشتقاق
- شقق الكلام-	- شق = نصف
- مشاق-	- شق
- شقشق الفحل / انشق	- المشق
- تشق / اشتق / تشاق الرجلان	- الشقق : الطول
- اشتق بالجوالق : حزمهُ على أحد شقيه	- الشقة : البعد
	- المشقة التعب
	- الشقة من العصا والثوب ماشق طويلا

ـ الأشق: الطويل / – والأنثى: شقاء /– الشقيقة: فرجة بين جبلين تنبت العشب. والشقوقة: طائر / –الشقاق: موضع / – الشقشقة: للبعير شئ يخرجه من فمه كالرئة. فإذا عرضنا ما وجدنا من هذه الأفعال بالأوزان التي جمعها الصرفيون للفعل وجدنا هذه المعاجم سكتت عن الصيغ التالية:

- من مزيد الثلاثي : أشقق – اشقاق – أشقوق – أشقوقق.

- من مزيد الرباعي : تشقشق – اشققق – اشقننقق.

- وقد نجد بعض العذر للغويين حين يهملوا مثل: أشقوقق، اشقق لثقلهما على النطق والسمع معا بسبب تتالي القافات، والقاف وحدها حرف فخم غير خفيف. أما الأسماء فقد حشر لنا السيوطي في المزهر من أوزان الأسماء والمصادر أكثر من سبعين صيغة لمترد عليها من مادة (شق) ولا كلمة من أمثال: (فعول فعلان فعلى افعلان،أفنعل، فعاليل، فعلول، فعليل)، فهذه الصيغ لم يعد يستعمل منها إلا القدر الضئيل. والغريب من هذا أننا نجد (دواوين اللغة) و(كتب القواعد) تقول: ليس في العربية على وزن كذا إلا كلمتان أو كلمات معدودة. وحق لنا الآن أن نتساءل: من جمع اللغة العربية كلها وأحصى كلماتها وعدها عدا، حتى جعلهم يقولون مثل هذا القول؟ ولو قال أحدهم: لا أعرف من كذا إلا كذا، لكان أقرب إلى الصواب والصدق والموضوعية، علما أنه ما وصل إلى الرواة من اللغة إلا أقلها. ولم تدون المعاجم كل ما روى الرواة. والغريب الثاني أن بعضهم منع ما أجمعوا على قياسهن وهو اشتقاق اسم المفعول من الثلاثي المتعدي، فقال: لا يقاس من نفع اسم المفعول! والسؤال الوجيه هنا لماذا؟ وبعد هذا كله فمن الإنصاف والاعتدال والأمانة العلمية أن نشتق ما نحتاج إليه اليوم على أوزان العرب وأساليبها، إذ في تشقيق الصيغ دلالة على تنويع المعاني. فإذا

أردنا أن نَدل على الثبوت في صفة ما من مادة لم يرد فيها عن العرب صفة مشبهة أشققنا منها (فعيلا) إذا كانت (فعيل) أكثر الصيغ دور انا في الصفات المسموعة، وكذلك نفعل في مزيدات الأفعال وصيغ الأسماء. وعلى هذا النمط من التفكير والعمل تتحقق استجابة العربية لكل المطالب الحضارية في حياتنا المادية والوجدانية.

إنني اعتبر الاشتقاق في اللسان العربي مصنعا كبيرا ذا قوالب ذات دلالات كلية جامعة لمجالات الحياة كلها المادية و المعنوية. فهي كالأصول والقواعد. وظيفة المصنع الكبير والقوالب الكلية إنتاج المصطلح الجديد باستمرار وفق حاجيات الزمن ومتطلبات الحياة الجديدة. والمصطلح هو في حقيقة أمره عجينة مقولبة. ولتقريب الصورة إلى الذهن فإن الصيغة الاشتقاقية (فِعَالة) تحمل دلالة كلية هي: (الحرفة). فتقول: صِناعة، زراعة، حِياكة، وحِدادة... إلخ. فالقالب واحد (فعالة) والعجينة أنواع لكنها تصب كلها في دلالة الحرفة. ومعنى هذا أن أي حرفة جديدة تظهر مع الزمن، مهما كان نوعها تصاغ في قالب (فعالة) بانتظام، وهذه من مرونة العربية المنتظمة التي بها تلبي حاجات عصرنا، بل كل عصر. وبعد هذا فإنه مهما كبرت أهمية الاشتقاق كخاصية ثابتة في العربية، إلا أنه إلى اليوم لم يوف حقه من قبل المختصين من أهل اللغة وهو الأمر الذي جعل العربية على غناها وثرائها تبدو للناظرين لغة فقيرة، عاجزة عن مواكبة تطورات ومستجدات القرن الجديد. ومن هنا لا بد من إعادة النظر في باب الاشتقاق والوقوف على استعداد العربية فيه، والإفادة من مرونتها وطواعيتها قَوَ ها المعطلة، ومنها الاشتقا لتلبى حا جات عصرها لحديث. فنطرد من قواعده ما كان مطردا ونكمل لمواد الناقصة في المعاجم، ونشتق من الأعيان وغيرها كل ما تدعو الحاجة إليه. إذ لا تزال لغتنا غنية بإمكانياتها

تنتظر إقدام المقدمين من الواقفين على مزاياها وأسرارها بعد ن طال بلاؤها من أحجام المحجمين أحقابا طوالا وما صنعه النحاة من استنباط قواعد العربية لا يعكس الغني الحقيقي والوفرة الكبيرة التي هي عليها باعتباره كنز يطلب من مكتشفيه يقول الاستاذ (ماسنيون) في الدورة الثالثة عشرة لمجمع اللغة العربية في القاهرة أن: "اشتقاق الاسماء في العربية واضح، ولكنه في الفرنسية مبهم[40] يحسدها عليها كثير من اللغات، فهي كنز يطلب من يكتشفه، ويحسن استخدامه و الإفادة منه[41].

ولئن كان علم الاشتقاق في اللسان العرب خاصية بارزة ومميزة لها قدرها ودورها في حياة اللغة، فإن شقيقه هو علم الصيغ الخصية الأخص في اللسان العربي يعرف الرضي الاستراباذي في شرح الشافية لابن الحاجب الصيغة: بأنها هيئة الكلمة التي لا يمكن أن يشاركها فيها غيرها من حيث عدد حروفها المرتبة وحركاتها المعينة وسكونها مع اعتبار الحروف الزائدة والأصلية كل في موضعه. وهنا نقول: إن عناصر الكلمة العربية ثلاثة أشياء:

1- **المادة الأصلية**: ونعني بها الأصول الحرفية الأولى للكلمة التي تعتبر الجذر الأساسي لإشتقاقاتها المختلفة من هذه الأصول.

2- **هيئة الكلمة**: أو صيغتها على ما سبق بيانها في التعريف.

3- **معنى الكلمة**: المتحصل من الشيئين السابقين.

وعلى هذا فعلم الاشتقاق: يصنف الألفاظ إلى مجموعات بحيث تشترك كل منها في حروفها الأصلية التي تعتبر جذرا لهذه المشتقات التي تمثل أسرة لغوية

---

[40] - فقه اللغة وخصائص العربية، د. مبارك ص 69، 73 (دار الفكر 1987) ط: 7.

[41] - مفتاح العلوم، الإمام السكاكي، ص 73 (دار الكتب العلمية، بيروت).

عمادها هذه الحروف الأصلية على نحو ما نرى في معاني الألفاظ. أما علم الصيغ: فيصنف الألفاظ تبعا لوزنها، بصرف النظر عن نوع الحروف للمادة الأصلية، ويجعل كل مجموعة و مشتركة من حيث الصورة تحت عنوان هو صيغة (فاعل) أو (مفعول)... إلخ. والرابط بين ألفاظ كل مجموعة في علم الصيغ هو هذه الصورة للموسيقى العامة للكلمات التي تعطي معاني كلية كالفاعلية والمفعولية. إذا ضم إليها المعنى الخاص للمادة الحرفية الأصلية ظهر لنا معنى الكلمة المحددة. وللصيغة أثر في الدلالة. فصيغة (فعالة) هي للدلالة على بقايا الأشياء وهو معنى كلي، كالحثالة والنفاية والبراية والصبابة والنحاتة). فإذا كسرت (فاء) الصيغة فصارت (فِعالة) دلت على الحرفة كما ذكرنا سابق: وهو معنى كلي مغاير للأول كالصناعة والنجارة والخراطة وهو لعمري علم ذو صلة وثيقة بعلم الاشتقاق، طبيعتها التكامل والضرورة. وعلم الصيغ شاهد آخر على عظمة اللسان العربي. ودليل على العقلية الرائدة والبارعة التي أسست اللسان العربي على أسس ثابتة ومحكمة ومتميزة فكل شئ في هذا اللسان هو على دقة محكمة وحساب رياضي خارق يؤهله إلى الصلاحية لكل زمان ومكان، ويمكنه من التكيف مع العصر الجديد والتطور معه في كل وقت وفي كل مجال. ويكفي اللسان العربي بخاصية علم الاشتقاق وعلم الصيغ فضلا. ولو كان له من الخصائص الثابتة إلى هذه لكفته لأن الألسن البشرية الأعجمية معدومة هذه الخاصية أو شبه معدومة.

ج- مقاصد ثوابت اللسان العربي: وأرى أن دائرة الثوابت في اللسان العربي حاملة لجملة من المقاصد أذكرها، في نقاط على الترتيب التالي:

- تأكيد الصلاحية لكل زمان ومكان للسان العربي.

- تثبيت القوة والقدرة والتميز في اللسان العربي.

- دفع ضرر الانقراض والإتلاف والتلاشي للسان العربي.

- تأكيد عبارة: اللسان العربي كائن حي قائم بذاته.

د- متغيرات اللسان العربي ومقاصدها: لا أقصد بالمتغيرات، في هذا المجال أن يحصل في اللسان العربي تغيير في واحد من مستوياته، إن في المستوى الصوتي أو الإفرادي أو التركيبي كأن يسود صوت ما في مرحلة زمنية محددة ثم تأتي ظروف تغيره بصوت آخر مغاير له أم مفردة لمعنى معين تغير بمفردة أخرى مغايرة لها، أو تركيب لغوي معين يغير هو الأخر بتركيب لغوي ثان مغاير. إنما – كما ذكرت في اللغة ثابت في مجال الأصوات ومجال المفردات ومجال التراكيب. والقليل فيه المتغير وهو مربوط بتغير الزمن وتجدد آلياته وأدواته، ويخص المتغير المجال الإفرادي لأن تجدد الزمن وأدوات العصر يفرض دوما المصطلح الجديد المناسب لهن فيحصل في الدائرة الإفرادية تجديد مصطلحاتي من دون إلغاء للقديم، وهذه الحركة التجديدية في هذه الدائرة هي مستمرة السير من غير توقف عبر الزمن و المكان. فمصطلحات العصر العباسي. وغيرها من مصطلحات العصر الحديث إن شئنا التثبت قلبنا صفحات الدواوين الشعرية من عصر. وهذا –برأينا– أمر طبيعي جدا وعام في جميع اللغات. كما قد يطالعنا المتغير في المجال التركيبي غير الثابت، وأريد به مجال البلاغة. فالبلاغة مجال تركيبي متغير حسب حال السامع. والأحوال والمقامات كثيرة وكثيرة جدا. وقد أبان عنها الإمام السكاكي في كتابه مفتاح العلوم بقوله: ((...إن مقامات الكلام متفاوتة، فمقام التشكر يباين مقام الشكاءة ومقام

التهنئة يباين مقام التعزية، ومقام المدح يباين مقام الذم، ومقام الترغيب يباين مقام الترهيب، ومقام الجد في جميع ذلك يباين مقام الهزل...))[42].

وقد أورد مقامات عدة لا داعي لحصرها كلها لأننا هنا في مقام التمثيل. وعليه فالمقامات وأحوال السامعين، وكذا أغراض المتكلمين التي لا تنتهي هي الأعمدة الأساسية في إبراز أمارة التغير التركيبي في مستوى الجملة الخبرية (زيد منطلق) لا تعني (منطلق زيد، ولا تعني: (زيد هو المنطلق). وهكذا لأن التغير في الشكل التركيبي فرضه تغير في المقام وتباين في الحال ومقتضاه، يقول الإمام الجرجاني في هذا الصدد: (اعلم أن ليس النظم إلا أن تضع كلام كالوضع الذي يقتضيه علم النحو وتعمل على قوانينه وأصوله إلى الوجوه التي تراها في قولك: (زيد منطلق) و(زيد ينطلق) و(منطلق زيد) و(زيد المنطلق) و(المنطلق زيد) و(زيد هو المنطلق) و(زيد هو منطلق). وفي الشرط والجزء إلى الوجوه التي تراها في قولك: (إن تخرج أخرج) و(إن خرجت). (إن تخرج فأنا خارج) (أنا خارج إن خرجت). (أنا إن خرجت خارج). وفي الحال إلى الوجوه التي تراها في قولك (جاءني زيد مسرعا) و(جاءني يسرع) و(جاءني وهو مسرع أو هو يسرع) و(جاءني قد أسرع) (جاءني وقد اسرع). فيعرف لكل ذلك موضعه، وتجيء به حيث ينبغي له[43]. ويحسن بي أن نظيف هنا إلى المجالين المذكورين، المجال الصوتي في اللسان العربي وقد ينتابه تغير في الأداء في عين الصوت؛ لأن الأصوات ثابتة لا تقبل التغير ولا التبديل في اللسان العربي، إنما الذي يحصل فيه التغير والتنويع هو الكيفية الأدائية للصوت الواحد. فصوت (القاف) ينطق في جهة الوسط (قافا) وفي جهة أخرى من البلد (قافا)، وفي المشرق

---

[42] -دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، ص 75، 76، 77 (بتصرف).

[43] - الروم الآية 22.

(أف). وهكذا ولعل للعامل الجغرافي هذا التنوع الادائي من ترقيق وتفخيم في مستوى الصوت الواحد دورا كبيرا. إذ أن رقة المدنية والحضارة هي –برأيي– التي أوصلت (القاف) إلى (أف). وأن خشونة البادية وجلفية الجبلية هي التي حولت (القاف) إلى (قاف) وهكذا. ومن هنا نقول: إن هذه المتغيرات في هذه المستويات كانت وراءها جملة من السباب الطبيعية يمكن ضبطها في النقاط التالية:

1– **المجال الصوتي**: (أخص بالذكر الأدائية للصوت) عامل جغرافي لا يمس الصوت عينه.

2– **المجال الإفرادي**: (تجدد الزمن وآلياته باستمرار وكذا العصر في سيرورته.

3– **المجال التركيبي**: البلاغة. والمقامات والأحوال والأغراض التي لا تنتهي.

وميزة هذه المتغيرات هي حصولها في دائرة اللسان العربي وغير خارجة عن نطاقه إلى ألسن أخرى ماعدا المجال الإفرادي حين تلجأ اللغة إلى الاستعانة بمصطلح أجنبي لمعنى معين ثم تعربه مع الزمن كما فعل بمصطلحات كثيرة في هذا الشأن.

إنه منذ الزمن الأول إلى اليوم ويدخل هذا في باب الأصيل والدخيل، والمعرب والدخيل وهو الباب الواسع الذي فصله فقهاء اللغة في مؤلفاتهم كالإمام السيوطي في المزهر والعلامة ابن جني في الخصائص، وأحمد بن فارس في الصاحبي في فقه اللغة. وغيرهم، وهم كثر. وبعد هذا أرى أن هذه الدائرة في اللسان العربي هي كذلك حاملة لجملة من المقاصد أذكرها في النقاط التالية:

1– التكيف مع العصر والتجدد معه.

2- الصلاحية لكل زمان ومكان.

3- اتساع دائرة الاستيعاب والتغطية للجديد.

4- المرونة والليونة والتكيف مع المقام والأحوال والأغراض التي لا تنتهي.

5- مجال الاجتهاد وصناعة المصطلح.

6- التميز عن الألسن البشرية.

ماهية القرن الجديد: القرن الجديد هو قرن المنجزات التقانية من فضائيات وحاسوب وقنوات سمعية ومرئية وهو عالم قادم يتحدى الزمان والمكان معا بلا ريب. والسؤال المناسب هنا ليس في تحليل خصائص القرن الجديد والدوران في وصفها إنما في كيفية استثمار المنجزات التقانية الحديثة من فضائيات وحاسوب وقنوات إعلامية في خدمة الكلمة العربية إعلاما وتعليما ومعرفة وأدبا؟ وقبل الإجابة عن هذا التساؤل الهام يحسن بي أن أضع جملة من الملاحظات الدقيقة على عربية اليوم في النقاط التالية قصد إصابة الأجوبة:

- العربية اليوم ليست هي اللسان العربي الذي نناقش خصائصه في هذه الدراسة.

- العربية اليوم بعيدة عن الفصاحة الأصلية بعد.

- العربية اليوم فيها كثير من الرطانات الأعجمية التي اكتسبتها مع الزمن نتيجة الاستعمار.

- العربية اليوم لا تقاس فصاحتها بالقواعد العربية، لأنها غير مكتفية، بل بالقرآن الكريم.

– القواعد العربية لم يكتمل بناؤها. لذا بقي من الظواهر اللغوية من دون تقعيد، حتى عد الشاذ وذلك أضعف الإيمان. وهذا –برأيي– يحتاج وإلى إعادة تأمل ونظر من قبل المختصين في الدرس اللغوي.

– وجود المدارس النحوية هو مساحة واسعة لتطوير قواعد العربية، وجعلها تستوعب كل ظاهرة لغوية جاء بها القرآن الكريم أو استعملها العرب الفصحاء.

– كثير من الأجهزة في العربية معطلة وغير مستوعبة كجهازي الاشتقاق وعلم الصيغ اللذين يمدان اللغة بسعة ومرونة وحياة عبر الزمن.

– كثير من خصائص العربية مازالت لغزا، واكتفت بقراءة واحدة كانت سببا في تعطيل دورها وتجميد وظيفتها، وانعكس ذلك سلبا على العربية، في مواجهة تحديات العصر، كخاصية الترادف والاشتراك، والشاذ والأصيل والدخيل.

– فصل البلاغة عن النحو درس جمودا صريحا في العربية حال دون تكيفها مع العصر إيجابيا (العبرة في العربية ليست في مبانيها الظاهرة، كونها كانت لغة العلوم والمعارف) وليس في جمالها ولا جمال بيانها لذي نزل القرآن الكريم به لأن أي لغة في العالم تحمل في بطنها بذور الحضارة والبقاء. وهي جاهزة للعطاء في أي وقت، إن استخدامها أهلها حسن استخدام ووظفوا أجهزتها أحسن توظيف. قال تعالى: (ومن آياته اختلاف ألسنتكم وألوانكم)[44]. والآية هنا الاختلاف، وهذا لا يعني أن هناك لسانا يحمل في بذوره الحضارة والبقاء ولسانا آخر محروما منهما وإلا انتفت الحكمة وذهب القسط بين الناس، بل في أهلها وبفقهها واستيعابها وحسن توظيفها من دون تعطيل لأجهزتها التي سبقت الإشارة إليها.

---

[44] – الشعراء الآية 192، 195.

– إن عظمة اللسان العربي في نظري تكمن في مسألتين اثنتين، الأولى: صموده أمام التحديات بمختلف أشكالها وألوانها وأحجامها ومقاصدها منذ نشأته إلى اليوم وغدٍ. والثانية: ثابتة على خطه الأصيل وتحديه للزمن، وجديدة بغناه وثراه في كل زمن ومكان إلى اليوم وغد.

– المسؤولية: إن المسؤولية المحددة في القرن الجديد تجاه اللسان العربي تنطلق من ضرورة الاعتراف العقدي بأن اللسان العربي لسان القرآن الكريم، قد اتسع لكثير من المجالات، منها المجال العقائدي والمجال العبادي، والمجال الأخلاقي والمجال المعاملي، والمجال القصص... إلخ. كما في الخط الزمني للماضي فقص علينا قصصه و الحاضر فوصفه لنا وصفا، وامتد إلى المستقبل ليطلعنا عن أنبائه التي لم يحن زمنها بعد كل ذلك –برأيي– إشارة واضحة لسعة هذا اللسان وصلاحيته للزمان والمكان، هذه السعة المميزة عبر عنها شاعر النيل حافظ إبراهيم أصدق تعبير، إذ نظم على لسان اللغة العربية قصيدة قال فيها:

أنا البحر في أحشائه الدر الكامن ... فهل سألوا الغواص عن صدفاتي

رموني بعقم في الشباب وليتني ... عقمت فلم أجزع لقول وشاة

وسعت كتاب الله لفظا وغاية ... وما ضقت عن آي به وعظات

فكيف أضيق اليوم عن وصف آلة ... وتنسيق أسماء لمخترعات

نعم لقد وسعت اللغة كتاب الله الذي ما فرط الله فيه من شئ، واشتملت على العظات والنصائح ووصف الجنة والنار والجن والملائكة وخلق الإنسان ونشوء النبات ونمو لحياة ودبيبها في الأجسام، وغيرها من الأمور العيبية. التي لم تشاهد، ولم ترها عين. ولم نكن نعمل عنها شيئا. كما تتحدد ثالثة في وجوب فقه العصر الجديد عصر

التكنولوجيا والمنجزات التقانية الراقية مع الحرص على استثمار هذه التقانية الحديثة من حاسوب وفضائيات وقنوات سمعية مرئية وأجهزة الاتصال بمختلف أشكالها، ووسائل الإعلام الأخرى بمختلف أنوعها ودرجاتها، بحيث تنتج اللغة بشكل علمي دقيق، في إعداد المعاجم و إحصاء المصطلحات العلمية والأدبية والفنية وترتيبها وتوصيلها لطلاب العلم، أو إنجاز الترجمات العلمية الصحيحة أو بتخزين الإبداع العربي على الأقراص المدمجة في الحاسوب ...إلخ. مع الحرص على إمداد العصر الجُديد بالمصطلح العربي العلمي الجديد كلما ظهر المخترع الجديد ولا يحصل ذلك إلا بتجسيد الفعلي والعقلي للنقاط السالفة الذكر ثم توظيف جهاز الاشتقاق توظيفا علميا يركز على الأصالة والتوليد، أعني أصالة المصطلح الجديد وتوليده في الوقت اللازم. وهو خطاب أرفعه لأهل الاختصاص جميعا وأخص بالذكر الباحثين في اللغة وعلومها، كما أخص بدرجة المجلس الأعلى للعربية ومجمع اللغة العربية بالجزائر. إذ إن مسؤوليتهما ليست بالسهلة الخفيفة. وأؤكد هنا نقطة العمل المشترك والمنسق بين مجامع اللغة العربية في الوطن العربي في توليد وتوحيد المصطلح العلمي الذي يواكب القرن الجديد ويحافظ على هويته العربية.

اللسان العربي والألسن البشرية: والحق أن مساحة هذا العنصر هي أضيق من الموضوع، ذلك أن نقطة المقاربة بين اللسان العربي والألسن البشرية هي عنوان مؤلف كبير يشترك في صناعته فريق عمل. والموضوع هذا ذو شجون كثيرة، وهو يتطلب دراية واسعة ومعرفة كافية باللسان العربي أولا، وباللسن البشرية ثانية علما أن عالم اللغة واللسان عالم قائم بذاته بل قائمة عليه المعارف الإنسانية كلها، ومع ذلك لا يمنع من الإشارة إليه بإيجاز، ومقصدنا من ذلك هو بيان خصوصية اللسان العربي وتميزه عن باقي الألسن البشرية. وحينئذ ندرك بعضا من السر والحكمة التي

جعلت القرآن الكريم ينزل باللسان العربي. وفي هذا المقام يحسن بي أن أعرض كلاما نفيسا لأحد كبار علماء اللغة، وهو الإمام السيوطي جلال الدين، من علماء القرن التاسع وهو يعتمد كتاب أحمد بن فارس (فقه اللغة وسنن العربي في كلامها) اعتماد كبيرا ((أنها أفضل لغة وأوسعها قال أحمد بن فارس: لغة العرب أفضل اللغات وأوسعها قال تعالى: (وإنه لتنزيل رب العالمين نزل به روح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين)[45] فوصفه بأبلغ ما وصفه به الكلام وهو البيان وقال: (خلق الإنسان علمه البيان)[46] فقدم سبحانه وتعالى ذكر البيان على جميع ما توحد بخلقه، وتفرد بإنشائه من شمس وقمر ونجم وشجر وغير ذلك من الخلائقة المحكمة، والنشايا المتقنة. فلما خص اللسان العربي بالبيان علم أن سائر اللغات قاصرة عنه وواقعة دونه[47].

وفي بيان الحجة العقلية على فضل اللسان العربي بقول: ((فإن قال قائل: "فقد يقع البيان بغير اللسان العربي لأن كل من فهم بكلامه على شط لغته فقد بين. قيل له: إن كنت تريد أن المتكلم بغير اللغة العربية قد يعرب عن نفسه حتى يفهم السامع مراده، فهذا أحسن مراتب البيان، لأن الأبكم قد يدل بإشارة وحركات له على أكثر مراده، ثم لا يسمى متكلما فضلا عن أن يسمى بينا أو بليغا. وإن أردت أن سائر اللغات تبين إبانة اللغة العربية فهذا غلط. لأنه لو احتجنا إلى أن نعبر عن السيف وأوصافه باللغة الفارسية لما أمكننا ذلك إلا باسم واحد، ونحن نذكر للسيف باللغة العربية صفات كثيرة. وكذلك الأسد والفرس و غيرهما من الأشياء

---

45 - الرحمان الآية 04

46 -المزهر في علوم اللغة وأنواعها، الإمام السيوطي، ج1، ص 322 (المكتبة العصرية، بيروت).

47 - المزهر في علوم اللغة وأنواعها، الإمام السيوطي، ج1، ص 322 (المكتبة العصرية، بيروت).

والمسميات بالأسماء المترادفة. فأين هذا من ذاك؟ وأين لسائر اللغات من السعة ما للغة العربية؟ هذا مالا خفاء به على ذي نهية (العقل)[48].

وفي بيان اتساع اللسان العربي لجميع المعاني عبر الزمن عن غيرة من الألسن البشرية وقدرته عليها يقول: ((... لأن غير العرب لم تتسع. في المجاز اتساع العرب ألا ترى أنك لو أردت أن تنقل قوله: (وإما تخافن من قوم خيانة فانبذ إليهم على سواء). لم تستطع أن تأتي لهذه بألفاظ مؤدية عن المعنى الذي أودعته حتى تبسط مجموعها وتصل مقطوعها، وتظهر مستورها، فتقول: إذا كان بينك وبين قوم هدنة وعهد فخفت منهم خيانة ونقصا فأعلمه أنك قد نقضت ما شرطته لهم وآذانهم في الكهف سنين عددا[49]. وهذا -بن يي- كلام عظيم وجليل فيه كثير من الخفايا والأسرار التي تضمنها اللسان العربي، وقد خفيت على الكثير من الباحثين في هذا العصر. كان هذا في القرآن الكريم، أما الشعر العربي الأصيل فالأمثلة كثيرة جدا و في هذا السياق يقول: ((وقد تأتي الشعراء بالكلام الذي لو أراد مريد نقله لا عتاض وما أمكن إلا بميسور من القول وكثير من اللفظ. ولو أراد أن يعبر عن قول أمرىء القيس: ((فدع عنك نهبا صيح في حجراته). بالعربية فضلا عن غيرها لطال عليه. وكذلك قول القائل: والظن على الكاذب. وتجارها نارها، وعي بالأسناف... وقلب لو رفع، وعلى يدي فاخضم، شأنك إلا تركه متفاقم وهو كثير بمثله طالت لغة العرب دون اللغات. ولو أراد معبر بالأعجمية أن يعبر عن الغنيمة والإخفاق واليقين

---

[48] - الأنفال الآية04.

[49] - المزهر في علوم اللغة وأنواعها، الإمام السيوطي، ج، ص 323 (المكتبة العصرية، بيروت).

والشك والظاهر، والباطن، والحق، والباطل، والمبين، والمشكل، والاعتزاز والاستسلام لعي به.))[50].

وهي حقيقة تنبئ عن فضل اللسان العربي على الألسن البشرية، والله أعلم حيث يجعل الفضل. ويسترسل الإمام السيوطي في بيان فضل اللسان العربي في المجال الصرفي قائلا: ((ومما اختصت به العرب بعد الذي تقدم ذكره: قلبهم الحروف عن جهاتها ليكون الثاني أخف من الأول نحو قولهم: ميعاد، ولم يقولوا: موعاد (وهما من الوعد) ومن ذلك تركهم الجمع بين الساكنين، وقد يجتمع في لغة العجم ثلاثة سواكن، ومنه قولهم: يا حار ميلا إلى التخفيف ومنه اختلاسهم الحركات في مثل: فاليوم أشر ب غير مستحقب: (المحتمل) ومنه الإدغام وتخفيف الكلمة بالحذف نحو لم يك، لم أبل. ومنه إضمارهم الأفعال نحو: (امرأ اتقى الله) و(أمر مبكياتك لا أمر مضحكاتك). ومما لا يمكن نقله أوصاف السيف والأسد والرمح، وغير ذلك من الأسماء المترادفة. ومعلوم أن العجم لا تعرف للأسد أسماء غير واحد، فأما نحن فنخرج له خمسين و ئة اسم. ويؤكد العلامة أحمد بن فارس فضل اللسان العربي على سائر الألسن البشرية بقوله: فأين لسائر الأمم ما للغرب؟ ومن ذا يمكنه أن يعبر عن قولهم: (ذات الزمين) أي (تراخي الوقت)، (وكثرة ذات اليد) و(يد الدهر) و(تخاوصت النجوم) أي صغرت، و(مجت الشمس ريقها)، و(ذرأ الفيء)، و(مفاصل القول)، و(أتى بالأمر من فصه)، و(وهو رطب العطن)، و(يخلق ويفري) و(هو ضيق المجم، وهو (شراب بأنقع) و(هو جذيلها لمحكك وعذيقها المرجب)، والجذال عود ينصب الإبل وما أشبه هذا من بارع كلامهم، ومن الإيمان اللطيف والإشارة الدالة. وما في كتاب الله تعالى من الخطاب العالي أكثر وأكثر، كقوله

---

[50] - البقرة الآية: 173.

تعالى: (ولكم في القصاص حياة)، (يحسبون كل صيحة عليهم)[51]. (وأخرى لم تقدروا عليها قد أحاط الله بها)[52]، (إن يتبعون ألا الظن)[53]، (ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله)[54] وهو أكثر من أن نأتي عليه))[55]. ثم قال: وللعرب بعد ذلك كلم تلوح في أثناء كلامهم كالمصابيح في الدجى كقولهم للجموع للخير : قتوم و هذا أمر قاتم الأعماق أسود النواحي، واقتحف الشراب كله...إلخ)[56]. وذكر أمثلة كثيرة من هذا النوع كلها تنبئ عن سعة هذا اللسان العربي، في مقابل ضيق الألسن الأعجمية. ومن العلوم الجليلة التي اختص بها اللسان العربي عن غيره من الألسن الأعجمية: الإعراب قال: (وهو الفارق بين المعاني المتكافئة في اللفظ، وبه يعرف الخبر الذي هو أصل الكلام ولولاه ما ميز فاعلٌ ومفعول، ولا مضاف من منعوت، ولا تعجب من استفهام ولا صدر من مصدر ولا نعت من تأكيد)). ثم للعرب العروض التي هي: ميزان الشعر وبها يعرف صحيحه من سقيمه، ومن عرف دقائقه وأسراره وخفاياه علم أنه يربى على ما يحتاج إليه هؤلاء الذين ينتحلون معرفة حقائق الأشياء من الأعداد والخطوط والنقط التي لا أعرف لها فائدة. غير أنها مع قلة ترق الدين، تنتج كل ما نعوذ بالله منه. هذا كلام أحمد بن فارس، ثم قال: وللعرب حفظ الأنساب وما يعلم أحد من الأمم عني بحفظ النسب عناية العرب. قال تعالى: (يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى...)[57]. فهي آية ما عمل بمضمونها غيرهم.[58] قال ابن

---

[51] – الفتح الآية، 21.

[52] – النحم الآية، 23.

[53] – فاطر الآية، 43.

[54] –المزهر في علوم اللغة وأنواعها، الإمام السيوطي، ج1، ص326 (المكتبة العصرية، بيروت).

[55] –المزهر في علوم اللغة وأنواعها، الإمام السيوطي، ج1، ص326 (المكتبة العصرية،بيروت).

[56] –المزهر في علوم اللغة وأنواعها،الإمام السيوطي، ج1، ص326 (المكتبة العصرية، بيروت).

ذكر وأنثى...)[57]. فهي آية ما عمل بمضمونها غيرهم.[58] قال ابن فارس: انفردت العرب بالهمز في عرضي الكلام مثل: (قرأ)، ولا يكون في شئ من اللغات إلا ابتداء. قال: ومما اختصت به لغة العرب (الحاء) و(إلقاء)، وزعم قوم أن الضاد مقصورة على العرب دون سائر الأمم. قال أبو عبيدة: قد انفردت العرب (بالألف واللام) التي للتعريف كقولنا: الرجل الفرس، فليستا في شئ من لغات الأمم غير العرب وفي بيان ميزة الإعراب والحركات في التفريق بن المعاني يسترسل الإمام السيوطي بقوله ((فأما الإعراب فبه تميز المعاني، ويوقف على أغراض المتكلمين وذلك أن قائلا لو قال: ما أحسن زيدٌ أو ما أحسنُ زيدٍ، أبان بالإعراب عن المعنى الذي أراده. وللعرب في ذلك ما ليس لغيرهم، فهم يفرقون بالحركات وغيرها بين المعاني. يقولون: (مفتح) للآلة التي يفتح بها، و(مفتح) لموضع الفتح، و(مقص) للآلة القص، و(مقص) للموضع الذي يكون فيه القص ويقولون: امرأة طاهر من الحيض لان الرجل لا يشاركها في الحيض. وطاهرة من العيوب لأن الرجل يشاركها في هذه الطهارة. ويقولون: هذا غلام أحسن منه رجلا، يريدون الحال في شخص واحد. ويقولون: هذا غلام أحسن منه رجلا. فهما إذا شخصان. ويقولون: كم رجلا رأيت وفي الاستخبار، وكم رجل رأيت، في الخبر يراد به التكثير. (و هن حواج بيت الله إذا كن حججن. (وحواج بيت الله): إذا أردن الحج ويقولون: (جاء الشتاء والحطب): إذا لم يرد أن الحطب جاء، إنما أريد الحاجة إليه. فإن أريد مجيئهما: قال: والحطب.[59]

---

[57] -المزهر في علوم اللغة وأنواعها، الإمام السيوطي، ج1،ص328 (المكتبة العصرية، بيروت).

[58] -المزهر في علوم اللغة وأنواعها، الإمام السيوطي، ج1،ص330 (المكتبة العصرية، بيروت).

[59] -المزهر في علوم اللغة وأنواعها، الإمام السيوطي، ج1،ص330 (المكتبة العصرية، بيروت).

وأما التصريف فإن من فاته علمه، فاته المعظم، لأنا نقول: وجد وهي كلمة مبهمة فإذا صرفت أفصحت، فقلت في المال: وجدا، وفي الصالة: وجدانا، وفي الغضب موجدة، وفي الحزن: وجدا. ويقال: القاسط للجائر، والمقسط للعادل، فتحول المعنى بالتصريف من الجور إلى العدل... إلخ. وذكر الإمام السيوطي كلمات كثيرة أفصحت عن معانيها بالتصريف[60]. وذكر العلامة أحمد بن فارس في مؤلفه الصاحبي، في فقه اللغة فيما نقله الإمام السيوطي في المزهر، في باب: نظمٌ للعرب لا يقوله غيرهم: ((يقولون: عاد فلان شيخا وهو لم يكن شيخا) وعاد الماء آجنا (وهو لم يكن آجنا) قال تعالى: (حتى عاد كالعرجون القديم)[61] وهو لم يكن عرجونا. وقال حكاية عن شعيب، عليه السلام: (قد افترينا على الله كذبا إن عدنا في ملتكم)[62] ولم يكن في مثلهم قط، ومثله قوله: (يرد إلى أرذل العمر)[63] وهو لم يكن في ذلك قط وقوله: (يخرجونهم من النور إلى الظلمات)[64] وهم لم يكونوا في نور قط)[65]. ويتابع الإمام السيوطي هذه المفارقات بين اللسان العربي وغيره من الألسن الأعجمية في فصل سماه: في جملة من سنن العرب التي لم توجد في غير لغتهم.

1-مخالفة ظاهر اللفظ معناه: كقولهم عند المدح: قاتله الله ما أشعره إذا فهم يقولون: هذا ولا يريدون وقوعه، هوت أمه، و هبلته، وثكلته. وهذا يكون عند التعجب من إصابة الرجل في رميه أو، في فعل يفعله.

---

[60] - يس الآية، 39.

[61] - الأعراف الآية، 89.

[62] - الحج الآية، 05.

[63] -البقرة الآية، 257.

[64] -المزهر في علوم اللغة وأنواعها، الإمام السيوطي، ج1، ص331 (المكتبة العصرية، بيروت).

[65] -المزهر في علوم اللغة وأنواعها، الإمام السيوطي، ج1، ص332 (المكتبة العصرية، بيروت).

2- الاستعارة: وهي أن يضعوا الكلمة للشيء مستعارة من موضع آخر: فيقولون: أنشقت عصاهم، أذ تفرقوا، وكشفت عن ساقها الحرب، ويقولون للبليد: هو حمار.

3- الحذف والاختصار: (والله أفعل ذاك: تريد لا أفعل.

4-الزيادة:

(أ) للأسماء: (ويبقى وجه ربك) أي ربك. (وليس كمثله شيء) أي مثله.

(ب): (وشهد شاهد من بني إسرائيل على مثله): أي عليه

(ج): الحروف: رعشن الذي يرتعش. زرقم: للشديد الزرق. شدقم للواسع الشدق.

صلدم: للناقة الصلبة. والأصل: صلد. ومنه: كبار، طرماح، للمفرط في الطول وسمعنة، ونظرنة، للكثير التسمع والتنظر.

5- التكرير والإعادة: إرادة الإبلاغ بحسب العناية بالأمر كقول الحارث بن عباد: ((قربا مربط النعامة مني، لقحت حرب عن حيال)) فكرر قوله: (قربا مربط النعامة مني)، في رؤوس أبيات كثيرة عناية بالأمر وإرادة الإبلاغ في التنبيه والتحذير.

6- إضافة الفعل إلى ما ليس فاعلا في الحقيقة: يقولون: أراد الحائط أن يقع: إذا مال. وفلان يريد أن يموت: إذا كان محتضرا.

7- ذكر الواحد والمراد به الجمع: كقولهم للجماع: ضيف، وعدو. (هؤلاء ضيفي)، ثم يخرجكم طفلا [66].

8- ذكر الجمع والمراد به الواحد أو الاثنان: (إن يعف عن طائفة) الواحد (بما يرجع به المرسلون): و هو واحد، بدليل: أرجع إليهم (فقد صفت قلوبكما): وهما قلبان.

9- وصفه الجمع والمراد واحد أو الاثنتين بصفة الجمع: (وكنتم جنبا) (والملائكة بعد ذلك ظهير) وصفة الواحد أو الاثنين بصفة الجمع: ((برمة أعشار)) ((ثوب أهدا)).

10- مخاطبة الواحد بلفظ الجمع: فيقال للرجل العظيم: أنظروا في أمري لأن الرجل العظيم يقول: نحن فعلنا. ومنه في القرآن الكريم: ((قال رب أرجعون))[67].

11- تذكير جماعة وجماعة أو جماعة وواحد ثم تخبر عنهما بلفظ الإثنين: كقول الشاعر:

"إن المنية والخنوف كلاهما، يوفي المخارم يرقبان سوادي" وفي التنزيل: "أن السموات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما"[68].

12- أن تخاطب الشاهد ثم تحول الخطاب إلى الغائب والعكس: (فإن لم يستجيبوا لكم فاعلموا إنما أنزل بعلم الله)[69] يدل على ذلك قوله (فهل أنتم

---

[66] - المومنون الآية، 99.

[67] - الأنبياء الآية، 30.

[68] - هود الآية، 14.

[69] - هود الآية، 14.

مسلمون)[70]. يبتدأ بشيء ثم يخبره عن غيره: نحو قوله تعالى: ((والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا يتربصن))[71] فخبر عن الأزواج، وترك الذين.

13- أن ينسب الفعل إلى إثنين وهو لأحدهما: نحو((مرج البحرين))[72] إلى قوله. ((يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان)) إنما يخرجان من الملح لا العذب. وأن ينسب إلى الجماعة هو لأحدهم: ((إذ قتلتم نفسا فادّارأتم فيها))[73] والقاتل واحد وأن ينسب إلى أحد إثنين وهو لهما: (والله ورسوله حق أن يرضوه))[74].

14- أن تأمر الواحد بلفظ أمر الاثنين، نحو: (افعلا ذلك، والمخاطب واحد). (فإن تزجر اني يا بن عفان أنزجر ، وإن تدعاني أحم عرضا ممنعا).

قوله تعالى(ألقيا في جهنم)[75] وهو خطاب لخزنة جهنم والزبانية.

15- أن تأتي بالفعل بلفظ لماضي، وهو حاضر أو مستقبل، أو بلفظ المستقبل وهو ماض: نحو قوله تعالى (أتى أمر الله)[76] أي يأتي. و(كنتم خير أمر)[77] أي أنتم. و(اتبعوا ما تتلوا الشياطين)[78] أي ما تلت.

---

[70] - البقرة الآية، 234.

[71] - الرحمان الآية، 19.

[72] - البقرة الآية، 72.

[73] - التوبة الآية، 62.

[74] -ق الآية، 24.

[75] - النحل الآية، 24.

[76] - آل عمران الآية، 110.

[77] - البقرة الآية، 102.

[78] - محمد الآية، 04.

16- إن تأتي بالمفعول بلفظ الفاعل: نحو: (سر كاتم) أي مكتوم (وماء دافق) مدفوق و(عيشة راضية) أي مرضي بها و(حرما أمنا) أي مأمونا فيه.

وإن تأتي بالفاعل بلفظ بالمفعول: أي (عيش مغبون) أي غابن.

17- وصف الشيء بما وقع فيه (يوم عاصف).

18-التوهم والإيهام: (وفقت بالربع أساله)، وهو أكمل عقلا من أن يسأل رسما لكنه تضجع رأي السكن رحلوا، وتوهم أنه يسأل الربع.

19- الفرق بين الضدية بحرف أو حركة: نحو: يَدْوَى من الداء/ ويداوي من الدواء. ولعنى إذا أكثر اللعن، ولغنة: إذا كان يلعن.

20-التعويض: أي إقامة الكلمة مقام الكلمة. كإقامة المصدر مقام الأمر. نحو (فضرب الرقاب)[79]. والفاعل مقام المصدر نحو ((ليس لوقعتها كاذبة))[80] أي تكذيب. والمفعول مقام المصدر نحو: ((بأيكم المفتون))[81] أي الفتنة - والمفعول مقام الفاعل: نحو (حجابا مستورا))[82] أي ساترا.

21- تقديم الكلام وهو في المعنى مؤخرا، وتأخيره وهو في المعنى مقدم: نحو: ما بال عينيك منها الماء يسكب) وقوله تعالى: ((ولو لا كلمة سبقت من ربك لكان لزاما وأجل مسمى))[83]، فأجل معطوف على كلمة.

---

[79] - الواقعة الآية، 02.

[80] - القلم الآية، 06.

[81] -الإسراء الآية، 45.

[82] - طه الآية، 129.

[83] - يس الآية، 40.

22- الإشارة إلى المعنى إشارة الإيماء إليه إيماء دون تصريح: نحو: ((طويل النجاد)) يريدون طول الرجل / طرب العنان: يومئون إلى الخفة والرشاقة.

23- الكف عن ذكر الخبر اكتفاء بما يدل عليه الكلام: نحو: ((إذا قلت سيروا نحو ليلى لعلها ، جرى دون ليلى مائل القرن أغضب)) ترك خبر لعلها.

24- أن تعير الشيء، ما ليس له: فتقول: مر بين سمع الأرض وبصرها.

25- أن تجري الموات ومالا يعقل في بعض الكلام مجرى بني آدم: (وكلٌ في فلك يسبحون)[84]، وأرض أرضون جمعا.

26- المحاذاة: أي أن تجعل كلاما ما بحذاء كلام، فيؤتى به على وزنه لفظا. وإن كانا مختلفين. فيقولون: الغديا والعشايا - ومنه قوله تعالى(لسلطهم عليكم)[85](91) اللام جواب: لو. ثم قال فلقاتلكم حديث بتلك (اللام) وإلا فالمعنى: (لسلطهم عليكم فقاتلوكم).

27- الاقتصار على ذكر بعض الشيء، وهم يريدون كله: قعد على صدر راحلته ومضي الواطئين على صدور نعالهم.[86] وقد جاء في ديوان الأدب للفارابي بيان فضل اللسان العربي على الألسن الأعجمية بجملة من الخصائص تفرد بها، ما يلي: (هذا اللسان كلام أهل الجنة المنزه عن الألسنة من كل نقيصة، والمعلى من كل حسيسة، والمهذب مما يستهجن أو يستشنع. فبنى مباني باين بها جميع اللغات من إعراب أوجده الله له، وتأليف بين حركة وسكون حلاه به، فلم يجمع بين

---

[84] - النساء الآية، 90

[85] -المزهر في علوم اللغة وأنواعها، الإمام السيوطي، ج، 1ص، 342 (المكتبة العصرية، بيروت).

[86] -المزهر في علوم اللغة وأنواعها، الإمام السيوطي، ج، 1ص، 343 (المكتبة العصرية، بيروت).

ساكنين أو متحركين متضادين، ولم يلاق بين حرفين لا يأتلفان، ولا يعذب النطق بهما، أو يشنع ذلك منهما في جرس النغمة، وحس السمع، كالغين مع الحاء والقاف من الكاف، والحرف المطبق مع غير المطبق مثل: تاء الافتعال مع الصاد والضاد في أخوات لهما. والواو الساكنة مع الكسرة قبلها، والياء الساكنة مع الضمة قبلها، في خلال كثيرة من هذا الشكل لا تحصى.)[87]. وهو كلام في قمة تحليل الهندسة الصوتية للسان العربي، ولا غرو أن يكون هذا من علامة كالفارابي الموسوعة العلمية واللغوية، وهو ينبني عن فقهه الدقيق والعميق للسان العربي في خصائصه الصوتية الإفرادية والتركيبية التي ميز بها عن الألسن البشرية وفضل بها عنها. ويتابع الفارابي الكلام في موضع آخر بقوله: (فلم يجعل في مباني كلامها (جيما) تجاورها (قافا) متقدمة ولا متأخرة أو تجامعها في كلمة (صاد) أو(كاف)، إلا ما كان أعجميا أعرب. وذلك لجسأة (صلابة) هذا اللفظ ومباينته ما أسس الله عليه كلام العرب من الرونق والعذوبة. وهذه علة أبواب الإدغام، وإدخال بعض الحروف في بعض، وكذلك الأمثلة والموازين اختير منها ما فيه طيب اللفظ وأهمل منها ما يجفو اللسان عن النطق به أو لا مكرها كالحرف الذي يبتدأ به لا يكون إلا متحركا والشيء الذي تتوالى فيه أربع حركات أو نحو ذلك يسكن بعضها))[88]. وهو كلام كما ذكرنا دقيق وعلمي ينبئ عن عمق وسعة فقه الفارابي باللسان العربي. وما أبداه من خصائص ومميزات يعد – برأينا – قليلا، وليس هذا هو الكل بل إن في اللسان العربي من المميزات والخصائص ما لو عكفنا على تفصيلها بكل جزئياتها، ما خلص

---

[87] -المزهر في علوم اللغة وأنواعها، الإمام السيوطي، ج: 1ص: 344 (المكتبة العصرية، بيروت).

[88] - هذه الجملة جاءت على نسق المنطق الأرسطي التي تتكون الجملة فيه من موضوع ومحمول وبينهما الرابطة.

بنا المقام وما وسعت هذه المساحة الضيقة في هذا البحث. ورغم هذا نقول: إن الخصائص والمميزات هي التي منحته الصلاحية لكل زمان ومكان، ومدته والقدرة على مواجهة التحديات، والتفوق عليها بارتياح بدليل ثبات أصوات اللسان العربي في حين حصل للغات الأعاجم كلها، في أصواتها تغيير متكرر عبر الزمن فضلا عن مفرداتها وتراكيبها ويبقى كلام الإمام السيوطي في بيان فضل اللسان العربي كلاما على علميته ودقته وعمقه وسعته ينتسب إلى القرن التاسع الهجري. وقد يحلو لبعضهم تمويها للحقيقة، وجحودا للحق أن يقول: إن هذا الكلام لم يعد صالحا في القرن الجديد الواحد والعشرين، حيث الريادة العالمية هي للغة الإنجليزية ثم تتبعها الفرنسية والألمانية ثم الإسبانية... إلخ. والسيادة تعني الصلاحية لكل زمان. وهو كلام –برأينا – ظاهره حق وباطنه باطل. إذ السيادة هنا لا تعني شيئا يقرر صلاحية لغة ما في الزمان، وهو كلام – برأينا – ظاهره حق وباطنه باطل. إذ السيادة هنا لا تعني شيئا يقرر صلاحية لغة ما في الزمان، إنما فيما تحمله اللغة من خصائص ثابتة ومتغيرة وفق سنن الحياة. وقد يتضح لنا الأمر أكثر في هذه المقاربة بين اللسان العربي واللغتين الإنجليزية والفرنسية.

اللسان العربي	اللسان الأعجمي (الإنجليزي الفرنسي)
1–الإعراب وحركاته و ما ينوب عنها من حروف أو حذف حرف الأعجمية (مبدأ اقتصادي)	1–لا وجود لهذه الظاهرة في هذه اللغات
2–البناء من ضم وفتح وكسر وسكون.	2–لا وجود لهذه الظاهرة في اللغات الأعجمية.

3- الجملة الفعلية.	3- لا وجـود لهـا في اللغـات العجمية.
4- الجملة الاسمية في العربية لا تستعمل لفظا يربط المبتدأ والخبر فتقول: خبر (م غير اقتصادي) السماء زرقاء — (م. اقتصادي) (مبدأ + خبر) بدون رابط.	4- اختلاف في الجملة الاسمية بين العربي والإنجليزية والفرنسية المبتدأ + فعل الكينونة + (le ciel est bleu) - der ist blau)- (himmel
5- الترتيب للكلمات والتنظيم للضمائر الألمانية نرى أن ترتيب في الجملة العربية يتصف بالمرونة وكل كلمة هما اللذان يحددان الوضوح فليس هناك إبهام إذا أخرنا الفاعل وقدمنا المفعول مادامت الكلمات معربة buch مثل: (إنما يخشى الله من عباده العلماء) (96) das bush.	5- في الإنجليزية والفرنسية و الكلمات وموقع معنى الجملة - (ذات معنى) Der Schüler liest das (لا معنى لها) liest der Schüler.
6- المستوى الصوتي : -فيها أصوات الحاء والخاء والضاد والظاء والغين. - لا وجود لصوت الفاء المفخمة في العربية. - لا وجود لصوت يكتب برمز خطي	6-يوجد صوت الفاء المفخمة (V). - يوجد في اللغة الأعجمية هذا النمط من الصوت: (fh) ،(ch) ،(x)

واحد. - ويرمز إلى صوتين مختلفين مثل: (X) 7-لا وجود لهذه الظاهرة في اللسان العربي إذ العربية تكتب كما تنطق (م. اقتصادي). 8- المستوى الصرفي: - لها أوزان لا تشاركها فيها غيرها من اللغات الإفرادي + التثنية + الجمع 9- الاشتقاق في العربية واضح ومنظم • كاتب، كتب، كتاب، مكتبة، مكتب	7- بعض الحروف المكتوبة في هذه اللغات الأعجمية أكثر عددا من الحروف المنطوقة مثل: (lientement). 8- لا يوجد إلا الإفراد والجمع ولا وجود للتثنية إلا باستعمال العدد قبل المعدود (deux)، (twe)، (zwei) deux autos // zwei (auto) معدود عدد معدود عدد. 9- غامض مضطرب ومبهم (ecrire. Ecrivain. Bureau. Bibliothèque. Livre)

هذه بعض الفروق الأساسية التي تميز بها اللسان العربي عن غيره من الألسن البشرية الهند أوربية، وتؤكد سعته ومرونته ونظامه. مما يعطى دلالة على صلاحيته وفضله. ودلالة أخرى هي استحالة تطبيق النظريات الغربية كالوظيفة والتحولية

والعميق من أجل إظهار مبادئها وأسسها. ومجالات تطبيقها وهو لعمري واجب الباحث اللغوي العربي اليوم. ورغم ظهور بعض المحاولات العربية المحتشمة في بعض الدراسات التي أطلعنا عليها، ونشرها اللسان العربي أو بعض الملتقيات الدولية التي شاركنا فيها أو بعض المؤلفات التي بادر أصحابها مشكورين من أجل التأسيس لنظرية لغوية عربية حديثة مثل ما فعل الأستاذ الدكتور جعفر بك دك الباب في مؤلفه الجديد الذي نشره اتحاد كتاب العرب بدمشق سنة 1996. وعنوانه (النظرية اللغوية العربية الحديثة). وهو مؤلف على تواضع حجمه نفيس وذو قيمة علمية معتبرة وراقية رقي الحداثة والأصالة. إذ ينطلق من المسلمة القائلة: ليس كل ما في التراث صحيحا، وليس كل ما في التراث خطأ. وليس كل ما أنجزته اللسانيات الحديثة صحيحا، وليس كل ما أنجزته اللسانيات الحديثة خطأ. والواجب هو المزاوجة الشرعية بين صحيح التراث وصحيح منجزات اللسانيات الحديثة مع ترك خطئهما. والجديد الفعلي في هذا المؤلف هو تخصيصه القسم الأخير منه لجملة من المشاريع العلمية التطبيقية لفرق عمل عربية متخصصة قصد إبراز النظرية اللغوية العربية الحديثة في المجالين النظري يوضع الأسس والمبادئ والخصائص والتطبيقي لتزكية الخصوصية وتأكيد الصلاحية.

الخاتمة: وبعد هذا كله فإني لمعترف بجلال هذا الموضوع، شأنه من جانب ومعترف بالتقصير في تناولي هذه الدراسة الواسعة، إذ أن كل عنصر من عنصره هو في حقيقة أمره فصل كامل قائم بذاته، ومع هذا فإني سائل الله تعالى أن يمدني بعون منه لإتمام ما نقص، وتفصيل ما جمل، ليخرج البحث في قابل الأيام مؤلفا، يلفت انتباها ويكشف جديدا ويثير همة ويوجه فكرا إلى عظمة هذا اللسان العربي الكبير.

وعليه يمكن حصر نتائج هذا المجهود فيما يلي:

- اللسان العربي هو غير اللغة العربية.
- أنزل القرآن باللسان العربي وليس بلغة قريش.
- اللسان مجاله تركيبي ثابت واللغة مجالها إفرادي متغير.
- سنة الحياة توجب على اللسان العربي أن تقوم ذاته على ثابت ومتغير. فالثابت يحفظه عبر الزمان من التلاشي والانقراض، والمتغير يجعله يتكيف مع جديد الزمن باستمرار.
- من مقاصد الثوابت تأكيد الصلاحية للسان العربي في كل زمان ومكان.

وفي القرن الجديد يجب استثمار المنجزات التقانية الحديثة في خدمة الكلمة العربية إعلاما وتعليما ومعرفة وأدبا، وحدود المسؤولية تنطلق من إيمان عميق باللسان العربي، وفقه دقيق وبحث متواصل من أجل الكشف عن أسراره التي ل تنتهي وعجائبه التي لا تنقضي، قال تعالى في بيان الفضل وتحقيق التفضيل: "لسان الذي يلحدون إليه وهذا لسان عربي مبين".

أثر العولمة في اللسان العربي
الواقع والتحديات

الدكتور حلام الجيلالي
كلية الآداب والعلوم الإنسانية
جامعة سيدي بلعباس

"كيف يستطيع الإنسان أن يقاوم جمال هذه اللغة ومنطقها السليم وسحرها الفريد."

(زغيد هونكه)

"تلك اللغة التي فاقت أخواتها بكثرة مفرداتها ودقة معانيها وحسن نظام مبانيها ولم يعرف لها في كل أطوار حياتها طفولة ولا شيخوخة."

(رينان)

"بلغت العربية بفضل القرآن من الاتساع مدى لا تكاد تعرفه أي لغة من لغات الدنيا."

(كارل بروكلمان)

إن ظاهرة العولمة — من منظور الشمولية الكونية- باتت تطال المجتمعات الوطنية والقومية في مقوماتها الثقافية الأساسية: الفكر واللغة والآداب والفنون والتاريخ أو العادات والتقاليد وحتى أنماط العيش والسلوك مما يضع الدول أمام أخطر تحد — بعد زوال الاستعمار الاستطاني والحرب الباردة — وهي ترتقي عبتاب الألفية الثالثة.

وتأتي هذه الورقة البحثية لتطرح إشكالية العولمة وأثرها في اللسان الرسمي للأمة تتمحور حول مفهوم العولمة، ومظاهر تأثيرها في المجال اللغوي، وكيف يمكن للسان العربي أن يواجه تحديات علميا وإعلاميا.

تشير القرائن والمعطيات الماثلة في الساحة الدولية المعاصرة، إلى أن الصراع القادم — خلال الألفية الثالثة — إنما هو صراع حضاري مناطه القيم الرمزية والثقافية للامة أكثر مما هو صراع اقتصادي على المنافع المادية وإن كانا متلازمين.

ولا شك في أن "ثمة جهودا خارقة تبذل لكي يتخذ العالم صورة واحدة. ولا ريب في أن المحصلة النهائية لمثل هذا التطور ستكون في المجال الثقافي[1]"، وهو مجال يشمل بمعناه الأناسي (الأنثروبولوجي) كل ما أبدعه الإنسان أو اكتسبه بما في ذلك الجانب الموضوعي المتصل بالممارسات الفكرية والفنية والأدبية والاجتماعية، أو الذاتي المتصل بالقيم العقلية والنفسية والروحية واللغوية، أي ما يشكل في جملته المرجعيات الحضارية للأمة.

ومن هذه الوجهة تسعى ظاهرة العولمة إلى جعل العالم المتعدد والمتمايز والمختلف في إطاره الجغرافي ولغته وثقافته وقيمه الحضارية كتلة واحدة، يحركها ويهيمن عليها جهاز أحادي القطب، هدفه تدويل الخدمات العامة[2] وخوصصة المؤسسات والكيانات المستقلة اقتصاديا وسياسيا وثقافيا لفتحها على العالم أو عولمتها. فالعولمة الاقتصادية ليست بمنأى عن العولمة السياسية ولا هذه عن الثقافية وتعتبر الخوصصة في النظام العالمي الجديد مرحلة تمهيدية في طريق العولمة كما هو الشأن في تفكيك السلطة إلى أحزاب متعددة الاتجاهات،وتجزيء الوحدة الوطنية على أقاليم جهوية وأقليات، والقيم الرمزية إلى ثقافات ولهجات، ومؤسسا الإنتاج إلى شركات متعددة الجنسيات، مما يسهل توجيهها والهيمنة عليها. فهي من هذه الوجهة تقوم على منطق المغالبة: من لم يعمل على تطوير مصادر قوته ويحافظ على

---

[1] -هانس بيتر مارتين وهارالدشومان: فخ العولمة/ الاعتداء على الديمقراطية والرفاهية. ت/عدنان عباس علي. 1998/238، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والادب-الكويت ص 490.

[2] – بريمو براجا، تدويل الخدمات وتأثيره على الدول النامية، مجلة التمويل والتنمية، عدد مارس 1966 واشنطن/أمريكا. من نتائج العولمة في تدويل الخدمات ما يعرف بالخمس الثري، حيث أن قلة من السكان والدول تستأثر بأكثر من 85% من الناتج العلمي في المجالات الاقتصادية والثقافية في ضوء حضارةالتنميط التي تسعى العولمة لفرضها.

قيمة الرمزية ويشارك في تصدير إنتاجه الاقتصادي والثقافي ينضوي تحت طائلة أو هيمنة العولمة.

مفهوم العولمة

إن العولمة مصطلح مقاسي (STANDARD) يشمل كل مجالات الحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية السياسية، وإن وجدناه ينسحب أساسا على مضمون اقتصادي، وهي تعني لغة: الكلية الجغرافية والبشرية ومقوماتها المادية والروحية مما يجعلها تقابل في الألسن اللاتينية كلا من (Mondialisation) و(Globalisation).

وبقدر ما اختلف الدارسون في التسمية (عولمة،كونية، كوكبة، شمولية.) اختلفوا في دلالة المفهوم؛ فظهرت مواقفهم متباينة، بين مدافع ومعارض ومحاول للتوفيق بين هذا وذاك.

ولعل أحسن تعريف للعولمة ما يذكره عابد الجابري من أنها "تعميم الشيء وتوسيع دائرته ليشمل الكل، وجعله على مستوى التسخير العالمي، بحيث ينقل من المحدود المراقب إلى اللامحدود الذي ينأى عن المراقبة"[3]، ويقوم هذا التعريف على مبدأ تغيير الثوابت ويستند إلى عنصرين:

أ- **المحدود المراقب: وهو أساس الدولة الوطنية أو القومية أو الأمة ويشمل: الحدود الجغرافية، الثروات الاقتصادية،القوانين والأعراف، التقاليد الثقافية واللغة الرسمية، والسيادة السياسية وغيرها من مقومات البنية التحتية والفوقية للدولة.**

---

[3] - محمد عابد الجابري، في مفهوم العولمة، المستقبل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، العدد الثاني، ص... وانظر، جريدة الرأي، عدد 21 مارس 1999، وهران/ الجزائر.

ب- اللامحدود وغير المراقب: وهو العالم، وتمثله هنا القوة المهيمنة في شكل دولة أو مجموعة من الدول أحادية القطب، حيث يقوم بإلغاء الرقابة على المقومات السابقة وتوسيع دائرتها وتوجيهها استهلاكيا لتصبح مسيرة من طرف شركات معينة ومسخرة وفق أهداف مرسومة.

ت- ويرى محمود أمين العالم أن العولمة مفهوم مركب: سياسي اقتصادي ثقافي يصبح معها الاستتباع كليا والسيطرة عامة: اقتصاديا وتكنولوجيا وعسكريا وإعلاميا وإيديولوجيا ولغويا، وثقافيا وحضاريا[4].

ويذهب كل من عقله عرسان وسمير أمين وصادق جلال العظم وغيرهم إلى أن العولمة تعني هيمنة دول المركز وسيطرتها - في ظل نظام عالمي - على بقية الدول الأخرى في جميع المجالات الحيوية كوحدة سيبيرنية موجهة[5]، أو هي (رسملة العالم على مستوى العمق بعد أن كانت رسملته على مستوى سطح النمط ومظاهره[6].

كما يذهب بعض الدارسين إلى أنه مادام تكريس هذا النسق من التغيير في العصر الحديث مرتبطا بأمريكا وأمها إنجلترا وحفيدتهما إسرائيل بات هذا المصطلح يعني (الأمركة) ليصبح المفهوم السابق يعني تعميم الطابع الأمريكي في نموذج ما بعد الرأسمالية، وهو نوع من لاستعمار المقنن، حيث تسعى الخارجية الأمريكية الجديدة إلى البحث عن إجماع حول سياستها الاحتوائية بواسطة قوى الإدماج المتمثلة في

---

[4] -محمود أمين العالم: الثقافة والعولمة. النص الجديد ع8/1998 دار الخشرمي، المملكة العربية السعودية ص18.

[5] - انظر: عقله عرسان/ ثقافة العولمة، الأسبوع الأدبي، سوريا عدد 51998/5 ص1. وانظر: الجابري. المرجع السابق - وانظر: Finances et développement, Septembre 1998 U.S.A Washington. P 36

[6] - محمد عابد الجابري المرجع السابق، ص 11.

المؤسسات العالمية التي خضعت وظائفها للمراجعة وتكريس البعد العولمي بعد انتهاء الحرب الباردة[7].

أما علماء الغرب فيسعى أكثرهم إلى محاولة إثبات واقع التوجه العولمي كمسلمة فيشير الكاتب الامريكي فرانسيس فوكو ياما Fukuyama /f في كتابه (نهاية التاريخ) إلى أن السيرورة التاريخية لا بد صائرة إلى اللبرالية التي تعتبر بمثابة نهاية التطور الاديولوجي للإنسانية بعد انتصار الغرب على المعسكر الشرقي وتذويب الحدود وانتشار المعلومات؛ ولذلك يخرج من التاريخ أهم الحضارات، باستثناء الولايات المتحدة والكتلة الغربية[8]. كما يؤكد صامويل هانتينغتون/ huntington هذا التوجه باسم (الغرب ضد الباقي) وان ظل يعتقد بوجود مقاومة مستمرة من الكيان الحضارية الأخرى[9].

اللغة والهوية الثقافية

إن التمايز أمر طبيعي حتى في المجتمع الواحد، غير أن عنصر الانتماء الثقافي يظل بعدا حضاريا يعلن عن وجود الأمة واستمرارية مشروعها المستقبلي المتميز. وتشكل الهوية الثقافية في هذا المجال تلك الحصيلة المشتركة من الدين واللغة والمعرفة والعمل والفن والأدب والتراث والقيم والتقاليد والأخلاق والتاريخ والوجدان ومعايير العقل والسلوك وغيرها من المقومات التي تتمايز في ظلها الأمم والمجتمعات. وليست هذه العناصر ثابتة بل متحركة ومتطورة أبدا باعتبارها مشروعا مستقبليا

---

[7] – د. علي غربالعولمة واشكالية الخصوصية الثقافية، الباحث الاجتماعي، العدد 1999/2 معهد علم الاجتماع –قسنطينة، ص 35.

[8] – فتحي أبو العينين، الثقافة العلمية، ملاحظات حول آليات المهمنة في المجتمع المصري كلية الآداب جامعة القاهرة 1995، ص 332.

[9] – م. س. ص 334.

يواكب مستجدات العصر، وهي قابلة للتأثير والتأثر، وكما يوجد قدر كبير من الثقافة إنساني مشترك نتيجة التواصل والتفاعل بين ثقافات الأمم المختلفة، يوجد قدر خاص يحفظ هوية مجتمع من المجتمعات، وتمثل اللغة أخص خصائص الثقافة.

والمقصود بعولمة الثقافة هو جعلها تصب شطر أهداف النظام العالمي الجديد حيث نفرض نموذجا لغويا معينا، وآخر استهلاكيا يساعد على هيمنة الأقوياء وإضعاف طموح الأمم الأخرى ذات الحضارات العريقة، أو تلك التي تحمل بديلا فكريا وثقافيا، كما يحدث الآن لبعض دول العالم الثالث، العربية الإسلامية بخاصة.

ويبدو أن الحضارة الغربية قد خططت لهذا المنحى منذ أمد بعيد، ربما ظهرت بعض آثاره في الاقتصاد ولما تتضح معالمه في الثقافة. ومع ذلك، فإن العولمة في المجال الثقافي تسير بسرعة فائقة مستعملة وسائل تكنولوجية متطورة بما في ذلك بنوك المعلومات ووسائل الإعلام، الأقمار الصناعية ومراكز المعلوماتية عبر شبكات الأنترنيت، وبرامجها محررة غالبا بألسن محدودة ومقصودة.

ومن هذا المنطلق سيكون للعولمة تأثير خطير في عناصر تشكيل الهوية الثقافية للأمة وبخاصة وسيلة التواصل التي هي اللغة. إن تأثيرها في اللسان بات أمرا وقعا وسيبلغ التسابق على الصدارة بين اللغات الحية في الألفية الثالثة أشده، مما سيؤدي إلى تفوق على كثير من اللغات الضعيفة، التي لا تستطيع أن تواكب مستحدثات العصر وتفرض نفسها في التواصل والتعامل مع مستجدات العلوم والمعارف بوسائل تكنولجية متطورة.

وتبدأ عولة اللغة مع محايثة التعامل الخارجي في تواصل الجماهير المباشر

إذ تفرض الشركات والبنوك والمنظمات والمؤسسات العالمية والإعلامية لبعض الدول المتطورة تكنولوجيا، هيمنتها على دول أخرى بهدف استغلال مجالاتها الثقافية والاقتصادية والسياسية إلى أن تصبح حقا مشاعا تستثمره القوى العالمية في تحقيق غرضها. وأكثر ما تعتمد في هذا المنحى على المعرفة العلمية والتقنية التكنولوجية والاتصال المعلوماتي، وهي ظاهرة تخول للأقوياء دخول كيانات الأمم في شكل خدمات اقتصادية أو ثقافية أو علمية أو عسكرية، وسرعان ما يمتد تأثيرها إلى الجانب التواصلي فتعمل على فرض لغة أجنبية، باعتبارها لغة المعلوماتية – لتزاحم اللغة الرسمية، في شكل ازدواجية تسهل التواصل والخدمات العامة، إلى أن تتغلب عليها.

ولعل الحديث عن اللغة العربية والعولمة موضوع متشعب ليس في وسع باحث واحد أن يتناول كل قضايه، لذلك تقتصر مداخلتنا على تأثير العولمة في اللغة وكيفية مواجهتها في هذا المجال.

تأثير العولمة في المجال اللغوي:

من المقولات الإستشرافية في هذا التوجه، ما أشار إليه الكاتب صامويل هانتينغتون من أن العالم يتوجه نحو حرب حضارية تكون فيها القيم الثقافية والرمزية هي الحدود القتالية[10] ويقول السياسي الفرنسي بينو Pinot (وزير سابق في الحكومة الفرنسية): (لقد خسرت فرنسا امبراطورية استعمارية، و عليه أن تعوضها بأمبراطورية ثقافية)[11]، وهذا يعني أن المدخل الحقيقي للاستعمار الجديد

---

[10] – د. بوزيد بومدين، العربية متعبة بأهلها، جريدة الخبر / الجزائر 98/7/29، ص 21.

بأمبراطورية ثقافية)[11]، وهذا يعني أن المدخل الحقيقي للاستعمار الجديد هو الهيمنة اللغوية والثقافية.

وتعتبر اللغة أخص هذه المقومات الرمزية، ولذلك يسعى النظام العالمي الجديد منذ أمد في تكريس هيمنة لغات معينة ونشرها بشتى الطرائق والوسائل، ويروج لها باعتبارها لغات العلم والعمل، حتى بات يعتقد أن اللغات الانغلوسكسونية هي سر التقدم.

ومن الطروحات الساذجة التي ينبذها التاريخ أن يربط التخلف بطبيعة اللغة وهذا أصبح أطروحة بالية لأن اللغة وسيلة وليست غاية، والتحكم في التكنولوجية والمعلوماتية وإنتاجها لا يقومان على لغة دون أخرى، بل إن اللغة الأم هي اللبة الأساسية لأي إبداع، ولا توجد أمة من الأمم أسست حضارة بغير لغتها الرسمية.

ومن المؤشرات الدالة على بداية الصراع اللغوي في السنوات الأخيرة:

1- التنافس الرهيب في مجال المعلوماتية وشبكات الأنترنيت ومحطات الإرسال التلفزيوني بلغات معينة ومحدودة، مما يحاصر كثيرا بعض اللغات القومية.

2- العمل على إنتاج ثقافة استهلاكية تخدم النظام العالمي الجديد، وتوجيه المقومات الأساسية لدولة ما والتقليص من خصوصيتها وبخاصة في الدول غير القادرة على الإنتاج الثقافي المتميز بلغتها الرسمية مما يسهل استتباعها حضاريا إلى الغرب.

3- محاولة إضعاف اقتصاديات بعض الأمم من أجل تقزيم حضارتها وإضعاف لغاتها مع تشجيع الأقليات اللغوية ودفعها إلى خلق صراعات داخلية كما هو الشأن في الاتحاد السوفياتي (سابقا) والعراق والجزائر وغيرها.

---

[11]- د. علي الشابي. اللغة العربية، المجلة العربية للثقافة. عدد 19/1990 المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم. تونس. ص 1.

4- التأثير في ذاكرة الأمة، بالسعي إلى طمس التراث الثقافي الأصيل للأمة ومحاولة تشويهه[12] وذلك وفقا لنظرية الحتمية اللغوية التي قال بها الفيلسوف الألماني ولها لم همبولت W.HUMBOLDT (1767 – 1835) ثم آثارها اللغوي الأمريكي أدوار سابير E.SAPIR (سنة 1929)، حيث ترى النظرية أن الناس إنما هم تبع في تفكيرهم وإحساسهم ومشاعرهم ونظرتهم إلى الكون، للعادات التي اكتسبوها من خلال ممارستهم للغة قومهم"[13].

5- استغلال صدمة الحداثة من أجل تحقيق العولمة وتصدير ثقافات معينة للغات معروفة بوسائل متطورة إلى شعوب لا تقوى على مواجهتها مما يؤدي في النهاية إلى الاستسلام والتقاعس. يقول العالم البلجيكي مارك رشال Marc Richelle "إن في الاصطدام الثقافي سقما حقيقيا ينتاب الثقافة المصدومة"[14].

ويتضح من هذ أن المعركة في المجال اللغوي نوع من الغزو أو الاستعمار الطوعي، يمارس على كل أمة لإضعاف مقوماتها الحضارية، وفي مجال اللغة يكون اللسان المبين المواكب لتكنولوجيا العصر هو الذي يفرض نفسه على الآخرين ويدخل مدارسهم ويسري إليهم عبر شبكات الأنترنيت، ويحتم عليهم التحدث به في المحافل الدولية، أو بمعنى آخر فإن اللسان القوي هو المتحدث واللسان الضعيف هو المستمع شيئان بين الموقفين، ويبدو من هذه الناحية أن للعولمة جانبا إيجابيا من حيث إنها "قادرة على فرض وإنتاج ثقافة ذات طابع كوني بمشاركة مفتوحة من

---

[12] - تأثيرات العولمة في ذاكرة الأمة، ندوة القاهرة، جريدة الخبر/ الجزائر 98/8/4، ص 21.

[13] - الشاذلي الفيتوري: الأسس النفسية والاجتماعية للغة العربية والوعي القومي (بحوث ومناقشات الندوة الفكرية التي نظمها مركز دراسات الوحدة العربية)، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1984. ص159.

[14] - الشاذلي الفيتوري، المرجع السابق، ص 159.

كافة الأمم"[15]، غير أن هذه المشاركة غالبا ما تكون جائرة، ويكون فيها التأثير الأكبر للدول المتقدمة التي تمتلك وسائل لغوية واتصالية قوية ومتطورة.

من هذا المنفذ يدخل اللسان المهيمن ليبدأ في محاصرة اللسان الرسمي إذابته شيئا فشيئا إلى أن يميعه ويحل بدله، فالعولمة اللغوية بالقياس إلى العولمة الاقتصادية لا يظهر تأثيرها فجأة، إلا أنها أخطر فتكا بهوية الشعوب والأمم، لأن القيم الرمزية خير من يمثل البقاء الحضاري للأمة.

وتؤكد الشواهد التاريخية على أن فناء الأمم والحضارات نادرا ما يكون بسبب الإبادة الجسدية عسكريا أو بسبب الانتماء السياسي أو اختلاف الأجناس، وإنما يكون بسبب اختفاء لغاتهم.

ومن الثابت أن القوة المادية تكون نتيجة القوة الرمزية. فالقوى الاقتصادية والعسكرية والسياسية كثيرا ما تكون عرضة للانهيار إن لم تمتلك كيانا ثقافيا وقيما حضارية تصونها، وأكثر ما تتجلى هذه القيم في اللسان المتكلم، ولذلك تحرص كل أمة على تطويره وصيانته ونشره بشتى الوسائل والطرائق.

ولا شك في أن اللسان العربي هو أبرز ما يميز المجتمعات العربية اليوم،ويؤكد وجودهم في المجتمع الدولي، نظرا لما يتميز به اللسان العربي من قدرة تعبيرية وطاقة مفرداتية مكنته من استيعاب تراث العالم ومغالبة الاستعمار الثقافي ومواجهة التحديات الحضارية وما ابتدعته المدنية المعاصرة.

---

[15] - رؤوف عباس، ندوة القاهرة، جريدة الخبر/ الجزائر، م. س. ص 21.

مظاهر عولمة اللغات:

إن عولمة اللغات ليست جديدة، بل ظهرت جذورها مع موجات الاستعمار الاستيطاني في العالم الثالث عامة وفي العالم العربي بخاصة. وقد برزت تلك الهجمات في المظاهر لتالية:

- محاولة إلغاء اللسان العربي واستبداله باللسان الانجليزي، في المشرق العربي وباللسان الفرنسي في المغرب العربي، ومن أمثلة ذلك القرار الفرنسي لسنة 1949 ونص ترجمته: "لا ننسى أن لغتنا (يعني الفرنسية) هي اللغة الحاكمة فإن قضاءنا المدني والجزائي يصدر أحكامه على العرب الذين يقفون في ساحته بهذه اللغة، وبهذه اللغة يجب أن تصدر بأعظم ما يمكن من السرعة جميع البلاغات الرسمية، وبها يجب أن تكتب جميع العقود، وليس لنا أن نتنازل عن حقوق لغتنا، فإن أهم الأمور التي يجب أن يعتنى بها قبل كل شيء، هو السعي وراء جعل اللغة الفرنسية دارجة وعامة بين الجزائريين الذين عقدنا العزم على استمالتهم إلينا وإدماجهم فينا وجعلهم فرنسيين"[16]. وقد طبق هذا القرار في كل الدول العربية التي كانت مستعمرة فرنسيا أو إنجليزيا أو إسبانيا.

- محاولة استبدال اللغة العربية الفصحى باللهجات المحلية، أو كتابتها بالحروف اللاتينية، كما حدث في تركيا والفليبين مع تشجيع أكثر من لهجة في القطر الواحد[17]. ومن أمثلة ذلك إنشاء الأكاديمية البربرية في باريس سنة 1962 بعد استقلال الجزائر من طرف الحكومة الفرنسية لخلق التيار المعارض وقد جاء في وثيقة صادرة عن هذه الأكاديمية بتاريخ 1973/01/25 ما ترجمته: (إن

---

[16] - ساطع الحصري، اللغة العربية والقومية، بيروت 1976، دار القدس، ص 44.

[17] - كمال خربك، حركة الحداثة للشعر العربي الـ - ر، بيروت، دار الشرق، 1982، ص 86، وما بعدها.

تاريخ شمال إفريقيا كما يدرس الآن كله تزييف وتحريف ويجب على البربر أن يتحدوا ضد جريمة نكراء اسمها العروبة)[18]، وقد أوجدت هذه الدعوة عددا من الأنصار من أمثال سلامة موسى في مصر وسعيد عقل في لبنان ومولود معمري في الجزائر وغيرهم. ومن الثابت أن موقف هؤلاء لا ينبعث من اعتقادهم بعجز اللغة العربية بقدر ما هو نتيجة إعجاب يصل إلى حد الاستسلام للحضارة الغربية[19].

- السعي إلى التقليل من أهمية اللسان العربي باعتباره لغة ثانية في الأقطار المستعمرة أنذك، كما حدث في مصر على لسان المستشرق(وليم ولكوكس 1852 - 1932) الذي ذهب إلى القول بأن المصري يقرأ بالعربية ثم يترجم ما قرأه إلى العامية، وأن عليه في هذه الحالة أن يرسم العامية بالحروف اللاتينية أو يتبنى اللسان الإنجليزي[20]، وذلك بهدف تشتيته بين اللهجات الجهوية.

- ومن المفارقات القاصرة في هذا الصدد الذهاب إلى تحميل العربية تبعات التخلف الحاصل في المجتمعات العربية في المجالات العلمية والتكنولوجية، ومن المسلم به أن اللغة أداة للتعبير ووسيلة من وسائل التفكير وليست هي التفكير نفسه.

وانطلاقا من هذه المظاهر يبدو أن الهدف من هذه الدعوات هو العمل على تشويه اللسان العربي الفصيح ومحاولة تمزيقه وتفريقه بين اللهجات المتباعدة مما يؤدي إلى وجود ركام من اللهجات العربية الهزيلة سواء من حيث الرصيد المفرداتي أم من حيث النظام اللساني، وتكون نتيجة ذلك هجر هذه اللهجات وتبني اللسان الأجنبي لغة رسمية كما حدث في بعض المستعمرات.

---

[18] - الدكتور أحمد بن نعمان، التعريب بين المبدأ والتطبيق، الشركة الوطنية للنشر، الجزائر 1981. ص 390.

[19] - صالح أحمد العلي، الثقافة القومية - اللغة العربية والوعي القومي. المرجع السابق، ص 173.

[20] - عبد المجيد زرافط، اللغة العربية الفصحى والدعوة إلى اصطناع العامية لغة بديلة /مجلة المنطق، عدد 1971/79 بيروت ص67.

وأزعم أن الألفية الثالثة ستكون ميقاتا لجعل العالم يقبل على إقصاء كثير من اللغات غير القادرة على مواكبة التحولات العلمية. فإذا كانت اللغات المستعملة اليوم في المدى المتوسط زهاء خمس وعشرين لغة مكتوبة ومتكلمة منها ست لغات في المقدمة (العربية، الإنجليزية، الفرنسية، الألمانية — الإسبانية، الروسية). فإن هذا العدد سيقلص إلى زهاء 15 خمس عشرة لغة، أما اللهجات المحلية والإقليمية والجهوية فسيزول أكثرها في خضم عولمة القيم الرمزية للأمم.

مواجهة العولمة لغويا:

لقد باتت العربية تشكل قطبا حضاريا يحسب له ألف حساب في مقابل لغات منافسة، وبخاصة أنها حققت في سالف عهدها ما لم تحققه أية لغة، وذلك بفضل أصالتها واتساعها وقدرتها على التوليد والنمو وسهولة مواكبة مستجدات كل عصر.

وتأتي العربية في مقدمة اللغات المستهدفة لعدة أسباب منها:

1-إنها لغة أثيلة،فما أضيف إلى العربية من مفردات دخيلة ومعربة في العصر الحديث لا يتجاوز (5%). % علما بأن جل ما أضيف إلى المعجم العربي عبارة عن مصطلحات مادية لا تتعلق بالمظاهر الفكرية والعاطفية والاجتماعية[21].مما يجعلها قادرة على مغالبة العولمة والحفاظ على هويتها الحضارية، ومواكبة المستجدات.

2- إنها لغة متجددة مع العصر وقادرة على العطاء والنمو والتوالد بما تملكه من ثراء في آليات التوليد الصوري والدلالي. فهي تتوفر على مخبر متطور للتوليد.

3- إنها لغة حفظت أكثر من نصف تراث الكرة الأرضية من الاندثار والضياع وفتحت للإنسانية آفاقا رحبة في العلم والمعرفة في عصر خيم فيه الظلام على أكثر شعوب المعمورة.

---

[21]- صالح أحمد العلي، المرجع السابق،ص 167.

4- إنها لغة القرآن الكريم والدين الإسلامي الذي يدين به أكثر من مليار مسلم، كما أنها حاملة لأعظم رسالة تشريعية شاملة لتنظيم الكون وسلامته عبر الزمن.

5-إنها لغة متميزة بخصائصها الأسلوبية والبيانية والثقافية والعلمية والفنية.

وهذه الأسباب وغيرها، بقدر ما تجعل العربية مستهدفة، تثير الغيرة في أهلها للحفاظ على سلامتها وتطويرها وجعلها قادرة على الصمود أمام تحديات العولمة.

ولا غرابة أن نجد اليوم الأمم المتطورة دائمة المتابعة للغاتها، تسعى إلى تنقيح أساليبها وإثراء معجمها بالألفاظ الحضارية والمصطلحات العلمية والعمل على نشرها بين الشعوب بشتى الوسائل بما في ذلك المنح الدراسية والرحلات العلمية المجانية والندوات والملتقيات الدورية والتبرع بالكتب والأشرطة التلفزيونية والأسطوانات الحاسوبية والأجهزة السمعية البصرية وشبكات الاتصال.

جاء على لسان المجموعة الأوروبية (إذا أردنا أن نتوصل إلى توافقية حقيقية أوربية مبنية؛ ليس على سيطرة لغة واحدة على كل اللغات والثقافات فحسب ولكن على توازن عادل بين مختلف اللغات والثقافات، علينا أن نصلح التعليم العالي إصلاحا جوهريا في كل بلد من بلداننا)[22]؛ وهي غيرة تنبثق من الإيمان العميق بحضارية اللسان في الحفاظ على كيان المجتمع، يقول موريس أليس (Maurice Allais) (إن لغة أي شعب من الشعوب جزء من روحه وكيانه وأن أية ازدواجية

22- Mahdi Elmandjra : fusion of science and culture key to the 21 si century in futures

تامة قد تنال من ازدهاره)، وفي الحقيقة، إننا نحن الأوروبيين في حاجة إلى تعددية اللغات والإلمام بثلاث لغات على الأقل)[23].

وليست الغيرة على سلامة اللغة بدعة في حياة العرب والمسلمين فقد سمع الرسول صلى الله عليه وسلم أحدهم يلحن في كلامه فأعتبر اللحن ضلالا، وقال: {أرشدوا أخاكم فقد ضل.}[24] كما شدد الخلفاء بعده على صيانة اللسان وتطويره.

ولا يخفى ما لهذا الربط بين اللحن في اللغة والضلال الاجتماعي، جاء في الشواهد التاريخية القديمة أن كونفوشيوس (551 –479 ق.م) فيلسوف الصين سئل عما يصنع أول الأمر إذا كلف بأمر البلاد، فقال: "إصلاح اللغة بالتأكيد فقيل: لماذا؟ فقال: إذا لم تكن اللغة سليمة فما يقال ليس هو المقصود، فما يستحق الإنجاز لن ينجز، وإذا لم ينجز ما يستحق الإنجاز، فإن الأخلاق والفنون يحل بهما الانحطاط وإذا ما انحطت الأخلاق والفنون فالعدالة سوف تنحرف، وإذا ما انحرفت العدالة فسوف يقف الناس مضطربين لا حول لهم."[25]

ويذهب أكثر علماء اللغة المعاصرين مثل عبد السلام المسدي وحسان تمام وعبد الملك مرتاض وجوليا كريستيفا ونوم تشومسكي وغيرهم، إلى أن اللغة ترتبط بالبني الاجتماعية بشكل وثيق ومؤثر[26]، وتسير في شكل متراجحة طرفها الأول هو مستوى ثراء اللغة وطرفها الثاني مدى الرقي الحضاري للأمة.

23- Maurice Allais / notre langue face à l'europe II un traité pour une communauté culturelle/ journal le monde نقلا عن اللسان العربي العدد 37/ 1993 ص 180.

24- ابن جني، الخصائص، دا. الكتاب العربي، بيروت، 1952، ج 3/ ص 246.

25- د. زكي الحابر. اللغة العربية والإعلام الجماهيري. المجلة العربية للثقافة. عدد 19/1990م المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم. تونس، 87.

26- د/ زكي الحابر. اللغة العربية والإعلام الجماهيري، المجلة العربية للثقافة / العدد 19/1990 تونس ص 87.

وأمام هذه النقلة الحضارية التي يشهدها العالم، فليسمح لنا الخالدون من علماء المجامع اللغوية والمؤسسات العلمية في الوطن العربي وكذا أصحاب القرار مع تقديرنا الكامل لجهودهم الجبارة أن نعتب عليهم تمطلهم وتقصيرهم في مواكبة مستجدات العصر بما يتطلبه من معاجم لغوية ومختصة وموسوعات علمية عادية ومرحلية وأشرطة علمية وإعلام موجه عبر شبكات الانترنيت والأقمار الصناعية لترقية اللسان العربي المعاصر.

جاء على لسان أحد خبراء اليونسكو كما يذكر توفيق حوري: (أيها العرب إن لغتكم ستصبح من اللغات المنقرضة خلال القرن الواحد والعشرين، أن لم تتداركوا وضعكم تكنولوجيا وتحافظوا على بقاء اللغة العربية لغة اتصال بينكم)[27].

صحيح قد بذلت المجامع اللغوية والمؤسسات العلمية العربية جهودا مضنية وبليت البلاء الحسن في سبيل ترقية اللسان العربي، غير أن ذلك يظل غير كاف في عصر تتجدد فيه لثقافة بسرعة الضوء، عصر يوجه فيه اللسان العربي تحديات كبرى واستراتيجيات مدروسة.

إن تحديات العولمة في المجال اللغوي لا يمكن مواجهتها إلا بانبثاق (عوربة) قادرة على تحصين العربية في الممارسة اليومية ضمن جملة من الشروط يأتي في مقدمتها:

1- إصلاح المنظومة التربوية والتعليم العالي بخاصة إصلاحا جوهريا يمس الجوانب البيداغوجية واللغوية والمعارف العلمية عامة في علاقتها بالتنمية الوطنية ومستجدات العصر، وذلك عن طريق بحوث ميدانية معمقة نابعة من المختصين

---

[27]- توفيق حوري، مجلة العالم، عدد 1999/667، بيروت، ص 32.

الممارسين للعمل البيداغوجي، لا عن طريق استيراد المخططات الأجنبية التي أثبتت فشلها بشهادة اليونسكو لعدم مراعاتها الفروق الحضارية.

2- بعث الإرادة الحضارية لمتكلمي لغة الضاد باعتبار اللسان منطلقا لتشكيل شخصانية الفرد والمجتمع من حيث الوجود والتمايز والبقاء، وجعله عضوا منتجا وشريكا في صناعة الدفع الحضاري لا تابعا أو مستهلكا. وإيقاظ مشاعر الهوية الوطنية المعززة بالقيم الحضارية الثابتة، لتقف سدا صفيقا أمام الاختراق اللغوي والثقافي، وتشارك في صياغة مستقبل الوطن العربي، "فالتفكير على نحو كوني والعمل على نحو محلي أمر حسن، إلا أن الأحسن منه هو أن يكون العمل مشتركا عبر الحدود الوطنية"[28]، فلا جرم أن أمة لا تحافظ على رصيدها الحضاري وتمايزها اللغوي، لهي أمة فاشلة، وليست أهلا للبقاء.

3- إن إثراء الرصيد المفرداتي بالمستجدات من الألفاظ الحضارية والمصطلحات العلمية التي تدخل في هندسة الخطاب التقني والتكنولوجي المعاصر، في ظل نظرية الحقول الدلالية لسد الثغرات المفرداتية. وإصدار قاعدة ضوابط وآليات توليد المصطلحات العلمية والألفاظ الحضارية تسهيلا للمهتمين من كتاب مترجمين ومعاجمين؛ وذلك وفقا لسلم الصيغ الصرفية التي يزخر بها اللسان العربي كالإتفاق مثلا على أن تكون الصيغ (مفعل — مفعال — فاعلة — أفعولة - فاعول.) للأدوات والأجهزة كل حسب نوعيته ووظيفته (مصعد — مقراض — حافلة — أرجوحة — ناسوخ..)، ومن ذلك تحديد استعمال المصادر الصناعية في حالة الجمع للدلالة على العلم والمذهب كما في (معلوماتية — تعليماتية..)، وكذا إسم والوحدة العددية

---

[28] - هانس بيتر، م، س، ص 399.

والوحدة النوعية (فعلة بالكسر — فَعلة) مثلا صيتة وصرفة وصوتة في مقابل (Phone – morphene – phonème)، بدل الصوتم والصرفم والوحدة الصوتية العددية، ونحو ذلك.

4- توفير المعجم الوظيفي العادي والحاسوبي بأنواعه المختلفة (لغوي – مختص – موسوعي)، أحادي وثنائي ومتعدد الألسن.

5-إغناء المكتبة العربية بالكتب العلمية تأليفا وترجمة، استعدادا لاستكمال تعريب التعليم العالي بجميع شعبه.

6- إنشاء مخبر لتصنيع البرامج الحاسوبية وبرامج شبكات الانترنيت في جميع المعارف الإنسانية بلسان عربي مبين، وتطوير بدائل المنافسة اللغوية في التواصل العلمي والثقافي، مع تأسيس شبكات عربية موجهة عبر الأقمار الصناعية لبنوك المعلومات والحصص التلفزيونية العلمية والثقافية الهادفة ابتغاء منع الاختراق اللغوي والثقافي، وإعطاء بديل مناسب، وثري للباحث العربي.

7- إصدار نشرية سنوية أو دورية لمواليد المصطلحات العلمية موحدة ومنظمة تتولى إصدارها المجامع اللغوية العربية والمنظمة العربية للتربية و الثقافة والعلوم بالتنسيق مع الجامعات والمؤسسات العلمية والتعليمية والصناعية في الوطن العربي.

8- التعامل بشجاعة حضارية وثقة تامة مع الألسن الأخرى، ومنح اللسان العربي حقه لإظهار عبقريته في احتواء المجالات التكنولوجية والطبية والمعلوماتية وشبكات الانترنيت.

ونحن نعتقد في النهاية أن اللسان العربي مكتمل وقادر على المواجهة ولا يحتاج سوى إلى الإرادة الحضارية والفعل الآني، و(من توفرت فيه هذه الإرادة وعمل على ترجمتها فهو دون شك، يكون قد أمسك بناصية الحل، وحاز على مفتاح الباب

السري لعملية التقدم.[29] والدخول إلى الألفية الثالثة بلسان عربي مبين قادر على المواجهة وإثراء الثقافة العالمية. وأزعم أن ليس هناك إستراتيجية لمواجهة العولمة لغويا أعظم من الاعتزاز باللسان العربي والاعتقاد الراسخ بأنه لغة علم وعمل والتصدي للمؤامرات التي تصاغ لتوظف نفسيا في إطار عملية الإحباط والهزيمة الداخلية وفق خطة الاستيلاب والمصادرة لإرادة الأمة وشخصيتها[30]. وخير سبيل لجعل العربية قادرة على مسايرة اللغات الأخرى في الألفية الثالثة هي أن تعاد الثقة بقدرتها على الوفاء بمتطلبات العصر وذلك باستخدامها في جميع المجالات التربوية والثقافية والعلمية ووسائل الاتصال الجماهيري وتخصيص نسبة من الميزانية العربية لتشجيع المجامع اللغوية على مواكبة العصر تأليفا وترجمة، مع المشاركة الإيجابية في ظاهرة العولمة التي يفرضها العصر وذلك بإغناء المكتبة العربية ومؤسسات الإعلام بإدخال برامج متطورة لجميع أنواع معارف العصر عبر شبكات الإنترنت وربط اللسان العربي بالتعامل الاقتصادي والسياسي والعلمي في المعاملات الرسمية محليا ودوليا وبذلك نحصن اللسان العربي ونمنع أن تضاف تبعية لغوية إلى التبعية الاقتصادية الراهنة.

---

[29]- الدكتور حسن حابر، اللغة والتحول الحضاري. مجلة المعلق، عدد 79/ 1991، بيروت، ص 3.

[30]- الدكتور حسن حابر، المرجع السابق. ص 3.

الأسماء والألقاب في الجزائر

دعوة إلى دراستها دراسة لغوية دلالية وحضارية

الدكتور عبد الله بوخلخال

1- التسمية وأثرها في الحياة الاجتماعية:

إن الاسم هو ذلك اللفظ الذي يطلق على شخص، أو شيء، ليستدل بـه عليه لتمييزه عمن سواه أو عما سواه من الكائنات، وهـو يشـكل البطاقـة الـتي يتقـدم بـها الفرد للتعريف بنفسه وسط المجتمع في دائرة من العلاقات تتوسع باستمرار.

والاسم عند النحاة واللغويين: ما دل على معنى في نفسه غير مقترن بزمن.

وعرفه علماء الاجتماع والفلاسفة: بأنه لفظ يوضع لذات بقصـد تمييزهـا عمـن سـواها عند ذكره، من غير حاجة إلى الإشارة إليه.

وقال عمر بن الخطاب (رض): " ثلاث يثبتن لـك الـود في صـدر أخيـك، أن تبدأه بالسلام، وتوسع له في المجلس، وتدعوه بأحب الأسماء إليه"[1].

وقال الرسول محمد (ص): " إنكم تدعون يوم القيامة بأسمائكم، وأسماء آبائكم فأحسنوا أسماءكم" وقال تعالى (ولا تلمزوا أنفسـكم ولا تنـابزوا بالألقـاب بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان ومن لم يتب فأولائك هم الظالمون) (الحجرات/11).

وقال (ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها) (الأعراف/180).

2- عناية الإسلام بالألقاب:

إن التسمية ونظامها من الموضوعات التي أولاها الإسلام عناية خاصة. فالقرآن الكريم نهى المسلمين عن التنابز بالألقاب. وكتب الحديث الشريف تروي عـن النـبي (ص) في هذا الصدد مجموعة من الأحاديث. من مثـل قولـه: "سمـوا بأسمـاء الأنبيـاء وأحب الأسماء إلى الله، عبد الله وعبد الرحمن، وأصدقـها حـارث وهمـام، وأقبحـها

---

[1] - (مسند الإمام أحمد ج3 ص 193).

حرب ومرة" وقال أيضا: "خير الأسماء ما عبد وحمد" وغيرها من الأحاديث الصحيحة.

وقد عني علماء الإسلام بالأعلام عناية فائقة، فصنفوا كتبا كثيرة سجلوا فيها أسماء الصحابة والتابعين وأصحاب القراءات والمحدثين والشعراء والعلماء... إلخ.

كما كان للغويين وأصحاب المعاجم اهتمام كبير بالأعلام لأنها جزء من اللغة فعمدوا إلى تفسيرها والإبانة عن معانيها، وقد كان الدافع الذي الموضوع هو ما أثبته النووي (ت 676 هـ) في مقدمة كتابه "تهذيب الأسماء واللغات" من أن في معرفة أسماء الرجال وأحوالهم وأقوالهم ومراتبهم فوائد كثيرة منها معرفة مناقبهم وأحوالهم فيتأدب بآدابهم ونقتبس المحاسن من آثارهم، ومنها مراتبهم وأعصارهم، فينزلون منازلهم، ولا يقصر بالمعالي في الجلالة عن درجته، ولا يرفع غيره عن مرتبته.

3- نظام التسمية عند العرب بين الجاهلية والإسلام:

وقد كان من سنن العرب في الجاهلية في تسمية القبائل والأبناء، أن يختاروا لهم أشنع الألفاظ، وأبشع المعاني مثل: كلب وذئب ووحشي وحنظلة ومرة ونحو ذلك ولما جاء الإسلام أستنكر هذه الأسماء والألقاب، ورفض هذا المنهج في التسمية وعمل على تغيير نظام التسمية وخريطة الأسماء في كثير من معانيها، ودعا النبي (ص) صراحة إلى وجوب التسمي بالأسماء الحسنة اللفظ والمعنى، والبعض عن الأسماء القبيحة غير المستساغة لفظا ومعنى، فقال: "إنكم تدعون يوم القيامة بأسمائكم وأسماء آبائكم فاحسنوا أسماءكم"، وقد غير النبي (ص) بالفعل أسماء كثير من الصحابة الذين كانت تدل أسماؤهم على معاني لا يقبلها لمجتمع الإسلامي الجديد وتسميتهم بأسماء جديدة تدل على قيمة من القيم الإنسانية التي زكاها الإسلام.

فقد كان يعمد النبي (ص) إلى أسماء أصحابه القبيحة أو الدالة على القسوة والغلظة والتوحش، التي ورثوها عن الجاهلية، فيغيرها إلى أسماء مضادة لها في كثير من الأحيان في الحسن والسماحة والليونة، والأمثلة على ذلك كثيرة.

فقد غير اسم "حزن" (الأرض الصلبة الخشنة الوعرة) إلى "سهل" فعل ذلك مع "سهل بن سعد الأنصاري"، وغير اسم "العاص"، إلى ضده "المطيع"، فعل ذلك مع "ومطيع بن الأسود العدوى ومطيع بن عامر الكلابي"[2]، وكذلك فعل مع من كان اسمها من النساء "عاصية" فغيره إلى "مطيعة" أو"جميلة" وغير ذلك.

وبذلك يكون النبي (ص) قد أدخل أسماء عربية جديدة في معجم الأعلام العربية ونظاما جديدا للتسمية في الإسلام مثل: الحسن والحسين وبشير ومطيع وعفيف والمنبعث وغير ذلك من الأسماء التي حث عليها الدين الجديد، كما أبقى النبي (ص) على بعض الأسماء الجاهلية التي تحث على قيمة من القيم الإنسانية التي كانت في الجاهلية والتي زكاه الإسلام نحو: الحارث وهمام وغيرها.

كما عرف العرب في ظل الإسلام طائفة من الأسماء الأعجمية التي لم تكن شائعة في الجاهلية، سموا أنفسهم بها لأنها غير منافية للقيم الجديدة.

وهذه الأعلام غير العربية هي أسماء النبيين والمرسلين (ص) خاصة الذين وردت قصصهم في القرآن الكريم وقد حث النبي (ص) أمته إلى التسمي بأسماء الأنبياء والرسل (ص) قال: "تسموا بأسماء الأنبياء"[3].

---

[2] - (تهذيب الأسماء واللغات ج1 ص10).

[3] - مسند الإمام أحمد، ج4 ص 345.

والنبي(ص) حين يدعو أصحابه وأمته إلى ذلك الفعل إنما يهدف أن تظل أسماء الأنبياء والرسل والعلماء والأبطال الخالدين حية بقيمها النبيلة في نفوس المسلمين وهذا بدوره يذكر الناس دوما بأوصافهم وأخلاقهم وتحياتهم من أجل صالح البشرية وسعادتها في الدنيا والآخرة.

وإذا كان نظام التسمية ومنهجه في الإسلام ينبني على اختيار الأسماء، وفقا للقيم الإنسانية التي تحملها في ألفاظها فإن العرب المسلمين كانوا يفضلون أيضا الأسماء التي تتميز بحلاوة جرسها وسهولة النطق بها، حتى تستسيغها الأذن ولا يتعثر بها اللسان وهو ما تميل إليه اللغة العربية بصفة عامة في وضع الألفاظ للمسميات.

كما رفض الإسلام الأسماء المركبة التي تتصدرها كلمة (عبد) مضافة إلى أحد آلهة العرب أو ساداتهم أو كبرائهم، لأن في ذلك امتهانا للإنسان الذي كرمه الله تعالى والعبودية في الإسلام لا تكون إلا للخالق وهو الله سبحانه وتعالى القائل (ولقد كرمنا بني آدم) (الإسراء/70) وغير النبي هذه الأسماء بإضافة لفظ "عبد" إلى أسماء الله الحسنى الواردة في القرآن الكريم منها: عبد الله، عبد الرحمن بن عوف، الذي كان اسمه في الجاهلية "عبد عمرو" وكان اسم أبي هريرة "عبد شمس" فسماه النبي (ص) عبد الرحمن وهذا.

يتضح مما سبق ذكره: أن للإسلام فلسفة واضحة في اختيار الأسماء، فالإسلام يتطلب في الاسم أن يكون مما يبعث على الارتياح وطمأنينة النفس، ويحث على الفضيلة ومكارم الأخلاق، ويدعو إلى القيم التي يدعو إليها الإسلام، ولهذا كان النبي (ص) يعمد إلى أسماء الجاهلية التي تخالف هذه المعاني فيغيرها.

وبذلك تغيرت خريطة أسماء الأعلام العربيـة في ظـل الإسـلام. فصـار للعـرب المسلمين معجمهم العربي الإسـلامي في تسـمية أبنائـهم، كمـا كـان للجـاهلين أسمـاء أعلامهم في الجاهلية وكان وراء هذا التغيير اختلاف واضح في المفاهيم والقيم والمبـادئ التي غرسها الإسلام في نفوس أبنائـه إلى يومنـا هـذا دون الشـعور بذلـك عنـد أغلـب الناس عندنا حاليا وهذا ما كان بالفعل في نظام التسمية في منطقة قسنطينة قبـل بـدأ عملية التسجيل الرسمي للألقاب في نهاية القرن (19م).

حيث كان نظام التسمية في سجلات المحاكم بقسنطينة عنـد الـزواج والطـلاق والعقود المختلفة يتبع النظام نفسه السائد في العالم العربي، فكـانت العنـاصر المكونـة للاسم بمعناه الواسع، من الاسم الشخصي ثم اسم الأب فاسم الجـد أو النسـبة، وفي حالات أخرى قد يضاف إليه لقب تكريـم أو تفضيـل علمـي أو وظيفـي أو مـهني أو نسبة إلى قبيلة أو مدينة نحو:

1) محمد/بن أحمد / الباري / الكواش.

2) ابراهيم / بن أحمد / الساحلي / الدباغ.

3) علي / بن جدة / العنابي / الرقاق.

4- نظام التسمية في العهد الاستعماري أواخر القرن 19

إن الاستعمار الفرنسي كان يدرك جيدا أهمية اللغـة باعتبارهـا وعـي الإنسـان بكينونته الوجودية وبصيرورته التاريخية والحضارية، وبهويتـه الذاتيـة والاجتماعيـة والوطنية.

فالاستعمار الفرنسي لم يكتف بعد احتلالـه الجزائـر سـنة 1830م بالسـيطرة السياسية والعسكرية ونـهب الـثروات الوطنيـة مـا فـوق الأرض ومـا في باطنـها. بـل امتدت يده وبكل شراسة وفق مخطط دقيق إلى الثقافة باعتبارهـا ذلـك المركـب الـذي

يشتمل على جميع المقومات الحضارية واللغوية والدينية التي يتميز بها الشعب الجزائري من أجدل محوها نهائيا من ذاكرة الأجيال اللاحقة.

وتوجهت حملته هذه بإصدار تنظيمات جديدة سنة 1882م تمثلت في فرنسية الإدارة نهائيا، وإصدار قانون التلقيب الصادر في 23 مارس 1882م الذي يلزم الجزائريين اتخاذ ألقاب أهلية خاصة بهم غير التي كانوا يحملونها لعلاقتها بقيم ومقومات وألقاب وأسماء كانت حجر الأساس في مقاومة الشعب الجزائري للهجمة الاستعمارية الفرنسية بأشكالها المختلفة البائنة منها والخفية.

ومنذ ذلك التاريخ أصبحت كل أسرة بموجب قانون التلقيب تحمل لقبا ملزما لها بصفة رسمية، ابتداء من يوم التسجيل بالبلدية، ويتضمن هذا القانون الألقاب المقترحة أو المفروضة على الأسرة الجزائرية.

وهناك من الأسر من احتفظت بلقبها السابق ومنها من تركت لها الحرية في اقتراح لقب جديد ومنها من فرضت عليها ألقاب غير مقبولة، والذي يخالف ذلك يعاقب عقابا شديدا.

تقول الدكتواره فاطمة الزهراء قشي في بحث تقدمت به لنيل درجة دكتوراه الدولة من جامعة تونس الأولى سنة 1998 بعنوان: "قسنطينة المدينة والمجتمع في النصف الأول من أواخر القرن الثامن عشر إلى منتصف القرن التاسع عشر الميلادي".

خصصت فيه فصلا (بستين صفحة) لدراسة التركيبة السكانية لقسنطينة بعنوان (الأسماء والألقاب هوية وانتماء) تقول "من الأخطاء الشائعة في الجزائر الاعتقاد أن السلطات الاستعمارية الفرنسية هي التي منحت الألقاب العائلية للجزائريين الذين كان جلهم يفتقد إلى الأسماء العائلية، حسب زعم التقرير النيابي الممهد لقانون الحالة المدنية الذي صدر في أواخر القرن التاسع عشر.

عملت الإدارة الفرنسية في الواقع على فرض استعمال الاسم العائلي بصفة غير مباشرة، أولا يجعله إلزاميا في كل عقود الملكية.

وقد جاء هذا الأمر في قانون 1873م المنظم للملكية في الجزائر ثم قنن للحالة المدنية بتبنيه إجبارية تسجيل الولادات والوفيات (قانون 23 مارس 1882م) حسب نفس النمط، فبرزت قائمة للألقاب العائلية للتداول الرسمي، وفرضت التخلي عن تركيبة الأسماء المعروفة في السابق، والمتمثلة في الاسم الثلاثي أو الرباعي[4].

فالظاهر من عملية التلقيب هذه هو تنظيم المجتمع وتسجيل الأسر في سجلات الحالة المدنية لسكان ليست لهم أسماء عائلية وإحصاء للسكان.

لكن حقيقة العملية هي قطع الصلة بين الجزائريين بتلك الأسماء والألقاب التي تربطهم أصولهم وتذكرهم بأمجادهم وتميزهم بنظام تسمية يختلف عن النظام الفرنسي.

والنتيجة واضحة بعد أن كان أسماء الجزائريين وألقابهم وأنسابهم تحمل قيما حضارية وتاريخية وثقافية ودينية واجتماعية وإنسانية وفق نظام متميز نظيف تحولت إلى معجم لـ :

1) الحيوانات والطيور الأليفة والمتوحشة مفردة وجمعا وما تعلق بها من أدوات.

2) الأدوات الفلاحية والحرفية وغيرها.

4) النباتات والبقول والحبوب بأشكالها وأنواعها.

5) الحرف والمهن المختلفة.

---

[4] - (قسنطينة المدينة والمجتمع ج1 ص 187.)

6) العيوب والعاهات الجسدية والأمراض والفضلات والروائح الكريهة.

7) أعضاء جسم الإنسان الخارجية والداخلية.

8) المأكولات والمشروبات.

9) الألوان المختلفة.

10) الأفعال المرفوضة خلقيا واجتماعيا.

5- الحاجة إلى دراسة الأسماء والألقاب في الجزائر:

إن السبب الذي دفعني إلى الاهتمام بهذا الموضوع هو:

1) أن أكثر الناس لا يعرفون دلالة أسمائهم وألقابهم، ولا أسباب تسميتهم بها ولا أصل اشتقاقها اللغوي وقيمتها الاجتماعية والدينية والثقافية والوطنية والتاريخية... إلخ.

2) ثم إنك إذا جربت وسألت شخصا أو طالبا أو طالبة عن اسمه أو لقبه يجيبك بطريقة عفوية مباشرة عن سؤالك، وقد يتردد أولا -خاصة إذا كان أمام زملائه- وقد يقدمه كتابة و"، يحرفه إلى نطق أعجمي لا معنى له، لأن اسمه أو لقبه غير راض عن مدلوله أو منافٍ لبعض القيم والمقامات.

وإذا سالته عن معنى هذا الاسم أو اللقب يفاجأ بالسؤال ويفكر مليا ثم يجيب مضطربا، قد يصيب وقد يخطئ تماما، وقد لا يجيب نهائيا مكتفيا بابتسامة تدل على جهله لمعنى اسمه أو لقبه وقد يغضب أشد الغضب ويأخذ منك موقفا ما وهو غير مسؤول عن ذلك فالمسؤول هو الأب والأم هم أولو الأمر.

لأن الشخص لا يختار أمه ولا أباه، ولا يختار اسمه العائلي (اللقب) واسمه الشخصي، وقد يغير اسمه ولقبه بحكم قضائي وفق القوانين الجاري بها العمل في الجزائر، إذا شعر بأن هذا الاسم واللقب الذي سماه به أبوه أو جده أو أي شخص

آخر لا يروقه، ولا يريحه. بل يسبب له مشاكل نفسية واجتماعية وقلقا دائما في فترات وظروف معينة. يروى أن رجلا يدعى (هتلر) كان كثير التعرض للمضايقة بسبب اسمه فكثيرا ما كان يلتقط بعض الظرفاء اسمه من دليل التليفونات ويتصلون به فترد زوجته؟ فيأتيها السؤال بكل جدية وحزم وصرامة: السيد هتلر موجود؟

فترد الزوجة: نعم، من يريده؟ فتسمع: قولي له لو سمحت موسوليني ينتظره؟

وهناك فتاة في سن الزواج بالجامعة اسمها "أم هاني" تفقد خطيبها بسبب اسمها حينما يكتشف الخطيب الحقيقة بعد أن كان يعرفها باسم آخر.

وكثيرا ما نجد الجزائريين والجزائريات باسمين: اسم رسمي مثبت في سجلات لحالة المدنية، واسم يعرف به في محيط أسرته، وقد ينسى الاسم الرسمي تماما في السنوات الأولى من حياة المولود. ويكبر المولود حتى يبلغ سنا معينة يحتاج فيها إلى شهادة ميلاد، وغالبا ما تكون عند بلوغه سن المدرس، فيكتشف حينئذ أن له اسما آخر قد لا يروقه، ولكنه اسمه الذي سيعرف به ويصاحبه رسميا مدة حياته، وقد يسبب له هذا الاسم انزعاجا كبيرا.

هذا ما وقع لـ(هتلر) و(أم هاني) فما بالك بما عظم، في ألقاب مسجلة رسميا بالحالة المدنية الجزائرية وتصاحب الإنسان أينما كان وحيثما وجد.

إن السؤال المطروح علينا الآن في الجزائر: هل نبقى نعمل بهذا النظام الاستعماري، وبقي بعض الجزائريين حاملين لأسماء وألقاب تصاحبهم من الولادة إلى القبر، وهم رافضون لها، ولما تحمله من دلالات وقيم مرفوضة اجتماعيا...

وكذلك نجد كثيرا من الأشخاص يحملون على ملابسهم أو على زجاج سياراتهم وممتلكاتهم وواجهات محلاتهم أسماء، وعبارات وأرقام ورسومات وصور لا

يعرفون مدلولاتها ولا أسباب شهرتها وإشاعتها بين الناس، ولا الجهة المروجة لها ولأي غرض.

وكثير منهم حينما يعرفون مدلول هذه الأسماء أو العبارات والغرض الإشاري من ورائها، يسرع لانتزاعها ثم رميها وكذلك كثير من الأسماء والألقاب والمسماة بها شوارعنا ومؤسساتنا الرسمية وأسماء الأماكن لا يعرف معناها وقيمتها كثير من الجزائريين.

يقع هذا في الجزائر في عصر تطورت فيه علوم دراسة أسماء الأعلام والأماكن وغيرها من جوانبها المختلفة وفي ميادين مختلفة وبتسميات مختلفة مثل:

- Anthro ponymie (علم دراسة أسماء الأشخاص).
- Ono masiologie (علم دراسة دلالة الأسماء انطلاقا من معانيها).
- Topo nymie (علم دراسة أسماء الأماكن) وغيرها مما له علاقة بعلوم اللغة والعلوم الاجتماعية الأخرى، وخاصة في الدول الغربية التي خطت خطوة كبيرة في هذا المجال منذ بداية القرن العشرين.

- أما في الجزائر فليس هناك حسب علمي من بحث أو يبحث في هذا الموضوع أو في جانب من جوانبه بصورة علمية شاملة، اللهم إلا ما قامت به وزارة الداخلية في إعداد معجم الألقاب 15 جزءا في الثمانينات عند تعريب الحالة المدنية بالبلديات تعريبا كليا وهو عبارة عن قائمة بالألقاب بالعربية والفرنسية.

وكذلك ما قام به عميروش جبراني في كتابه "دليل الأسماء بين يديك" الصادر عن دار المعارف كما ورد في جريدة الخبر أنه رصد فيه "ما يربو عن الألفين

وخمسمائة اسم، متوقفا عند سليبات ما يناهز المائتين من الأسماء الغريبة المتداولة والإجراءات القانونية الواجب اتخاذها لتغييرها"[5].

على الرغم من أهمية الموضوع، وعناية الشعوب قديما وحديثا بالأسماء والألقاب عناية فائقة. على رأسها عربيا. "موسوعة السلطان قابوس لأسماء العرب" (8 مجلدات) الصادرة عن جامعة السلطان قابوس –عمان سنة 1991.

التي تعد من أوسع وأحدث الموسوعات العربية في هذا المجال إلا أنها لا تشمل الأسماء والألقاب الجزائرية، واكتفت بأثنى عشر بلدا عربيا هي: الأردن الإمارات العربية، البحرين تونس، السعودية، العراق، عمان، قطر، الكويت مصر المغرب اليمن بمشاركة عشرات الباحثين والخبراء والمستشارين في الموضوع.

ولست أدري: هل المشرفون على إعداد الموسوعة لم يوجهوا دعوة إلى الجزائر أم الجزائر هي التي لم تلب الدعوة؟ يبقى السؤال مطروحا.

وفي الختام أطلب من الجهات المعنية أن تتبنى وتمول مشروع –موسوعة الأسماء والألقاب الجزائرية.

وتكلف نخبة من الباحثين والخبراء والمستشارين بإعدادها في أقرب وقت ممكن خاصة أن المادة جاهزة أعدتها وزارة الداخلية في قوائم باللغتين العربية والفرنسية حتى نصلح ما أفسدته الأيام. وننبه الناس بمدلولات أسمائهم وألقابهم وبذلك نسد فراغا كبيرا تعاني منه المكتبة المتخصصة، ويتخلص الناس من تلك الأسماء والألقاب الحقيرة المرفوضة اجتماعيا وخلقيا.

---

[5] – انظر جريدة الخبر (2000/04/12 عدد 2834. ص 19).

التطورات العلمية التكنولوجية ومواقع الفيزياء منها في الوطن العربي

الدكتور عبد الكاظم العبودي
جامعة وهران - الجزائر

عرف العرب والمسلمون دراسة ما نعرفه اليوم بالطبيعيات أو "علم الفيزياء" ضمن ما أسموه بالعلم الطبيعي، وكذلك جرت تسميته "بعلوم التعاليم" جاء ذلك في مستهل كتاب "إحصاء العلوم"، حيث يقسم الفارابي العلوم المشهورة آنذاك إلى خمس، تقع الفيزياء تحت الفصلين الثالث والرابع. ويقصد بذلك إلى علم السكون أو الأستاتيكا، و" علم الحيل"، أي علم الوسائل الميكانيكية، أما الفصل الخامس فيشير إلى نواح أخرى، منها علم الحركة "الديناميكا"[1].

يفرض اخوان الصفا للطبيعيات، القسم الثالث، من أربعة أقسام للعلوم الفلسفية هي (الرياضيات، المنطقيات، العلوم الطبيعية وعلوم الآلهيات)، ويشيرون في رسالتهم (الفلسفة أولها محبة العلوم، وأوسطها معرفة حقائق الموجودات بحسب الطاقة الإنسانية، وآخرها القول والعمل بما يوافق لعلم) وهكذا يعرف الإمام محمد أبو حامد الغزالي الطبيعيات في كتابه "معيار العلم" فيقول (ولكل علم موضوع... وموضوع العلم الملقب بالطبيعي في كتابه "المعتبر في الحكم" إلى العلم الطبيعي المنسوب إلى الطبيعة والمشتمل على العلم الذي يساير المحسوسات من الحركات والتحركات والمحركات، وما مع الحركات وبالحركات والمتحركات وفي المتحركات من الآثار المحسوسة... الخ[2]. ويعرض عبد الرحمان بن خلدون في مقدمته بالعلم الطبيعي، ويشير إلى مجالاته في البحث عن الحركة وما يلحقها وبما ينظر في الأجسام السماوية والعنصرية وما يتولد عنهما من حيوان وإنسان ونبات ومعدن، وما يتكون في الأرض من العيون والزلازل. وفي الجو من السحاب والبخار والرعد والبرق

---

[1] – علي عبد الله الدفاع وجلال شوقي، أعلام الفيزياء في الإسلام، بيروت مؤسسة الرسالة ص 28، 1984.

[2] – المصدر السابق ص 31.

والصواعق وغير ذلك[3]. وهكذا عرف العرب والمسلمون شروحا ومناقشات ومخالفات لكتب أرسطو التي ترجمت أيام عهد المأمون، وألف الناس على حذوها، منهم بن سينا، وابن رشد ذات صلة بالطبيعة.

ترك العلماء مثل أبوعلي الحسن بن الهيثم والبيروني وابن يونس والكندي والخازني وابن ملكا البغدادي منهجهم العلمي المستند إلى التجربة والملاحظة والاستقرار والقياس، ثم صياغة القوانين أو البحث في صحتها والتحقق منها. وكانت تجربتهم خلافا لليونانيين الذين كانوا يلجأون إلى الفلسفة المجردة. كان العلماء العرب والمسلمين يستندون إلى الأسس العلمية – التجريبية، وبذلك فهم أول من ابتدع طريقة البحث العلمي القائم على التجربة[4].

يعتبر التقدم الكبير في العلوم التجريبية بصورة عامة في الفيزياء بصورة خاصة سمة بارزة من سمات عصرنا الحالي. تعدى هذا التقدم حقول المعرفة والاكتشافات للقوانين والعلاقات الفيزيائية الجديدة إلى فلسفة العلم ذاتها. أضحت طرق ومنهجية ووسائل الفيزياء كل علوم الطبيعة وتفتح مسالك جديدة للتقدم. وأضحت الفيزياء المورد الذي تستقي منه الكثير من الصناعات الجديدة أفكارها وطرق تحسين إنتاجها.

(إن الفيزياء لا تزودنا بفهم أساسي لقوانين الطبيعة فحسب، بل هي أيضا أساس معظم التكنولوجيا الراقية الحديثة. لهذا كانت الفيزياء "علم خلق الثورة"

---

[3] – محمد عيسى صالحية، الفيزياء والحيل عند العرب، عالم الفكر، المجلد 14، العدد 2، ص 511.

[4] – انظر عمر فروخ، عبقرية العرب، ص 882، 1963. وكذلك جورج سارتون، تاريخ العلم. 240/5، دار المعارف بمصر.

المتميز وقد يتبدل حالها في القرن الواحد والعشرين)[5]. ويضيف محمد عبد السلام الحائز على جائزة نوبل 1979 ذلك لا يصدق على الكيمياء وعلم الأحياء، اللذان يقدمان معا "قاعدة البقاء" الكمونة من إنتاج الغذاء ومن الخبرة الدوائية، وإذا أرادت أمة تصبح غنية فلا بد لها من اكتساب درجة عالية من الخبر في الفيزياء، الفيزياء البحتة والفيزياء الطبيعية وعند استعراض أفكار ومكتسبات العديد ممن حصلوا على جوائز نوبل وغيرها من براءات الاختراع في الفيزياء وتطبيقاتها يمكن التوصل إلى أهمية وإسهامات هؤلاء في تطوير التكنولوجيا الحديثة ومدى أرباح التي حصلت عليها الشركات العالمية من أموال.

وهكذا نشأت صناعة جديدة في الاقتصاد، وهي: "صناعة المعرفة" وأصبح العلم سلعة معروضة للإنتاج والمبادلة، وازدهرت "صناعة الاختراع" واحتلت الموقع الأول في الاقتصاد من حيث الاستثمارات والنفقات. وفي الولايات المتحدة الأمريكية تحتل نفقات البحث في الصناعة التحويلية ثلثي الاستثمارات وفي الصناعات الإلكترونية والطيران فإنها تتجاوز الاستثمارات ذاتها وبعدة أضعاف[6]، وما حققته الشركات العامة في مجال الحسابات ونظم وسائل الاتصال من أرباح يمثل43٪ من إجمالي أرباح الشركات، كان ذلك في 1980. ثم وصلت توقعات الأرباح في حجم المبيعات إلى 250 مليار دولار في 1990. (مرسي ص39)..

[5] – محمد عبد السلام، التنمية والتقدم العلمي في العالم الثالث، مقالات مختارة من تحرير ابراهيم حداد، 1989 ص14، دار سلام للترجمة والنشر، دمشق.

[6] – فؤاد مرسي، الرأسمالية تجدد نفسها، سلسلة عالم المعرفة، العدد 147، ص 28، المجلس الوطني للثقافة والفنون الآداب، الكويت.

ضلت التقنية "التكنولوجيا" تتبع مسار علوم الطبيعة وكانت نتيجة لها سواء في بدايات التطور العلمي خلال القرنين الأخيرين وحتى الآن. الاستثمار التقني لم يأت مصادفة أو بدايات التطور العلمي خلال القرنين الأخيرين وحتى الآن الاستثمار التقني لم يأت مصادفة أو وليد رغبة معينة، بل كان ولا يزال استثمار للمعرفة المعمقة للطبيعة "الفيزياء" في ميدانيها النظري والتطبيقي. ورغم أن الآلات وتحسنت مردوديتها وتنوع استخدامها، وهكذا ظهرت صناعات النسيج ورفع الأثقال والآلات البخارية وغيرها من الصناعات.

شهد النصف الثاني من القرن الماضي انقلابا هائلا في التصورات والأفكار التطبيقية للفيزياء ارتبط باكتشاف الكهرباء. اعتبر نجاح توماس أديسون 1884 في تحرير الإلكترون، عن طريق تسخين أحد المعادن، البداية التاريخية للثورة العلمية التكنولوجية. وكانت اكتشافات النظرية النسبية من قبل البرت انشتاين 1905 والنموذج الذري لرذرفورد 1911، ومفاهيم ميكانيكيا الكم في العشرينات قد دفعت وأعطت للبحث العلمي فتوحات هائلة في حقول بحوث العمليات وعلم البرمجة وإمكانيات تطبيقها، في الأنشطة العسكرية والاقتصادية. ولد عن ذلك ظهور السيبرناطيقا بوصفها علم التحكم المعتمد على تدفق المعلومات السريعة والدقيقة[7]. وهكذا يتمثل جوهر الثورة العلمية التكنولوجية في مبدأ الأوتوماتية بأشكالها الثلاث: السيبرناطيقي والكيميائي والنووي.

لعبت ظروف الحربين العالميتين وسباق التسلح دورا كبيرا في تسريع تطبيق المبادئ النظرية للعد والتكنولوجيا؛ بل شجعت على تطوير العلوم الفيزيائية

[7] – فؤاد مرسي، الصدر السابق، ص 39.

ذاتها، وجعلها هدفا لتطوير قوى إنتاج جديدة. وهكذا تطورت وبسرعة اكتشافات الطاقة الذرية والطاقات الأخرى، كالإلكترونية، ومنها صناعة الترانزيستور، وتخليق المواد والمضادات الحيوية وعناصر الأتمتة أو الآلية الذاتية في الصناعة.

إن نهاية الخمسينات شهدت استخدام الإعلام الآلي والحاسبات الإلكترونية في الصناعة ومكن اكتشاف المعالج المصغر "الميكروبروسيسر" وتصنيعه تجاريا واستخدامه في عمليات إعادة برمجة العمليات الصناعية. كل ذلك فتح الآفاق التكنولوجية لإنتاج آلات جديدة ومنتجات استهلاكية لم يكن تصورها قبل ذلك.

وهكذا تداخلت التكنولوجيا ما بين الطبيعة والإنسان في تماس مباشر ومؤثر ومكنته من الرفاه وزيادة قدراته المادية وأصبح العلم قوة إنتاجية مباشرة. أحدث النمو الفجائي والسريع في التكنولوجيا وامتلاكها من لدن الدول المتقدمة وحرمان دول العالم الأخرى منها هوة وتفاوتا هائلا تتسعان مع الزمن. وهكذا يمكن تقسيم العالم من جديد إلى عالمين أحدهما غني والآخر يزداد فقرا. كما أن معدلات السرعة والتقدم وتزايد المحصول النظري والتطبيقي تتضاعف بمعدلات كبيرة. فحجم المعرفة الإنسانية يتضاعف اليوم في مدة تتراوح بين سبع سنوات وعشر سنوات تبعا للمقياس المعتبر (الاكتشافات العلمية، المنشورات، عدد العاملين في الحقول العامية...الخ.) أي أن التطور العلمي في هذه المدة القصيرة يعادل التطور المديد السابق منذ نشوء المعرفة، وأن هذه المدة القصيرة آخذة في التقلص، بحيث يقدر لها أن تقصر إلى أربع سنوات حوالي عام ألفين [8].

[8] – انظر فؤاد مرسي ص 27، وكذلك انظر Norbert Winner, Cybernetics– CON– trol and communication in the animal and machin, Paris, Newyork1985

يتسم العصر ما بعد الصناعي، عصر الثورة العلمية التكنولوجيا، بسمة بارزة هي أن التقدم العلمي أصبح أسرع من التكنولوجي، أي أن التطبيقي سرعة العلم وسرعة تطبيقه أصبحتا قوة إنتاجية مباشرة. والثورة العلمية التكنولوجية إذن لا تنبثق من اختراع الآلات وإنما من العلم. تلعب اكتشافات الفيزياء والرياضيات بما وفرته الطاقة النووية والحسابات الإلكترونية دورا هاما يتزايد بما تساهم به في تنشيط الاكتشافات الأخرى والزراعة والطب والعلوم الأخرى. إن صناعة المواد وتغيير البنى الجزيئية تعتمدان على المعرفة الفيزيائية الآن أكثر من المعرفة الكيميائية[9].

التكنولوجيا ثمرة تطور الإنسانية، وقد تعطى وجهات النظر المختلفة ما بين إسهام هذا الحقل العلمي أو هذا الاختصاص دون غيره من الحقول الأخرى في تطور التكنولوجيا العالمية المعاصرة. مع كل ذلك فإن رجحان كفة الفيزياء، وخاصة في قرننا الحالي تبقى هي الأرجح. وهكذا يكمن ملاحظة التطور المتسارع في علوم الاتصال الفضاء مما يعطي للفيزياء مكانتها المتفردة من بين العلوم، كونها تسهم بشكل مباشر في إنتاج الثورة القومية والعالمية من خلال تطبيقات الجيوفيزياء وفي تطوير علوم الطب والبيولوجيا الجزيئية وعلم الخلية وفي تطوير علوم الطب والبيولوجيا الجزيئية وعلم الخلية وفي تطوير البحث في علم الكيمياء ذاته وهذه الإسهامات كلها توضع في المقام الأول كلبنات في " قاعدة البقاء " للإنسانية. إن علم الفيزياء في تطبيقاته ونجاحها يعتبر التضامن لامتلاك الثروة والقوة معا. كما أن الإمساك بمعرفته وآفاق تطوره يضمن التحكم في مسار التطور اللاحق.

[9]- كورين جاكر، الإنسان والذاكرة والالات، ص4، مكتبة الأنجلو المصرية بالاشتراك مع مؤسسة فرنكلين لطباعة والنشر، 1968.

من ذلك كله يبدو أنه لا يكمن تجاوز الحالة التي وصلت إليها حالة العالم الثالث من التخلف في الميدانين العلمي والتكنولوجي، بسبب ظروف وعوامل يطول شرحها هنا. فالثورة التكنولوجية تخطو خطوات هائلة في امتلاك الثروة وجلب رؤوس الأموال الضخمة وتكرس تبعية كبيرة لأكثر من 75٪ من العالم لبلدان معينة. من هنا فإن التغيرات التكنولوجية وتسارعها تتجاوز المفاهيم المعتادة في تقدير الثروة والتقدم المادي في نطاق المقاييس الكمية البحتة من تجارتها أو تصنيعها الجزئي. لقد انحدر الاتحاد السوفياتي في سنوات قلائل من دولة عظمى كانت تتحكم في إمكاناتها العلمية والتكنولوجية وتطورها إلى دولة يضعها البعض في مصاف دول العالم الثالث، دولة تضطر موادها الأولية غير المصنعة وتتخلف في مضمار السباق التكنولوجي وتفرط بعلمائها وتتفكك مؤسساتها العلمية وينخفض فيها نمو الناتج الوطني القائم بمجموعة أو بحظ الفرد من الدخل القومي سنة بعد أخرى. إن أخطر ما في ذلك كله هو التفريط بالخبرة التاريخية والتقاليد العلمية التي كونتها الجامعات والمعاهد الفيزيائية في الاتحاد السوفياتي السابق التي مكنته من ارتياد الفضاء وامتلاك تقنيات العصر النووية.

إن عصر القوة والثروة يتجلى في إمكانيات إنتاج الطاقة والحصول على بدائلها وامتلاك رؤي مستبقلية وإمكانيات استثمار الطاقات العلمية والمؤسسات الفيزيائية وما تنتجه من أفكار خلال معدلات زمنية متسارعة. وتفهم التقريب الكامل الحادث بين العلوم الطبيعية والاجتماعية، وما يظهر بينهما من علوم مشتركة أخرى.[10]

[10] – قسطنطين زريق، نحن والمستقبل، ص 108، دار العلم للملايين، بيروت، 1977.

اهتمت دراسات كثيرة، في السنوات الأخيرة في مسائل التنمية ونقل التكنولوجيا وامتلاكها لكنها لم تهتم بما فيه الكفاية إلى الأوضاع العلمية التي انحدرت إليها المؤسسات والجامعات في الوطن العربي وقصورها عن اللحاق لاستيعاب هذه التكنولوجيا بإعداد الكوادر العلمية المؤهلة، خاصة من الفيزيائيين، لاستقبال هذه التكنولوجيا الوافدة من مصادر عديدة من العالم.

إن أكبر الأخطار التي نواجهها في الوطن العربي هي التكريس لأمية جديدة، هي الأمية العلمية والتكنولوجية، هذه الأمية الملاحظة تتجلى في عدم استيعاب التكنولوجيا الجديدة، ومتابعة التطورات المذهلة في سياق الثورة العلمية التكنولوجيا.

إن عملية نقل التكنولوجيا والمنتوجات والعمليات والمعامل والأفكار، تعامل معها البعض، كعمليات في مبادلات تجارية صرفة، دون إعداد وتحضير الكوادر والأطر العلمية الوطنية المدركة لكل نوع من أنواع هذه العمليات وإدراكها، أي معرفة كيف؟ ولماذا؟ وكم؟ فيما يخص هذه العمليات، أو الاهتمام بالتكنولوجيا والتصنيع، فإن عنصر المنافسة ظل بعيدا حتى مع البضائع التي تنتجها نفس المعامل المصنعة في بلد واحد. وهكذا تحتفظ المنتوجات والصناعات المستوردة بنوعياتها العالية وأفضليتها المطلقة وتفرض وتمتلك الشركات العالمية حظوظا كبيرة في بيع منتجاتها الجديدة على حساب المنتجات المنتجة محليا، بسبب نوعيتها التي تتوفر لها الاكتشافات العلمية الحديثة ومزيدا من الأفكار والتطبيقات.

إن ظاهرة التبعية العلمية والتكنولوجية تتسع وتعم على مساحة واسعة من العالم الثالث وتزداد الهوة أكثر طالما حرمت هذه البلدان من وجود الجامعات

والأقسام الفيزيائية التي تساير التطور العلمي العالمي. لقد ظلت أكثر من 90٪ من إمكانات البحث العلمية الفيزيائية التي تساير التطور العلمي العالمي حوالي 35 بلدا يؤلف سكانها حوالي 25٪ من سكان العالم، ومن هنا تأتي الضرورة الملحة لكي يهتدي العالم الثالث إلى أجدى سياسة لأحداث نقل علمي كبير حسب تعبير محمد عبد السلام macro science transfer، يبني عليه تنمية.

إن تخطيط البحث العلمي، لاستقبال القرن القادم، وبرؤيا مستقبلية تستجيب للحاجات الوطنية والقومية وتتابع التطورات العالمية دون تبعية مطلقة أو انغلاق وهو الخطوة الأولى المطلوبة. كما أن الاعتماد على النفس وعلى الإمكانيات الوطنية والقومية يلح على العرب في كل أقطارهم البدء وبسرعة على تنفيذ هذه الخطوة.

لقد ولى زمن كانت تسمح به دول العالم المتقدمة بفتح مختبراتها وجامعاتها وتقدم الكثير من الفرص والإمكانيات لأبناء الدول النامية للبحث العلمي أو التدريب في أغلب التخصصات. ولم تعد الدول الكبرى سباقة الآن وكما كانت في منح المئات من المنح والمقاعد الدراسية بأبناء العالم الثالث وبصورة سخية. كان ذلك في سياق المواجهة ما بين المعسكرين وفي سياق تحالفات وانحياز الدول المختلفة إلى هذا المعسكر أو ذاك. وبذلك فإن الحرب الباردة وتحالفاتها قد وفرت، دون قصد مباشر، الفرص للألوف من طلبة البلدان النامية في الرحلات الفضائية. رغم الطابع السياسي والدعائي لتلك المشاركات، فإن تلك الفرص تكاد أن تكون نادرة، أن لم تصبح شبه مستحيلة.

ولم تعد جميع المراكز العلمية والبحثية تميل إلى نشر بحوثها الأصلية ونتائجها الأساسية في بعض الدوريات العلمية المعروفة، فهي تقلل من ذلك إلى

حدود معينة[11] مما سيحرم بلدان أخرى كانت تطمح من الاستفادة من تلك النشريات. كما أن اتساع وكثرة الدوريات العالمية لم تسمح لكثير من المؤسسات والجامعات والمراكز البحثيـــة في العالم الثالث من معرفة كل ما ينشر في حقل الاختصاص، كما أن عدم اشتراك أغلب هذه الهيئات في الشبكات المعلوماتية، يجعلها في عزلة علمية تامة وجهل بما يجري في الطرف الآخر من تطور تكنولوجي يكاد أن يومي وعلى مدار الساعة. وهكذا فإن إطارات البحث العلمي في العلم الثالث تكون بعيدة عن إدراك جوهـــر من التكنولوجيا الجديدة.

مهما كانت الفجوة العلمية والتكنولوجية، فإن طموح كثير من الأمم لم يتوقف أمام هذا الهول أو الإحباط، خاصة في الحقل الجامعي (ليس من دليل على أن أي بلد أو عرق أفضل من أي بلد أو عرق آخر في القدرة على تعلم العلوم. وهناك أدلة كثيرة على أن جميع البلدان متشابهة جدا، ومما يدعو للاستغراب أن التراث والخلفية التقنية ليس لهما سوى تأثير قليل... وأن الثورة العلمية يمكن القيام بها في غضون خمسين عاما في الهند وإفريقيا وجنوب شرقي آسيا وأمريكا اللاتينية والشرق الأوسط، وليس لدى الإنسان الغربي عذر، إذا لم يدر هذه الحقيقـــة.)[12]. إن الحياة في ديمومتها واستمراريتها لا تتوقف عنـد أعتاب وزمن عصرنـــا الحـــــالي شأنها في كل العصور والحقب التي مرت على الأمم والحضارات المتعاقبة.

إن دينامية المطالب في الحياة المعاصرة، تحث على التغيير والتبديـــل في أساليب العيش وتثير عند الشعوب العـــالم المختلفـة، اهتمامـــــات متصـاعدة

[11] – المصدر السابق، عدة صفحات.

[12] – انظر قسطنطين زريق، المصدر السابق، ص 117، وكذلك ا.د السابق فؤاد مرسي، ص 19.

بالمستقبل، تفاؤلية في بعض الجهات، تشاؤمية في غيرها، لكنها تائقة في كل حال إلى اختراق ستائر الغيب وكشف مخبآته.[13]

إن حال العالم العربي، لا يختلف عن بقية العالم الثالث من حيث الهوة العلمية مع العالم المتقدم، رغم أن بعض جامعاته ومراكزه العلمية، فالأمية العلمية سائدة، حتى وأن أعلن عن فتح ووجود التخصصات العلمية، فيزياء، رياضيات، كيمياء، أحياء، فلا يختلف طلاب هذه التخصصات في كليات التربية ومعاهد المعلمين في الإعداد والتدريس والبرامج عن أقرانهم من طلبة ذات التخصصات في كليا - العلوم، ويمكن أن يكون مصير غالبيتهم التدريس، ولا غير التدريس، في المدرسة المتوسطة والثانوية سواء تخصصاتهم أو غيرها مما يتوفر من الشواغر التدريسية.

إن حملة شهادات الليسانس والبكالوريوس من معاهد الفيزياء في الوطن العربي ليسوا جميعهم من فيزيائيي الثروة والمستقبل الذين يريدون في ذهن عالم الفيزياء الباكستاني، محمد عبد السلام، رغم دورهم الأساسي والمكمل في أية تنمية قادمة، بل هم أولئك الذين يتم اختيارهم وفق مواصفات ومستويات علمية رفيعة، أولئك الذين يتحصلون على المعادلات العالية في الدراسة الثانوية أو الجامعية، وليس أولئك الطلبة الذين لا يجدون أية منافسة أو صعوبة للترشيح والقبول، للحصول على مقعد دراسي في أقسام الفيزياء نتيجة، لتهرب الكثير من خريجي الدراسة الثانوية من التخصص في هذا الحقل الصعب نسبيا مقارنة مع

[13] – عن تصريح لفانج لي، وزير العلم والتكنولوجيا الصيني، مجلة الطبيعة، الأجزاء 1، 2، 3 شباط / فبراير 1984.

التخصصات الأخرى، والـذي يتطلب مستوى عـال في الرياضيـات وحضـور الذهـن ومؤهلات كثيرة يطول سردها هنا. أن طلبة وباحثي فيزياء المستقبل في الوطن العربي هم علماء المستقبل ولبنات حجر الأساس لأية تنمية أو هضم أي تكنولوجيـا جديـدة في معالم امتلاك الثروة.

ومواجهة العصر والقرن القادم تلح على إعداد الفيزيـائيين المستقبلين الـذي يتطلب خطة متكاملة للخـروج أولا مـن المـأزق الـذي تعيشـه المؤسسـات والجامعـات المعدة لهؤلاء. فمعاهد الفيزياء والعلوم الدقيقة في الوطن العربـي تعيش حالـة مرديـة وعزلـة تامـة عـن قرنيـها في دول العـالم المتطورة الأخـرى. فـهي تعيـش أوضـاع مربكـــة، مـن نـواح عـدة منـها: نقص في الإطـارات التدريسـية الكفـوءة. قلـة الإمكانيـات المختبريـة الحديثـة والتدريـب الحديـث علـى الوسـائل والأدوات التكنولوجية المتوفرة. والتقرب من فهم عملـها ومعرفـة الأسس العلميـة الـتي تعمـل بـها. عـدم توفـر المراجـع العلميـة الحديثـة وتـأمين وصـول الدوريـات والمجـلات والكتب. نقص المراجع في اللغة العربيـة وخاصـة المجـلات والدوريـات ذات الصلـة بتبسط وشرح الظواهر والمفاهيم الجديدة في حقول العلم والتكنولوجيا.

ظلت جميع التخصصات غير الفيزيائيـة تسد مقرراتـها التدريسـية مـن مـواد الفيزياء باستعارة مدرسي ومحاضري هـذه المـادة مـن أقسام الفيزيـاء. وهكـذا ظلـت التخصصات الحيوية كالأحياء والطب والزراعة والصيدلة والتكنولوجيا الحيويـة دون فيزياء حيوية مثلا. ظلت تسد حاجياتـها التدريسية مـن الفيزيـائيين الذيـن ليـس لديهم أية صلة بهذه التخصصات ومجالاتها التطبيقية الحيوية. وهكذا نجد الكثـير من الخريجين في مثل هذه التخصصات لم يستفيدوا من دراستهم للمقررات الفيزيائية

في حياتهم العلمية والمهنية، ومن الاستفادة من كثير من الأجهزة والتقنيات الحديثة المستخدمة في عملهم.

وهكذا نكتشف وبعد سنوات الدراسة والتخرج من الجامعات، أن الأمية العلمية والتكنولوجية تسود في قطاعات حيوية هامة، نعطي مثالا بسيطا نستقيه من معايشة لنا مع القطاع الطبي: دفعات كاملة من الأطباء ومن جميع التخصصات يجهلون استخدام الكثير من الأجهزة المستخدمة حديثا في التشخيص والعلاج، كاستخدام أجهزة الرنين النووي المغناطيسي NMR والقفزات الهائلة في فحوص السوائل الحيوية، وتقنيات جديدة في استخدامات اللازير والموجات فوق الصوتية والجراحة الحيوية، والجراحة تحت المجهر والبرمجيات المختلفة في الإعلام الآلي، وإن كثيرا من الأجهزة المستخدمة في بعض العيادات لا تتعدى معرفة مستخدميها حدود التشغيل والقراءة البسيطة للجهاز، كما أن هناك جهلا كبيرا بحدود استخدامات الأشعة السينية وغيرها من الأشعة سواء من ناحية الفوائد والأضرار، إضافة على أمثلة كثيرة تنم عن جهل وامية متوارثة عن سنوات الإعداد الجامعي والتدريسات والبرامج التي لم تساير القفزات الواسعة للعلوم الفيزيائية وحدود تطبيقاتها التقنية أو الحيوية، وما ذكرناه في المجال الطبي ينسحب على قطاعات الزراعة والإنتاج الزراعي والهندسة في كثير من تخصصاتها وفروعها. وفي الجانب الأخر، في التخصصات الفيزيائية ذاتها فمن خريجيها يجهلون تماما حدود الاستفادة من علومهم في المجالات التطبيقية، وخاصة الحيوية والطبية والتكنولوجيا الحيوية، ناهيكم عن المجالات الإلكترونية والمعلوماتية الأخرى، وذلك لخلو البرامج والمقررات من التطبيقات والتدريب في مثل تلك التخصصات. إن مختصي الفيزياء قلما استفيد منهم في الهيئات التكنولوجية أو الاستشارية أو في لجان التخطيط العلمي

أو شراء الأجهزة بما فيها الأجهزة ذات الصلة بالحقول الفيزيائية الصرفة. وكثيرا ما تم شراء الكثير من التكنولوجيات عن طريق الوسطاء أو من المعلومات الدعائية والإشهارية ومنشورات الشركات التجارية.

إن الوسيط التجاري الأجنبي له الخطوة في الاستشارة والبيع وهكذا يمكن استيراد الكثير من الأجهزة والمعدات التي عفا عليها الزمن وتجاوزها التطبيق العلمي، ويمكنها التسلل إلى جامعتنا ومؤسساتنا العلمية بسهولة ودون تمحيص، بسبب الفجوة التكنولوجية والأمية العلمية السائدة، ذلك يعكس مدى التخلف في متابعة التغيرات الحادثة في العالم، إضافة إلى القصور الواضح في الإعداد لأطرنا العلمية في متابعة التغيرات الحادثة في العالم، وهكذا نسمع عن مصر قيل أنها أنفقت ثلاثة ملايين دولار في إنشاء معمل لصنع الصمامات الحرارية الإلكترونية وقد بني المعمل في السنة ذاتها التي اكتمل فيها صنع الترانززستورات وشرعت تغزو أسواق العالم. والذين اقترحوا إقامة معمل للصمامات الإلكترونية كانوا خبراء أجانب بطبيعة الحال، ولكن الموظفين المصريين قبلوا الاقتراح ولم يكونوا على علم بمسيرة التقدم العلمي، ويعتقد أنهم لم يستشيروا قط الفيزيائيين الخبراء في بلدهم[14] أن زيارات ميدانية لوزير الصحة الجزائري لعدد من المؤسسات والمراكز الصحية كشفت عن وجود العشرات من الأجهزة والمعدات الطبية والإلكترونية من دون استغلال أو استخدام أمثل. فهي قد استوردت أيام وفرة الأموال الصعبة، وجرى توزيعها بصورة لاعقلانية. لقد وجد أكثر من مجهر إلكتروني مثلا لا يحتاجه. قد يكون مخبر تحليل طبي عادي لا يحتاجه. قد يكون مخبر تحليل طبي عادي لا يحتاج

---

[14]– عن اقتباس لمحمد عبد السلام عن ستيفن ديدجر، مقالة عن العلم ذو القاعدة الواسعة اللازمة للتطبيقات المصدر السابق ص 34.

إلى جهاز لقياس الكثافة الضوئية وغيره من المعدات لتحديد قيم الامتصاص الضوئي أو تقدير تركيز العينات المفحوصة، في حين تفتقر الكليات الطبية ومراكز بحثية أخرى لمثل تلك المجاهر الإلكترونية ذات القوة العالية، والأنكى من ذلك أن يجهل مسؤولوا تلك المخابر لماذا أرسل المجهر الإلكتروني إليهم تحت دون طلب منهم كما أنهم لم يكلفوا أنفسهم أي جهد لإعادته إلى جهة المرسل لهم، وبقي المجهر الإلكتروني تحت الغبار والاتربة دون استفادة وفائدة يتقادم عليه الزمن مثل الأجهزة والمعدات الأخرى. إن هذا الأمثلة نسوقها لتأكيد الإهمال المتعمد لذوي الاختصاصات الفيزيائية عند الحاجة أو عند ضرورة الاستشارة المطلوبة، الذهنية السائدة حول الفيزيائيين، كونهم كوادر تدريسية لا غير. وهذه الذهنية تسود حتى داخل الهيئات المديرة لمعاهد الفيزياء ذاتها، ولهذا تواجه عملية إعداد كوادر المستقبل أخطار استمرار مثل هذه الذهنيات، فالمعاهد تحرص على تدريس طلابها لبرامجها المقررة تغيير يذكر منذ سنوات طويلة، ظلت التطبيقات والحصص التطبيقية على حالها، يحتل المقرر النظري جزءا كبيرا من السنوات الأربع، القليل من الأساتذة يتمكن من متابعة ما يصدر من مراجع وكتب جديدة لتدريس موضوعة، بسبب عدم استيراد الكتاب الأجنبي من جهة ونقصان المراجع المترجمة، والعزلة التامة ما بين الجامعات العربية في تبادل الخبرات والكتب والإصدارات الجديدة والتراجم، وعندما تتكدس إعداد الطلبة الراسبين على مدى سنوات الدراسة، ممن وجدوا أنفسهم قد وجهوا نحو أقسام الفيزياء، تخ الهيئات التدريسية إلى اللجوء إلى قرارات رفع درجات الرسوب إلى النجاح ليمض الطلبة تفاديا وحلا لمشكلة الاختناق في بعض الصفوف خوفا من ذات الـ ـلحق بزملائهم السابقين. ويشكل مدرسوا الفيزياء في المدارس ثانوية قطاعا ما يستهدفه الإعداد لأجيال المستقبل من

الفيزيائيين، أنهم ينقطعون تماما عن جامعاتهم وتحصيلهم ومتابعتهم لما هو جديد في الفيزياء حال تخرجهم من الجامعات، فهم منقطعون عن التغيرات العلمية الحاصلة في العالم، يبقى مصدرهم الوحيد هو الكتاب المدرسي المقرر للتدريس من قبل وزارات التربية والتعليم، كتاب مدرسي قد يسود لسنوات طويلة دون تنقيح أو تصحيح كثيرا ما تسند عملية إعداده أو تأليفه أو تنقيحه إلى هيئات يقرر فيها مفتشوا الفيزياء في التعليم الثانوي آرائهم، وهم بلا شك يمتلكون خبرة تدريسية، لكنهم قطعا بعيدون عن إدراك معالم الثورة العلمية التكنولوجية وآفاقها، وهم المدرسون الذين يشرفون عليهم أحوج من غيرهم للعودة بين فترة وأخرى إلى جامعات لفترات إعادة تأهيل لمتابعة ما يستجد في هذا الحقل الحيوي الهام كما أن الجامعة مسؤولة مسؤولية كبيرة لتحديد معالم ونوعية الفيزياء المطلوب تدريسها بين فترة وأخرى، والجامعة لها تصوراتها الدقيقة والمستقبلية حول نوعية ومستوى طلبة الفيزياء القادمون لها للتخصص وفق عملية انتقاء دقيقة يفرزها الطلبة للتعليم والإعداد وبما يحتاجه كل صنف، أي فيزيائي التعليم وفيزيائي البحث والتقانة، كلا النوعين يجب أن يلم ببعض الخبرات التطبيقية ذات الصلة بالتكنولوجيا ومناحي الحياة الأخرى بتمكنهم من تعلم وصنع بعض المواد أو تنفيذ بعض تجارب الإلكترونيات واستخدام أجهزة الإعلام الآلي وغيرها من الإمكانيات التقنية، ومن دون ذلك فإن هؤلاء سيضيفون أعداد جديدة من الأميين العلميين التكنولوجيين إلى 57 مليون عربي آخر يعانون من الأمية المطلقة، أي 69 مجموع الأفراد فوق سن 15 سنة حسب تقديرات 1980، والتي يتوقع لها الوصول إلى 65 مليون عام 2000، إذا استمرت البلدان العربية على أساليبها التقليدية في مكافحة الأمية بكل أشكالها.

طبع بمطبعة هومه

المجلس الأعلى للغة العربية

06، شارع العقيد محمد بوقرة الجزائر

الهاتف: 24 07 23 - 25 07 23 الفاكس: 80 99 23

ص ب 575 الجزائر ديدوش مراد